



الموسيقى الشرقية

والغناء العربى

مع السيرة الذاتية للفنان عبده الحمولى

قسطندى رزق

تأليف

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

هذه السلسلة تضم :

- ١ - فتح العرب لمصر
- ٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
- ٣ - الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
- ٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
- ٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
- ٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبل الوقت الحاضر
- ٧ - ذكرى البطل الباقى إبراهيم باشا
- ٨ - تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (مجلد أول)
- ٩ - تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
- ١٠ - فتوح مصر وأخبارها
- ١١ - تاريخ مصر الحديث مع فركة في تاريخ مصر القديم
- ١٢ - قوانين الدواوين
- ١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث

- ١٤ - الحكم المصري في الشام
- ١٥ - تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
- ١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول
- ١٧ - مذكراتي
- ١٨ - الجيش المصري في الحرب الروسية
- المعروفة بحرب القرم
- ١٩ - وادي النظرون وربهانه وأديرتة ومختصر البطارقة
- ٢٠ - الجمعية الأنثوية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
- ٢١ - الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض (النيل الأبيض)
- ٢٢ - السلطان قلاوون (تاريخه - أحوال مصر في عهده - منشأته المعمارية)
- ٢٣ - صفوة العصر
- ٢٤ - المماليك في مصر
- ٢٥ - تاريخ دولة المماليك في مصر
- ٢٦ - سلاطين بني عثمان
- ٢٧ - محمود فهمي النقراشي
- ٢٨ - دور القصر في الحياة السياسية
- ٢٩ - مذكرات اللورد كيلرن
- ٣٠ - عادات المصريين

- ٣١ - خنقاوات الصوفية ج ١
- ٣٢ - خنقاوات الصوفية ج ٢
- ٣٣ - تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين
- ٣٤ - تاريخ عمرو بن العاص
- ٣٥ - دور القبائل العربية في صعيد مصر
- ٣٦ - علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب
- ٣٧ - عبد الرحمن الجبري ٥ أجزاء
- ٣٨ - مصر في العصر العثماني في القرن ٦
- ٣٩ - خطط القويزي ٣ أجزاء (محققة منقحة في ٢٧٥٠ صفحة)
- ٤٠ - صفحات من تاريخ مصر (صليب باشا سامي)
- ٤١ - صفحات من تاريخ مصر (سيد مرعي)
- ٤٢ - سلاسل الأمير التتري المسلم
- ٤٣ - مالية مصر
- ٤٤ - الموسيقى الشرقية

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel.: 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١

الموسيقى الشرقية

والغناء العربي

مع السيرة الذاتية للفنان عبده الحمولي

الكتاب : الموسيقى الشرقية والفناء العربى مع السيرة الذاتية للفنان عبده الحامولى

الكاتب : قسطندى رزق

الطبعة : الأولى عام ١٩٣٦م

الثانية عام ٢٠٠٠م - مكتبة مدبولى

الناشر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب . القاهرة

تليفون ٥٧٥٦٤٢١ فاكس ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الإيداع : ١٩٩٩/١٣٩٧١

الترقيم الدولى : 977-208-284-5

الترقيم الدولى : 977-208-284-5

الموسيقى الشرقية

والغناء العربى

مع السيرة الذاتية للفنان عبده الحمولى

تأليف
قسطندى رزق

الناشر
مكتبة مـدبولى
٢٠٠٠

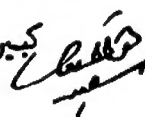
تقدير كريم وعطف سامٍ من جلالة الملك فاروق المعظم
لمؤلف كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربي
ونصرة الخديوى اسماعيل للفنون الجميلة - وعبد الحمولى



٢٧٨

حضرة المحترم فسطندى رزق افندى

رفعت الى الانظار العليسة الملكية النسخة التى
قدمتموها الى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم
من مؤلفكم " الموسيقى الشرقية وفن الغناء " فى عهد المغفور
له الخديوى اسماعيل باشا " فنالت حسن القبول .

وتقبلوا وافر الاحترام ،  كبير الامناء

تحريرا فى ١٢ يونيه سنة ١٩٣٦

أهلاً

كتابي الموسيقي الشرقية والفناء العربي ونصرة القوي بسماع القوية الجيدة ومبارة عبد المولى
الى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول . ملك مصر العظم

مولى

ادبريس ساكنة القناه ولدكم القوي بسماع . على الموسيقي العربية . بقله انشاء الطبيب على
ناعمي الاحقاب . ونصرة الفنون الجيدة . ومفظة لجمد العرب لوتس . سيجي ذكره في الواقع
بما هي لذلك سببا في نجاح . وما اناء عبد المولى سيمرور لوتس والفنون في افانه
بناها وطير العظم . وتكون قواعدها على اسلوب عربي رئيس . وبروح مصري في افانه
في عصره الذهبي . واصبح الشعب المصري طربا سعيدا . ولينقي مزاجه . ودعج وحده
سد ذاك الؤسد . انكم عند سماعكم على عرسه المملكة المصرية . جرتكم على مناجاة في تشجيع الفنون
والموسيقي العربية الوليد بها فيكم . وانتم مصر المركز . في النهضة القومية . وقوام مبارة مصر
القوية والادوية والعامة والاقتصادية . بتركم العلوم والعارف . وتشجيعكم الصنائع والفنون
بما استتم معاهدكم ودراس وصورمفات

ولانك انتم قطعتم من الفنون . ولانك مصر الاولم التي فدت قديما الغرب بجنبا مع علوم
وفنون وناقى على الموسيقي العربية الصيرة فساد الجندب الذي سله قرائنه الاستعانة عن
الصيرة الفناء بصورة متوفاة . فصبحت فدت للغة . وبناء للغة الفناء . ولتوفاها
ابدي النوع والفناء . وتبقى فنا عربيا وغربيا ورمزا لثقافة شعبها . وعنوانا لقوة
عربها وعزتها وبنائها . ولقد ارفع بقى ففوع الى انوعاب اللقية كتابي فلت الذي به
تفخيص الفناء . ووصف الفناء . لفنونا فارة البعثة مع الفناء موسيقيا اداة بياننا ولت
افلتنا . احتفاء بروج مصر الفناء . ولت اسأل الله ان يوفقكم على جميع ما فيكم
الذي نهضت به فبنا الوطن . وبعكم بروج معنده . وجرس ولي عهدكم صاحب السمو
العلي امير الصعيد فارة والمجرب . ان سيجي بيب

القبة في ضيق الطبيب
قسطي رزق



مفضرة صامب الجبلية الملك فاروق الاول المعظم



نكس العلم

هل يعمون على من نكس العلم
هذا بناء الحمى والمالك ينهدم

فؤاد، أين؟ ومصر غير آمنة
الريح عاتية والموج ملتطم

خلفتنا لا يرد الضيم فارسنا
ولا ينافح عن أشباله الأجم

فؤاد، هل وقفة؟ فالشعب مضطرم
ومصر تبكي مناها والدموع دم

أحالها الحزن أشياء مزرقة
جسم بغير فؤاد كيف ينتظم

ساكن الجنازة المففور له ملائكة الملك فؤاد الأول

مؤجج في نواحي القباب محتدم

ليس المصاب مصاباً انه ضرم

ولا تنهيه من أحزاني الكلام

فؤاد لا الصبر يأسو جرح فاجعتي

فلآن بعدك لا شعر ولا قلم

قد كنت وحي يراعى حين أشعره

عبر الله عفيفي



ساكن الجناحه المفقوره له الخبر بنو اسماعيل



الطائر الصيبت والببل الغرد المرموم عبده المحمولى



عبد الحمزى ومحمد العقاد والسيدة عمر الطرية وخليل باش أناسا من الجنان الخديو اسماعيل



الأستاذ قسطنطين رزق مؤلف هذا الكتاب

مقدمة

لقد أشربت محبة المرحوم عبده المحولى منذ نعومة أظفارى يوم خالط المرحوم والدى بالزقازيق وزارنا فى دارنا وغنانا غناءه العربى فأعجبت به أينما أعجاب وارتسمت فى ذهنى صورة العروبة الفخمة بما مثل إمامنا من الحركات والأقوال التى صوّرت لى إباء العرب وفروستهم وعظمتهم وما أتاه من شجى التلحين وحسن الأداء وتفخيم اللفظ الدال على معناه والابانة فى مخارج الحروف فهو حريٌّ بأن يكنى بفريد الشرق الذى لا تفتح العين على مثله وأخذت منذ ذلك الحين أشعر بتيار موسيقى يتشّى فى عروقى الى أن أضحيت من المولعين بالغناء العربى الذى لا أصبو إلا اليه وحزت ملكة التميز بين جيّده ورديته لاسيما اذا سمعت ركزاً لخليط مجدد . ولما هب على الموسيقى العربية عاصف التجديد وحاول أن يقتلع جذورها من تربتها المباركة الخصبة شمرت لصد ذلك التيار عنها غيرة على عظمتها وسحرها وإتقائها للرمق الباقى منها إذ هى الآن والعياذ بالله واقفة على مفترق طريقين لا يحيد لها عن سلوك واحد منهما فاما أن تحيا وتستعيد ماضى شبابها اذا تداركها أولو الأمر منا وإما أن يسجل عليها الموت الذى لا حياة بعده إذا القينا جبل المجددين على غار بهم يجهزون على تلحيننا القومى ويرتضخون لكثرة غرية بدلا من ترديد نبرنا العربى ويشوهون محاسن الموسيقى العربية التى وضع قواعدها أسلافنا الموسيقيون المصريون ويقضون على تقاليد الشعب المصرى الذى يغنى بالفطرة ويحفظ بصبغته وتقاليده

على أنه ليس من غرضى فى هذه المقدمة الوجيزة أن أعارض فى التجديد الذى يُقصد منه زيادة ثروة موسيقانا الشرقية والتدرج بها من حسن الى أحسن كما هو شأن كل فن ينقصه التنقيح والتحسين (والكمال لله وحده) أو أن أصرف المجددين المجتهدين عن التوفر على توسيع نطاقها والتمهوض بها إلى أعلى مستوى يليق بعظمتها ومجدد الشرق ويحفظ لنا ما خلفه لنا الساف من الموسيقيين العبقريين من قواعد ثابتة وقوانين مرعية إذ انى أرحب بكل تجديد مبنى على الأصول ويرجع الى مستقر معروف وأسلوب مألوف لكن المجددين والأسف يملأ جوانحى فى واد ونواميس الموسيقى فى واد وقد هاموا فى أودية الضلال وأضلوا ساهمهم وليتهم تصرفوا فى التجديد على حسب القواعد الصحيحة محترمين المقاييس وراعوا النغم والمقاطع والموازن الموسيقية والتوقيع بما يطابق معنى الأغنية المنظومة ومثل الموازين الموسيقية كمثل الأبحر للشمر ذى الأشر الصحيحة القياس أما الألحان القديمة فيتوفر فيها حسن التوقيع وضبط الايقاع ولو كان يحنونها يقتصرون على

نغمة أو أكثر وهي في كل حال خير من الألحان الحديثة التي لا يتوفر فيها حسن التوقيع وضبط الإيقاع فضلاً عن عدم مراعاة ملحنها لمعنى الأغنية أو الدور أو الموشح مهما كثرت أنغامها لعدم ضبطهم القواعد الأساسية التي يجب أن تبني عليها أغانيهم من جهة ولعدم تمكنهم من قتل النغمات درساً من جهة أخرى ليكفّلوا الحصول على جمال التلحين .

فاذا استمروا على هذا المنوال قضاوا على الموسيقى العربية قضاءً مبرماً وأضحت لا أثر لها في الوجود . وما حماية الألحان التي تكاد تبطلها عجمة التجديد إلا الاحتفاظ بروح مصر الخالدة هذا هو الداء الدفين لموسيقانا الذي يستعصي شفاؤه إذا أهملناه ولم نعالجه بسرعة وقد وصفته وصفاً لا يخالج الخبير فيه أدنى ريب أما الدواء فيلخص فيما يأتي :

(١) وجوب تأليف لجنة فنية من أعضاء المعهد الملكي للموسيقى العربية ومن الموسيقيين والشعراء في خارجه ممن يشار إليهم بالبنان يكون من اختصاصها الاشراف على كل لحن جديد يلحن والقيام بفحصه بدقة من الوجهتين التلحينية والنظمية (مع مراعاة ما اذا كان لفظه ومعناه منزهين عما يعاب) حتى اذا حاز القبول يُرخص لصاحبه بنشره واذا عته ماذا وإلا تُجرى مصادره بمساعدة الهيئة الحاكمة ضماناً لتنفيذ شروط اللجنة المشار اليها

(٢) يعهد الى المعهد بالآي رخص لرؤساء التخت الآلات الوترية بأن يستبدلوا العازفين السابق تشغيلهم على نخوتهم بعازفين جدد لا يفقهون طرق اشغالهم ولا مزاياهم الخاصة إذ ان لكل رئيس عادة خاصة ومزية خاصة وروحاً خاصاً بدليل أن تحت الأستاذ محمد العقاد كان لا يشتغل الا برئاسة عبده الجولى ولم يستطع أى قانونجى في عصره أن يدوزن قانونه بالسرعة التي كان يدوزنه بها محمد العقاد الكبير ولا أن يصور نغماته على آله وكان لكل رئيس تحت خاص وعازفون خصوصيون لما في الابدال من ضرر كما لا يخفى لا سيما في عدم امكان دوزان الآلات واندماجها ببعضها بعضاً لأن الدوزان والميزان لازمان للموسيقى الصحيحة وقد قال موزارت « الموسيقى ميزان »

(٣) أن يعهد الى المعهد في تكليف أشخاص للتجول في البلاد الريفية للبحث عن ذوى الأصوات الحسنة من الصبية الريفين بين جماعى الأقطان والعمال بالمصانع والحال وغيرها لاستحضارهم وتعليمهم أصول الغناء على الطراز العربى مبتدئين بترويض

أصواتهم كترويض الأجسام على الرياضة البدنية وتقرينها على المقامات تدريجياً واختبارهم أخيراً فوق المآذن على حد ما كان يروض أوتار صوته المرحوم عبده الحولى على مأذنة جامع الحنفي واتباعاً لخطط الموسيقين الغربيين فى مثل ذلك . ولا غرابة فى انتقاء الصبغة من بلاد الريف فى الوجهين القبلى والبحرى لأن عبده عبقرى الشرق رأت عيناه النور فى (حامول) ومحمد عثمان الصعيدى أصلاً (من طهطا) وُلد فى حى بولاق حيث كان يتمرن على أعمال البرادة فى ورشة . ويقوم المعهد بدفع نفقات هذا النشء، ويحتم عليه أن يعلّم الموسيقى العربية بمخفايرها وعلى حسب قواعدها مع ادخال النظم الحديثة المختارة فيها بشرط أن تلائم الذوق المصرى ، ولا تمس جوهر موسيقانا أو تشوّه محاسنها .

(٤) على الصحافة المصرية الحرة التى يناط بها ارشاد الأمة الى سبيل الهدى ألا تألو جهداً فى لفت نظر الأمة والمجددين على صفحات جرائدها إلى وجوب مراعاة الشروط السابق الايماء اليها احتفاظاً بجمال موسيقانا وثروتها وقوتها التى هى أشهر من أن يُنبه على وجوب الاحتفاظ بطابعها الشرقى وصبغتها وذوقها السليم المصرى البحت لأن الدين إمحاض النصيحة والصراحة حياة الحق ومثلها كمثّل عصير الشجرة فلا تحيا إلا به وبدونه تيبس أغصانها وموتاً تموت وكل شعب يقبل الأمور على علاقتها بدون تمحيص ولا بحث ولا برهان استناداً على عوامل مؤثرة أو جاه أو ثروة أو دعاية غير صحيحة يكون هدفاً للتغريب والخدعة وقد وجدت لزماً على فى إبان النهضة القومية فى جو الحرية والديمقراطية أن الفت النظر الى مجابهة الحقائق بلا وجل ولا محاباة ولا تقليد أعمى بل بثقة وصدق وشجاعة وحسن نية فى ظال ملك البلاد المعظم جلالة فاروق الأول الديمقراطى الذى ولا شك سيحذو حذو جلالة والده فى السهر على الفنون الجميلة وغيرها ، ويعمل على النهوض بصر الى ذروة المجد والسعادة ولولا مجهود ساكن الجنان والده لما كان لأى هيئة فنية أو رسمية فى مصر من أثر ولا قامت للموسيقى قائمة . وعسى المحدثين بعد هذا التنبيه أن ينزعوا عن طائش رأيهم فى التجديد ويثوبوا الى الصواب فان الرجوع الى الحق محمداً والمضى فى الباطل منقصة . وقتنا الله الى السبيل السويّ وهو مالك الامور ؟

المؤلف

لمحة

في تاريخ الخديو اسماعيل

ونصرته للفنون الجميلة

—...—

لما كان همّ المغفور له الخديو اسماعيل نشر العلوم والمعارف ، وإحياء الزراعة ، وتوسيع نطاق الصنائع الوطنية ، وترويج التجارة ، وتثقيف المرأة ، وتشجيع الفنون الجميلة ، وفي مقدمتها الموسيقى العربية ، والغناء والتمثيل ، نشط للجري في سبيل الأمم المتقدمة ، ولم يألُ جهداً في تحسين الصلات ، وتمكين الألفة بين المصريين ، وبين الجاليات المتوطنة في مصر ، حتى بلغت في عصره الذهبي ذروة المجد ، وأوج الحضارة والمدنية ، وأصبحت حرية بأن تعد قطعة من أوربالا من أفريقيا كما صرّح بذلك شخصياً .

ومن مآثره الجليلة ، أنه كان أبا الفلاح يدافع عن كيانه ، ويحمي ذماره ، وكان شغوفاً بالزراعة إلى أبعد درجة ، وكان يحب مصر حباً صحيحاً متغلغلاً في قرارة نفسه ، فاحتفظ بتقاليدها القومية ، وطابعها الشرقي الذي أنسمت به ، وتغافى في رفع منارها في بلاد الغرب ، وباهى بشعورها ، ونشر لغتها ، لغة الجمال والمجاز ، وتعظيم الناطقين بها في أنحاء الشرق ، بدليل ما عرضه سنة ١٨٦٧ في معرض باريس الذي اشتركت فيه الحكومة رسمياً ، من تماثيل قديمة ، ومن موميا لرعسيس الثاني ، الملقب بسيزوستريس أكبر الملوك الفاتحين ، التي اكتشفت سنة ١٨٨١ ولغيره من الفراعنة ، ونماذج للحياة المصرية القديمة ، كبيت شيخ البلد ، وهياكل ، ومصانع للتفرّج التي لم يعترها أدنى تغيير ، منذ خمسة آلاف سنة ونيف لغاية الآن ؛ بالرغم من أن في خلالها دالت دول ، ودُكَّت عروش ، وأشكال « وكايل » وبيوت علي أقدم طراز ، فسيحة الأرجاء ، تطل نوافذها من الداخل على ردهات مقامة في

وسطها فسقيات مزينة بالفسيفساء، وعلى سطوحها قبابٌ جميلة، وبخارجها تُرى مشريات بارزة بديعة الصنع. وكذلك عرض الحياة المصرية الحديثة بما امتازت به من مصنوعات فائقة الوصف، كالأقمشة المطرزة بالذهب، والأواني الخزفية، والجلود المدبوغة والمنقوشة نقشاً بديعاً. ومن آلات الطرب: العود، والقانون، والكمان، والناي، والربابة التي كان يفضلها على الكمان لأنها مصرية بحت، والمزمار البلدي، والصنوج، والصاجات لزوم الرقص البلدي، والدربكة، والرق، والطار، والنقريه « والسنتير » مما كان مهوى أفئدة المتفرجين والزائرين للمعرض من سائر بلاد الغرب لا سيما اسكندر الثاني، وفرنسيس يوسف أمبراطوري روسيا والنمسا، وفكتور عمانويل الثاني ملك إيطاليا، وغليوم ولي عهد بروسيا، والبرت ادوارد ولي عهد انكلترا، والسلطان عبد العزيز الذين طأطأوا رؤوسهم المتوجة إكباراً وإجلالاً لتمثال ومومياء رعسيس، وسائر المعروضات جملةً ومقتراً، وأضحوا يتأملون تأملاً ملياً في سرتخطيطها ودقة مصنوعات المصريين حتى انتهوا الى استهتار ما أتاه الغربيون من ضروب الابتكار، وصنوف الاكتشاف والاختراع.

على أن مجهوده لم يقف عند هذا الحد فحسب، بل أنه لما قفل راجعاً الى مصر بعد رحلته الى أوربا حيث شاهد المباني الناطحة للسحاب، والمنشآت البديعة ومسارح التمثيل والغناء، والمدارس، والمعاهد العلمية، والأندية الأدبية، دبت فيه الغيرة الصادقة على مصلحة مصر، فأخذ على عاتقه أن يقيم فيها اقتداءً بالغرب القصور الفخمة، ويشيد دوراً للعلوم، ومعامل للصنائع. فأنشأ في ربيع سنة ١٨٧٣ مدرسة السيوفية للبنات المحانية، داخلية وخارجية، ومدرسة ثانية بالقرية لشدة الحاجة إليها، أمتها بنات الأمراء والعظماء، وأكابر الموظفين. وكانت برامجهما تشمل تعليم اللغتين، العربية والفرنسية، والجغرافيا، والرسم، والموسيقى العربية، وأشغال الابر، والتطريز، والطبخ، والتدبير المنزلي. وشجع الأهلين على وجوب تثقيف عقول البنات بنوع خاص، لتضرب المرأة بسهم وافر من العلم يرفع منزلتها، وتبلغ به المكانة اللائقة بها، بين الأمم المتقدمة، وتكون عضواً قوياً في المجتمع الانساني، وكوكباً مزيئاً يستضاء به، في حياتها الزوجية، ومثلاً صالحاً، في تربية

ابنها وابنتها ، فينشآن عضوين سليمين عقلاً وروحاً وجسماً ، نافعين لنفسيهما ولائتهما معاً (والعقل السليم في الجسم السليم)

وحما لا يختلف فيه إثنان ، أن الازبكية كانت مستنقعاً ينبت فيه النبات المائي حديقة
الكثيف ، وينقف ييض البعوض الناقل للعدوى ، فأزيلت بناءً على أمره السامي الازبكية
تلك المياه الراكدة ، بمعرفة برهان بك مدير الادارة بوزارة الأشغال العمومية
سنة ١٨٣٧ ، وغرست الأشجار على اختلاف أنواعها ، صفوفًا منظمة ، واكتست
أرضها بثوب سندسي قشيب ، يشرح الصدر ، ويقرّ العين . وأقيمت في وسطها
الفسقيات التي تنفجر من فوهات المياه المتلاثلة ، ورُبي فيها أجمل أنواع السمك ،
وأثيرت مصابيح الغاز في أرجائها ، وبُنيت الجبلية على أبدع طراز ، وهي لا تزال
ماثلة أمامنا الآن ، وصفت الأكشاك الحديدية حولها من الداخل ، حوت تحوُّناً
للطرب ، غنى فيها أشهر المغنين والمغنيات ، فصير مجهوده وابتكاره من المستنقع
الآسن رياضاً تجري من تحتها الأنهار ، وأطياراً تفرّد على أفنان خائلها ، ووجوه
حسان تلوح في غدران مناهلها ، وتحت ظلال نارجيلها ، ويُقدّر مسطحها بنحو
١٧٠٠٠ متر مربع . وكانت أرضها موقوفة لآل البكري ، واستبدلت بأطيان
بناحية بهتيم ، تزيد على مساحتها أضعافاً مضاعفة . وقد أصدر أمره الكريم بتشيد
مسرح للكوميديا بناحية منها في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٦٧ ، واحتفل بافتتاحه في مساء
٤ يناير سنة ١٨٦٨ حيث بوشر التمثيل دون أن يمضي على إنشائه أكثر من اثنين
وأربعين يوماً .

أما الأوبرا ، فقد بُنيت سنة ١٨٦٩ في مدة لم تزد على خمسة شهور ، وبلغت
تكاليفها نحو ١٦٠ ألف جنيه ، فأحضر إليها من أوربا فرقاً للتمثيل من أعلى
الطبقات . وكانت أول الروايات التي مُثلت فيها بوجه التحقيق رواية « ريجولوتو »
التي حضرها كلٌّ من الحديو اسماعيل ، والدوق والدوقة داوست ، وذلك في
أول نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، كما جاء بالجريدة الرسمية بتاريخ ١٠ منه .

ولشدة ولعه بالمصرية كلف مارييت بك آنذ بتأليف رواية « عائدة المصرية »
وأناط فردي الموسيقى الطلياني الشهير بتلحين أنغامها الشجية ، فقام بتشيدها أقدر

الممثلين والممثلات في مساء ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٢، وعزفت الأوركستر الطليانية بنفاتها الشجية، عزفاً أخذ بمجامع القلوب، وسُرَّ منه الخديو اسماعيل سروراً أدى به إلى منح فردي وجوقته ١٥٠.٠٠٠ فرنك ذهب. ثم أنشأ بعد ذلك المسرح الهزلي الفرنسي "La Comédie Française".

التمثيل العربي

أما ما كان من أمر التمثيل العربي، فكانت حجرة زاوية بنائه، فرقتا التمثيل لتسلم تقاش ويوسف خياط. ومن الروايات التي حضر الخديو اسماعيل تمثيلها، أذكر روايات «أبي الحسن المغفل» و«هارون الرشيد» و«أنيس الجليس» وبعض روايات أخرى لموليار الشاعر الهزلي الفرنسي مثل روايات «البخيل» و«الطيب رغم أفه» و«الشيخ متلوف» و«النساء العالمات» التي قام بتعريبها عثمان بك جلال المعروفة بما يأتي.

"L'Avare, le médecin malgré lui, Matluf, et les femmes savantes

ولما كانت الروايات التمثيلية من أنجع الوسائل، وأفضل العوامل في تهذيب الأخلاق وتنوير الأذهان، وحث النفوس على الفضائل والمحامد، بما تصوره للحاضرين من مناظر للفضيلة والرزيلة، والعدل والظلم، والوفاء والقدر، والصدق والكذب، إلى غير ذلك من الخصال، بارزة تحت ثوب من اللهو والفكاهة والجد فضلاً عما تنطوي عليه من حقائق ثابتة، ووقائع تاريخية، وحوادث وعبر لهذا الكون، تتكرر على مرور الأيام (ولا جديد تحت الشمس) عمد المغفور له الخديو اسماعيل إلى تشجيع أبناء وادي النيل على غشيان دور الأوبرا، ومسارح التمثيل الراقية، والملاهي البريئة، رغبة أن يريهم بعين النقد، ونور البصيرة، العبر في حياة من مضى من الأمم، اتباعاً للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بدلا من سماعهم القصص الخرافية، وحماة عنتره بن شداد، وحروب الزناتي خليفة، والوزير سالم، وسير أبي زيد الهلالي سلامه، وقصص ألف ليلة وليلة، وحضور الألعاب البهلوانية والأراجوز التي اتسع مجالها عند المصريين، وأصبحت مهنة لأرباب الجهالة والدهاء، يتفنون في متنوع أساليبها، جرّاً لمغنم من أهل السذاجة فيهم، وذلك في بدء توليه الأريكة الخديوية. وكان لشدة عطفه على تلاميذ المدارس العليا كالمهندسخانة

مثلاً أو غيرها ، يبعث اليهم تذاكر خصوصية إسوة بأولاده الأمراء لكي يحضروا معهم التمثيل الروائي في الأوبرا

وبالجملة فإن فن التمثيل كان معدوماً فأوجده في مصر العريضة ، دون أن يتمتع بمزاياه سائر البلدان الشرقية لما أن العرب كانوا بوجه عام يقتصرون على عرض منتجات قرائهم في سوق عكاظ ، وكانوا يعلقون على جدار الكعبة الشريفة الشعر الأكثر طلاوة الذي صيغ من أخلص النضار . فمن أين يأتى يمكن أن تستدير عقولهم بالحكم والمواعظ والعبر المستمدة من الوقائع التاريخية ، والحوادث الواقعية ، التي تمثلها تحت الحس الروايات التمثيلية إذا غابت عنهم معرفة فوائدها ولم يستعملوها بين ظهرانيهم لأنهم يتخذونها هزواً ، ويصفونها بالمهنة السافلة ، بدليل أن الأدوار التي يجب أن تقوم بتمثيلها المرأة خاصة على المسرح في فرقة يوسف خياط كان يُعبد فيها اضطراراً إلى غلام لم يتمكن من الإجابة في تمثيلها بطبيعة الحال ، حتى أن الشيخ القباني نفسه أول الممثلين وأبرعهم في زمانه ، كان رغم تقدمه في السن يقوم بدور المرأة ، لما كان عليه فن التمثيل من قبيح السمعة ، وتكون المرأة كما قدمت معرفة قومها إذا جرات على الاشتراك فيه بمكس الغريين ، وعلى رؤوسهم ملوكهم وعظماؤهم وعلماؤهم وحكماؤهم فانهم أحلوا هذه المهنة في أعلى منزلة وأرفع مقام من الحضارة والمدنية . وقد عُني بتأليفها أكابر شعرائهم ، أمثال شكسبير ، وموليير ، وراسين ، وكورنيل ، وفولتير ، وفكتور هوجو ، وبرنارد شو ، وغيرهم . فهل في هذه الحالة يهتمون بالزيغ والخبث ، والتسكع في بيداء الغرور والغواية ؟

أما الموسيقى ، فإن من اطلع على تاريخ مصر الحديثة ، وتدبر ما للمصريين في أساليب معيشتهم من شديد الميل إلى المرح والجدل ، وحب الغناء العربي بالفطرة ، وتفضيله على سواه أيقن أن دينهم ومذهبهم توجه عزائمهم إلى الانساع والابداع في أساليب الغناء بشرط ألا تشرد عن قواعدها الأساسية ، وألا تصيبها عجمة تسأمها الطابع . وليس ذلك بغير لديهم لما أن المغفور له محمد علي باشا الكبير نابوليون الشرق المصلح العظيم ، وبالرغم من أن أصله من قوله يعد أول المولعين بالموسيقى الشرقية فأسس في مصر مدرسة للأصوات والطبول سنة ١٨٢٤

الموسيقى

ومدرسة بناحية الخانقاه في شهر أغسطس سنة ١٨٢٧ ، ومدرسة العزف بالنخيلة في ابريل سنة ١٨٢٩ ومدرسة للمحترفين (الآلاتية) سنة ١٨٣٤ . وانتقل هذا الميل بالوراثة منه إلى أبنائه وأحفاده ، بدليل أن الخديو اسماعيل شغف بها شغفاً شديداً وأرهف غرار عزمه لتوسيع نطاقها ، فأصبح للعلوم والفنون الجميلة نصيراً ، وللموسيقى الشرقية والغناء العربي حامياً وظهيراً . فما كاد يظهر عبده الخولى في عالم الغناء في القاهرة حتى قرب به الخديو اسماعيل اليه ، لما ألقى فيه من عبقرية ورخامة صوت وكان له من أكبر المشجعين على التصرف في وضعه واشتقاقه ، ليكسوه لباساً يستوفى به زينته وجماله ، فأوفده في الحال على حسابته الخاص الى الاستانة ليقبض عن الموسيقى التركية الغنية ما يروق له ليختار من نغماتها ما يلائم الذوق المصري ، ويطلق الروح الشرقي . فأدمج في الموسيقى العربية من النغمات التركية ، الهندية ، والحجاز كار ، والعجم عشيران ، وسائر الآهات ، مما جعل الفن مديناً لعبده وبالتالي لساكن الجنان الخديو اسماعيل الذي هيا له جميع أسباب النجاح ، وأطلق له العنان في مجال الاصلاح حتى ألحقه بمعيتة ، وخصص الشيخ عبد الهادي نجا الاياري لتعليم أبنائه .

وقد عين الشيخ علي الليثي شاعراً بالمعية السنية والدكتور احمد حسن الرشيدى طبيباً له ، وقرّب اليه الشيخ علي أبا النصر المنفلوطى الشاعر الكبير ، وعبد الله باشا فكري ، وألحق تقولا بك توما باحدى وظائف الحكومة ، وأجزل لابراهيم المويلحي بك العطاء الذى به استعاض عما جرّته عليه التجارة من خسارة ، وله اليد الطولى في تشجيع الصحافة على الانتشار في أنحاء القطر في الزمن الذى لم يكن به في مصر الا الجريدة الرسمية تنويراً لأذهان الأمة ، وتوسيعاً لنطاق النهضة الأدبية التى بها تُرفع من كبوة الجهل السائد فيها ، وحض رجالها على إدمان البحث والكتابة فيما ينمى ثروة البلاد ، والحث على إحياء الصنائع وترغيب الأغنياء من المصريين في إنشاء المعامل طلباً للاستغناء عن المصنوعات الأجنبية ، أسوة بمجده المغفور له محمد على باشا الذى شجع عائلة الزند اللبنانية على تربية دود القز بأن منحها على ساحل بحر مويس بجوار الزقازيق أرضاً واسعة سميت بكفر الزند وزرعت بأشجار التوت لتغذية دود الحرير حتى نمت تلك الصناعة وازدهرت في عهده .

في تعضيد
للادب
والاداب
والصحافة

وقد ظهرت سنة ١٨٧٣ في عالم الصحافة جريدة مصرية شكلا وعثمانية النزعة فعلا باسم « كوكب الشرق » لصاحبها سليم حموى بك آنئذ ، وكانت تصدر في الاسكندرية ، ولما احتجبت عن قرائها لحاجة صاحبها الى مال عمد الى طلب إعانة من الخديو اسماعيل ، فلما مثل بين يديه ، سأله عن المقدار اللازم من المال لاستئناف عمله فأجابه قائلا « ان خمسين جنيهاً تكفيني يا أفندينا » فامتعض من جوابه وأمر بصرف هذا المبلغ الضئيل له ، وكان يود من صميم قلبه أن يعطيه ما يكفيه أعواماً لا شهراً ولا يوماً إذ لم يخلق في العائلة العلوية المحمدية من هو أسخى منه يداً ، ولا أطيب نفساً . فأخذ المبلغ حموى بك نادماً ندامة اليكسعى ، لأنه تحقق بعد فوات الفرصة أنه لو ضاعف مبلغه أضعافاً مضاعفة لما تأخر الخديو عن صرفه لينهض به من كبوة العوز ، ويتمكن من استئناف إصدار جريدته التي قضي عليها بعد حين

أما جريدة « الاهرام » التي أنشأها المرحوم بشارة باشا تقيلاً شيخ الصحافة وكبيرها بمعاونة أخيه المرحوم سليم بك الشاعر المفلح ، والكاتب المتقن سنة ١٨٧٥ فانها تعتبر أول جريدة عربية أنشئت في القطر المصري في عهد الخديو اسماعيل بعد كوكب الشرق والجريدة الرسمية . وكانت تصدر بادی . بدء في الاسكندرية حتى سنة ١٨٩٨ ، وبعد ذلك نقلها صاحبها الى القاهرة . وكانت المورد العذب الوحيد الذي استمد منه الشعب المصري الأدب وأصدق الأخبار ، وأدق المباحث المفيدة للمجتمع مادياً وأدبياً .

قال السويس

أما قتل السويس ، فكان تمامه على عهد الخديو اسماعيل ، وفتح في اليوم السابع عشر من نوفمبر ١٨٦٩ باحتفال باهر دعا اليه امبراطور النمسا والامبراطورة أوجينيا زوجة الامبراطور نابليون الثالث . وأقيمت في وسط ساحة الاحتفال ثلاث منصات خشبية مرتفعة مكسوة بالديباج والحرير ، جلس على المتوسطة منها أصحاب التيجان ، وأولياء العهد ، والأمرأ ، والعواهل . وعلى المنصة التي على اليمين جلس من علماء الدين الاسلامي الشيخ مصطفى العروسي شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد المهدي العباسي مفتي الديار المصرية . ولما توفي تعين بدله نجله الشيخ محمد أمين

المهدى ، ولم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، على ما رواه لى السيد امين المهدى حفيده ، ولكن الخديو اسماعيل استصدر فرماناً شاهانياً بتعيين قيم عليه بصفة استثنائية الى أن يبلغ رشده لأنه يعطف على البيوت المصرية الطيبة العنصر . وقد اشتهر بغزارة العلم وطول الباع فى أصول الشريعة الغراء حتى كانت تعد فتاويه المسماة بالفتاوى المهدية مرجعاً من المراجع الشرعية الراجحة التى يعمل بها على المذهب الحنفى أما المنصة الثالثة فجلس عليها الأحرار ، وفى مقدمتهم القاصد الرسولى ونصبت المظلات لجاهير المتفرجين والزائرين على الشاطئين الاسيوى والاfricanى ، وعند نهاية الاحتفال قدم العلماء الشكر لله على نعمه الجزيلة ، وتلاههم الاحبار فأنشدوا ترتيلة الشكر المعروفة بـ "Te Deum" وتعانق العلماء مع الاحبار رمزاً الى تعانق الصليب بالهلال ، وتجلّى روح التعاون والمحبة بأجلى معانيه أمام ملوك الغرب مما دحض زعم رديارد كبلنج القائل بأن الشرق والغرب ضدان لا يجتمعان وظهر للعيان أن أبناء النيل تحت حكم الخديو اسماعيل مصريون مهما اختلفت عقائدهم الدينية ، وتباينت فحلهم . وأصبحت الصحراء القاحلة مزارع خصبة بفتح

القنال الذى جنت منه مصر فوائد جمة مادية وأدبية وسياسية تزداد كل يوم بازدياد الصلات وتوثيق عرى التعاون بين الشرق والغرب - هذا فضل من أفضاله ووأثره من مآثره فان لم يكن له سواهما لكفى .

على أن الملوك زائريه قد استعرضوا أجناساً من الأمم ونماذج



(الامبراطورة أوجينيا على ظهر الهجين)

مختلفة تقع تحت حكمه السعيد ابتداء من الاسكندرية الى خط الاستواء ممن حضروا هذا المهرجان من الوفود من الفلاحين والصيادين وقبائل العرب والسودانيين لابسين على رؤوسهم العقال والطرايش والعمائم والطواقى واللبد وهم يلعبون على صهوات خيلهم العربية المطهمة على أصوات مزمار الفناجينى الدمياطى ويركبون أسنمة الهجن وظهور الحمير للسباق على أصوات الرباب ودقات الطبول البلدية وقد آثرت الامبراطورة فى الذهاب الى القصر على ضفة الاسماعيليه . والاياب منه ركوب الجواد والهجين على العربيه الاوربيه .

ومن دواعى الأسف الشديد أن مصر لم تقم للخديو اسماعيل اعترافاً بفضلہ بجانب تمثال فردينان دى لسبس تمثالاً له فى قنال السويس الذى حفره بأرض مصر



(تمثال فردينان دى لسبس)

برجال مصر . وقد أميط الستار عن وجه تمثال الثانى باحتفال فخم فى اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٩ الذى يماثل اليوم الذى احتفل فيه بفتحه . حتماً ان ذلك قد وقع ذهاباً الى الحكمة الماثوره القائلة بأن لا نبى يكرم فى بلده



(الأميرة أوجينيا)

والأدهى من ذلك أن
الخديو اسماعيل لما عهد إلى إلغاء
السخرة التي كانت حجرة عثرة
في سبيل القيام بأعباء الزراعة
تصدت له الشركة واضطرته إلى
سحب أمره إنجازاً للعمل وطبقاً
لما هو مخصص عليه في عقد
الاتفاق بينها وبين سلفه المغفور
له سعيد باشا سنة ١٨٥٤ ولت
المسألة وقفت عند هذا الحد ،
بل طالبه ناپوليون بدفع مبلغ
١٠٠٠.٢٥٠ ر. جنيه ترضية له
جزءاً دفاعه عن الفلاح المسكين

وميله إلى تخليصه من السخرة التي وجد أن لا مسوغ لبقائها في عصر المدنية وهي من
بقايا الظلم في عهد الفراعنة في إبان بناء الأهرام ، ورفع المسائل الذي امتدت أغصانه
حتى عهد المماليك ، الذين كانوا يستعبدون الرعية وينهبون أموالهم . على أنه من جهة
أخرى استعاض عن هذه الغرامة الفادحة بأن استرجع من شركة القنال أرضاً
مصرية في وسط الصحراء تمتد إلى حدود الدلتا يقدر مسطحها بـ ٦٠٠٠٠ هكتار
أرادت أن تقتصبها لنفسها وانتهى بضمها إلى أملاك الوطن . وقد قدرها ناپوليون
آنذاك بمبلغ ٣٠٠.٠٠٠ ر. فرنك أي ١٢٠.٠٠٠ ر. جنيه . ولا يعزب عن بال
الباحث المنصف أن لهذا المجهود العظيم قيمته الأدبية الغير مأموسة ، فضلاً عن قيمته
المادية الواضحة بما يسجله له التاريخ بالفخر المبين بين ما قام به من عظام الأعمال .
ومما لا ينكره عليه المغرضون أن العمارات التي شيدها ، والقصور الفخمة التي
بناها قد انتفعت بها الحكومة على توالى السنين بأن اتخذتها مقراً لمختلف الوزارات
ومركزاً للمصالح الحكومية والمعاهد العلمية والفنون الجميلة

وقد نزع الى قريب المسافات وتسهيل المواصلات ، فبنى ٤٢٦ كوبرياً منها ٢٧٦ فى الوجه البحرى و ١٥٠ فى الوجه القبلى وحفر ١١٢ ترعة أهمها ترعة الاسماعيليه البالغ طولها ٩٨ كيلومتراً وحفرها ١١ مليون متر مكعب وترعة المحمودية وترعة البحيرة مما أدى إلى إصلاح نحو ١٣٧٣.٠٠٠ فدان من أراضي الصحراء، أنتجت ما تقدر غلته بـ ١١٠٠٠.٠٠٠ جنيه أو ريعاً سنوياً قدره ١٤٠٠.٠٠٠ ر.٤٠٠ جنيه ومما يؤيد ذلك ما جاء فى كتاب بيتر كارايتس القاضى عن أدون دى ليون القنصل الأمريكى فى سنة ١٨٧٥ حيث قال ما يأتى بنصه وحرفه « ان التصليحات والتحسينات والأشغال العمومية التى شرع فيها الخديو اسماعيل وأنجزت فعلاً فى مدة الاثنى عشرة سنة فى مصر كانت مذهشة وعجيبة ولا مثيل لها فى أى قطر من الأقطار بلغت مساحته أربعة أضعاف مساحة القطر المصرى وسكانه أربعة أضعاف سكانه »

لما زاد فيضان النيل سنة ١٨٧٠ وهدد ثلاث قرى فى القطر بالغرق أمر الخديو اسماعيل بأن تكسر الجسور بين أطيانه الخاصة فغمرتها المياه وسببت له أضراراً قدّرت بأربعة ملايين فرنك . فأثر نفع الفلاح على نفعه ، وضحى بأطيانه فى سبيل حماية الفلاح من الأذى الذى كان سيناله من الفيضان .

وتبياناً لتشجيعه التجار المصريين وإيثارهم على الأجانب فى جنى الأرباح ولو كانت من ماله الخاص اجتزىء من تاريخ المرحوم الياس الأيوبي بإيراد ما يأتى بحروفه : « ومن أفضل ما يحسن ذكره بمناسبة أفراح الأتيجال أن طه باشا الشمسى ناظر الخاصة الخديوية فى ذلك الحين وهو حو حاضرة صاحب المعالي احمد طلعت باشا رئيس محكمة الاستئناف الأهلية الآن ، كلف عدة محال تجارية بتقديم مناقصات لتوريد كل ما يلزم من فرش وياضات ودننلات ورياش لجهاز كل من الأميرات العرائس . فلما قدّمت وقع اختيار طه باشا على مناقصة محل پاسكال الفرنسوى ويعرفه كل من زار مصر القاهرة حتى سنة ١٨٩٢ ، لأنها على جودة البضاعة المقدمة نماذج منها كانت على رخص فى الأثمان يرغب فيه . ولكنه لما عرض ما وقع اختياره عليه للخديو اسماعيل سأله الخديو « ألم تقدم فى هذه

نضجيه
الخديو اسماعيل
وتشجيعه
للتجار
المصريين

المناقصة محل مصرى وطنى مطلقاً ؟ » فأجاب طه باشا « نعم يا مولاي » فقد تقدم ضمن آخرين محل مذكور ، ولكن الأثمان التى عرضها مُبالغ فيها لا توافق ، لأنها تزيد خمسة وعشرين فى المائة على الأثمان التى يطلبها محل « باسكال » فقال الخديو اسماعيل « أرني مناقصته والمآذج المرفقة بها » فقدها طه باشا فوجد الخديو اسماعيل أن الأثمان المكتوبة على تلك المآذج تزيد حقيقة خمسة وعشرين فى المائة على ما يطلبه محل باسكال لكنه وجد أن نوع البضاعة واحد عند الاثنين فضرب بمناقصة محل باسكال عرض الحائط ، وقال لطله باشا « خذ كل ما نحن فى حاجة اليه من محل مذكور وادفع له خمسة وعشرين فى المائة فوق ما يطلب . فبدأ فى عيّن طه باشا استغراب بالرغم من أن فيه نطق بعبارات الامثال . فقال الخديو اسماعيل له « يا طه باشا اذا كانت المحال التجارية المصرية لا تنتفع ولا تستفيد من أفراح أولادى . فمن أفراح من تريد ان تستفيد وتنتفع ؟ » فاعتنمها محل مذكور وهى طائفة وزاد على أثمان كل ما قدمه ما امكنه زيادته . فكان ذلك من أسباب الثروة التى أحرزها هـ .

أفراح الأنجال

أقيمت ابتداء من يوم ١٥ يناير سنة ١٨٧٣ الأفراح البهيجة احتفاءً بزواج الامراء توفيق وحسين وحسن أبناء الخديو اسماعيل من ربات الصبون والعفاف الأميرات أمينة هانم بنت إلهامي باشا ابن المغفور له عباس الأول وعين الحياة هانم بنت الأمير احمد باشا ابن المغفور له ابراهيم الأول وخديجة هانم بنت الأمير محمد على الصغير ابن رأس الأسرة المحمدية العلوية المغفور له محمد على باشا الكبير وزواج أختهم الأميرة فاطمة هانم بالأمير طوسن ابن المغفور له محمد سعيد باشا ودامت أربعين يوماً كاملاً ، باعتبار عشرة أيام لكل عرس من الأعراس الأربعة ولا يزال للآن ذكر محاسنها يسير فى الآفاق . ولذلك قد زينت العاصمة بأبهى الزين ، ورفعت أقواس النصر فى أهم الميادين . وأقيمت الأكشاك والمنصات للجوقات الموسيقية ولتخوت المطربين والمطربات . وفى مقدمتها تحت المرحوم عبده الجولى الذى اذا أنشد نقل بنغماته الساحرة من سمعه إلى جنة الخلد . وتحت (ألظ) التى فنت العقول برنين صوتها الرخيم ، ناهيك بأشهر الراقصات المصريات

وفي مقدمتهم صفة وعائشة الطويلة اللتين استعبدا القلب والنظر فيما قاما به من حركات وتموجات ورشاقة وخفة

ومما يحسن إيرادَه تفكُّهٌ للقارىء ويأتينا للحقيقة بمناسبة تزويج الأمير حسن من الأميرة خديجة أن الخديو اسماعيل حينما ادخلها المدرسة المعدة للأميرات وتبين من مخوى كلامها توقد ذهنها وسرعة إدراكها وعددها بالزواج من أحد أولاده إذا اجتهدت في طلب العلم . فعنَّ له يوماً أن يزور تلك المدرسة ليتفقد حال الطالبات فيها ، فلما وصل الى الأميرة خديجة ، سأَلها قائلاً « الى أين بلغت من تعلم القرآن يا ابنتي ؟ فأجابته من فورها وقالت « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » فسرَّ الخديو وارتاح لجوابها وقال لها : « نعم . نعم » ثم برَّ لها بوعده . فلا غرابة في لطيف إشارتها الى سابق وعده وما بان له فيها من فرط الذكاء وهي دون البلوغ ، لأن البنت أفطن من الولد بطبيعة الحال الى السنة الثالثة عشرة من العمر حيث يقف ذكائها عند هذا الحد لأسباب طبيعية ولا يتعداه خلافاً للولد ، فان ذكاه يطرد نموه ويسير نحو تمام الإدراك على ما أثبتته هربرت سبنسر في كتاب « الترية » . على أن معنى اسماعيل مطيع الله كما ذكره صاحب القاموس . وفي شفاء الغليل قال السبكي « ويستحب لمن رُزق ولدًا في الكبر أن يسميه اسماعيل اقتداءً بالآية . ولأن معناه عطية الله » . فاذا توارت شمسُه وراء الأفق ، فان أشعتها كما قال فكتور هوجو لا تزال ساطعة الأنوار .

وبالجملة ، فقد كان عصره عصر رخاء وجذل وكان دينه ومذهبه توثيق عرى المصافاة بين قومه ، وبذل النفس والنفيس في سبيل ترفيه نفوسهم وترقية عقولهم لما أنه كان من أحب الناس الى المسألة التي بها كان يحقق رغبته . وكان جديرًا بأن ينطبق عليه المثل القائل "Son métier était Roi"



أصل الموسيقى

الموسيقى من أقدم الفنون عهداً في تاريخ الانسان ولا يعلم أصلها بوجه التحقيق على حد سائر الأمور النفيسة الأخرى ، وقد أدجنت سائرها وتنكرت معالمها أحقاباً متطاولة ، لعجز الأقدمين عن استقراء حقائقها ، وغفلتهم عن ادراك دقائقها ، أو معرفة أسماء الذين اكتشفوا بآديء بدء الاصوات الجميلة ممن احتبلتهم حبول الردى ولذلك فقد عُرِى إلى آلهتهم رجماً بالظن الفضل في إيصال هذا الفن إلى النوع الانسانى .

على أنه ينبغي لنا في هذه الحالة أن نُخَلِّد بثقتنا إلى التوراة التي هي المرجع الوحيد الواضح الاعلام المعتبر كمعين نستقي منه الأخبار عن الموسيقى درءاً للشبهات وقد جاء فيها ذكر يوبال من السلالة السادسة لقائين الذي كان أول من عزف على القيثارة والمزمار بمحقق أخذ بمجامع قلوب سامعيه ، وكانت في زمنه القيثارة مركبة من عشرة أوتار يشبه شكلها مثلاً متساوى الاضلاع . أما المزمار فانه يختلف عن مزمارنا الحاضر في الطول والحجم ولا يُعلم غيرها البتة من سائر آلات الطرب قبل الطوفان وقد نقش أبناء نوح عليهم السلام شكلهما على العامودين الذين شيدوها تخليداً لذكر اختراعهما بين الامم الذين ظهروا بعد الطوفان وخدمة للعلوم والفنون الجميلة

ومما لا تخالطه شبهة أن الموسيقى كانت في أول عهدها مقصورة على الصوت الطبيعى الى أن تنبه الانسان بذاته على سبيل الاتفاق الى اختراع الآلات عند سماعه صفير الهواء المتولج في الخصاص والتقوب فاستعمل للنفخ أنابيب القصب والعزف أوتار القسي .

ولا ريب أن أقدم الآلات الموسيقية للنفخ ، كانت بناء على ما أيده قدماء المؤرخين المزمار والبوق والناي وربما كان الاخير أقدمها وهو أول آلة أخذها اليونان عن المصريين القدماء . وليس بخافٍ أن ما من أمة من الأمم أغفلت هذا

الفن الجميل ولو كانت متوغلة في التوحش والهمجية لما يحيط بها من العوامل الطبيعية ويكتنفها من الظواهر المؤثرة التي تكسبها جذلاً ومرحاً وتثير في نفوسها الميل الى محاكاتها وتقليدها وحسبك الهواء فانه يموج بالموسيقى ولولا تموجاته وروحاته وغدواته لأضحى غير صالح للتنفس وما الارض إلا صدى الكون وبناء عليه فما على الانسان الذي حباه الخلاق العظيم بجميل الصوت ولطيف الحس وحب الجمال الا أن يرفع عينيه نحو السماء ويسبح باسمه الاعلى هاتفاً وممجداً وحامداً إياه على عطاياه التي يتنعم بها في كل حين

كان الشرق على ما جاء في الكتب المنزلة والتاريخ أقدم من الغرب الذي اقتبس عنه المدنية والحضارة والعلوم والفنون ، فضلاً عن أنه مهيأ الوحي ومركز جنات تجري من تحتها الأنهار ، وكان بالتالى قدماً المصريين أول وخير أمة بلغت من الثقافة والحضارة والرقى مبلغاً جعلها مضرب الأمثال في العالم الذي كان يضرب في ظلمات الجهل وتبعهم البابليون واليونان والرومان . واذا سرّحنا الطرف في طرائق تفننهم في التخطيط الذي لا يزال لغزاً لم يحله إلاّن علماء الغرب في عصر الاكتشاف والاختراع للجيل العشرين وصهر المعادن وتبسطهم في علم الكيمياء وضروب الصنائع والفنون الجميلة والبناء والهندسة . وتأملنا ما بلغوه من المراتب العاليا في مذاهب الحضارة والبذخ ، وما كان لهم من استنفحال الملك أيقنا أنهم أيضاً أول من استعملوا الموسيقى في سائر احتفالاتهم الدينية داخل الهياكل حيث كانت تقدم القرابين لألهتهم وخارجها وفي أفراحهم ومآتمهم وساعات القتال تحميساً للجنود بدليل ما يرى لآلاتها الصوتية والوترية من صور على جدران هياكلهم وعلى تماثيلهم الضخمة فضلاً عن ان كهنتهم كانوا يتخذون فن الغناء علاجاً للأمراض العقلية فالإلهم وحدهم يرجع الفضل في انتشار الفنون والعلوم والصنائع على ما شهد بصحته يبيشر المؤرخ والبحاث فقال ما ترجمته ملخصاً :-

« إذا أمكنك أن تقصد إلى سراديب الأموات من قدماء المصريين »
« ونفضت ما علق بجثثهم المخططة من الغبار وعجنته عجناً واتخذت منه أشكالاً »
« وخبرته في قرن وأسमित تلك الأشكال رجالاً قدمتهم نصب عيوننا بصفة »

« وطنيين أو معلمين كان مثلك كمثل من قدّم التعاليم القديمة التي أبلاها تناسخ »
 « الملوك لجيئنا الحاضر طلباً لفائدته ، وخدمة للرفي والحضارة وقياماً باحتياجاته »
 « الضرورية »

وقد ذكر ابن خلدون ما يأتى فيما يختص بالغناء لاعتباره عاملاً كالياً للعرمان ولازمًا لحياة الانسان لا سيما في مصر، بلد الحضارة والفنون حيث يتعين الاستشهاد به فقال « وإذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في العرمان إذا توفر وتجاوز حد الضرورى إلى الحاجى ، ثم إلى الكملى ، وتقننوا فتحدث هذه الصناعة لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تقننًا في مذاهب المذوذات »

ثم أخذ الاسرائيليون عن المصريين مدة إقامتهم في مصر وجعلوه شعيرة من شعائرهم الدينية كما كان يفعل المصريون ، ولذلك كانوا يؤلفون في معابدهم جوقة للترنيم والعزف حتى اشتهر بين ظهيرانيهم داود النبي عليه السلام بتنظيم الأناشيد وترتيل المزامير . وكان معروفًا بحسن الصوت ، وقد اتفق أن ضاقت عليه الأرض برُحبتها في أثناء مرض ابنه العزيز وزاد به الجزع الى حد ان أهمل نفسه وامتنع عن الطعام واتسخت ملابسه ، ولكنه لما مات ولده وواراه في التراب اغتسل وبدّل ثيابه وحلق رأسه وتعطر وأمسك بقيثارته وعزف عليها ألحانًا شجية ولما سئل عن سبب عزفه أجاب قائلاً « لكى ألطف ما بنفسى من ماضى الجزع الذى لم يغفر عني فتيلًا إذ أنه قد حلّ القضاء وولدى لا يرجع إلىّ بالعويل والبكاء خلافاً لى فانى حتماً ذاهب اليه ولاحق به »

وقد أخذ اليونانيون الفن أيضاً عن المصريين حينما اتصلوا بهم وتعاملوا معهم في أنواع التجارة وغيرها في عهد أمسيس أحد القراة للدولة السادسة والعشرين ومبروا فيه وأحكموا أصوله وبلغ منهم مبالغاً سامياً حتى ان فلاسفتهم وقفوا عليه جهودهم وحذقوا علمه كسقراط الذى كان يشف آذان أصدقائه ومعاشره بفنائه الشجى ، وأفلاطون الذى استرسل اليه وأطرب في فضائل الموسيقى قائلاً ما معناه « انها غذاء النفس ومبعث الاتزان والفظان وهى عطية آلهة الفنون الحرة التى تحوّل

ما فينا من شاذٍّ مُنْتَقَلٍ الى محكم ثابت وترد كل تنافر الى جناس متناسب وتبصرنا طريق الهدى . وقد أردف أيضاً في كتابه « الجمهورية » ما مؤداه « ان الموسيقى علم يجب تعلمه كالرياضة البدنية . فالأولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها . والثانية تقوى الجسد » وأزيد عليه رمزاً الى مزايا الموسيقى الفريدة في بابها والجزيلة الفائدة فأقول . ان الزيادة في استماعها تؤدي الى زيادة الجذل والسعادة ونعمة البال خلافاً للرياضة البدنية فان في الافراط فيها ما يؤدي الى الاضرار بالجسم لما يكلفه من عناء فوق الطاقة .

ومما يروى في خرافات اليونان أن أرفيوس كان يتسلط بأغانيه على الوحوش الضارية فيجماها أطوع من بنائه وكان يستوقف البحار الهائجة ويرقص الصخور ويحرك الأشجار فتسجد عند سماعها . وقد ذكر عن قدماء المصريين أن أئفون بن جويستر بنى أسوار طيبة بصوت العود الذي كان يجيد العزف عليه حتى كانت الحجارة تتجمع وتتلاصق وتتراص بعضها فوق بعض وذلك في أثناء عزفه ، وقال الدكتور كلارك البحاثة « ان الفناء على نغمات الموسيقى كان عادة مألوفة عند قدماء المصريين في أثناء قيامهم بالعمل »

أما لفظة موسيقى باللاتينية (musicien) فهي مشتقة من لفظة musa أى بالفرنسية « muse » ومعناها إلهة من آلهات الفنون وهن التسع بنات لجوبيتر ومنموزين وجميعهن أخوات شقيقات رمزاً الى اتحاد الفنون وارتباطها ببعضها بعضاً يترأسن أنواع الفنون الحرة . فالأولى احتصت بالتاريخ ، والثانية بالشعر الحماسي (الفروسية) والثالثة بالخطابة ، والرابعة بالغناء ، والخامسة بالرثاء ، والسادسة بالروايات المحزنة « تراجيديا » ، والسابعة بالروايات الهزلية « كوميديا » ، والثامنة بعلم الفلك ، والتاسعة بالرقص ، وكنّ علاوة على ما ذكر يقمن بتطريب جويستر كبير الآلهة بأصواتهن الجميلة . وأناشيدهن الشجية على قمة جبل الاولمب برئاسة أبولون الذي كان يعزف أمانين على نايه المشهور .

ومما يلاحظ أنه لم يعرف شيء عما اذا كان الأقدمون قد استعملوا للآلات الوترية القوس المسمى بالفرنسية archet وبالانكليزية "bow" لأنهم لم يسبق

لهم معرفته بدليل انهم كانوا يستعوضون عنه بريش الطير أو بعفق الأوتار بالأصابع ولا يخفى انها كانت في بدء ظهورها غير مستوفاة التركيب وغير جيدة الصنع الى أن تدرج تحسينها بواسطة صانعيها شيئاً فشيئاً الى حد الكمال والاتقان كما سترى فيما يلي فان الفيولونسيل والفيولا والفيولينا (أى الكمنجة) التي ظهرت في أواخر الجيل السادس عشر كان أول صانع لنوع الكمنجة من الأنواع الثلاثة المذكورة جاسبار دا صالو الطلياني الذي وُلد حوالى سنة ١٥٤٢ إلا ان بعضهم يزعمون ظهورها قبل ميلاد جاسبار وفي كل حال فانها لم تبلغ الغاية المرادة من الدقة في عصره وكانت مهمة وعديمة النفع وقفاً لإثره مارجيني تلميذه وأدخل عليها التحسينات اللازمة كما فعل بعده أندريا آماتي (١٥٣٠ - ١٥٨٠) الذي حذق عملها وقرع صيته الاسماع حتى كلفه شارل التاسع عشر ملك فرنسا الذي كان معدوداً من أعظم هواة الفن بصنع ٢٤ كمنجة متنوعة الحجم لزوم كنيسة الملكية فقام بصنعها جميعاً وامتدت اليها يد الضياع في أبان الثورة الفرنسية

أما ما كان من أمر العرب فانهم تقلوا الموسيقى عن اليونان والفرس وأشهر الكتب التي ترجموها عن فلاسفة اليونان بعرفة مَهْرَة الترجمة مؤلفات فيثاغورس في الموسيقى والحساب وغيرها من العلوم الرياضية وشغفوا بها شغفاً أدى الى ان وسمت قواعدهم الموسيقية وأغانيهم بالطابع اليوناني

بدهى ان العرب كانوا أهل نجمة وخيام والآف بادية وأنعام لا ينجحون الى إقليم معين وليس لهم مقر يرتافون منه - حالة منافية لطبيعة العلم وما يقتضيه من . القرار والتوفر على البحث والاستدلال ومناقضة لقواعد الحضارة وال عمران لتصديمهم الى شن الغارات ومواصلة المغازي والمشاحنات - فلما ظهر الإسلام ولأم صديق شملهم اشتغلوا بالفتوح وانصرفت عزائمهم الى توسيع نطاق ملكهم لا سيما بعدما أوتوا النصر المبين كانوا من أبعد الناس عن الاشتغال بأسباب العلم وأشدهم أنفة عن انتحال الصنائع لانهما كهم في تدبير شؤون دولتهم وسياستها وحمايتها خشية أن يكونوا مغلبين لغالب أو طعممة لآكل ولم تحفزهم وقتئذ الحاجة الى ضبط قواعد لغتهم فكان سيئويه صاحب صناعة النحو والفارسي والزجاج والزمخشري وأمثالهم

من فرسان الكلام وكلهم عجم بالنسب قد اكتسبوا اللسان العربي بالمرجى ومخالطة العرب وكذا حَمَلَة الحديث الشريف الذين حفظوه عن أهل الاسلام اكثرهم عجم أو مستعجمون لغةً ومرجى وكان علماء أصول الفقه كلهم عجمًا وكذا اكثر المفسرين ولم يتم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم كما ذكره ابن خلدون وظهر مصداق قوله (صلعم) « لو تعلق العلم بأكناف السماء لئالهُ قومٌ من أهل فارس » ولما رسخت قواعد دولتهم ورأوا في أكثر الممالك التي وطئوها من أسباب الحضارة والرقى والتضلع من أنواع الفنون ما حَبَّب اليهم درس العلوم والصنائع انصرفوا الى طلبها بصريمة محكمة وذلك في اثناء المئة الثانية للهجرة بعدما دوخوا الممالك واستولوا على أعنة أمورها وزال ما كان بينهم من المنازعات على الخلافة وغيرها .

وأول من اشتهر من العرب يعقوب الكندى الملقَّب بفيلسوف العرب من القرن الثالث وله عدة تأليف في المنطق والفلسفة الناطقة وشروح على كتب أرسطو وكانت له عدة مصنفات في الموسيقى والهندسة والحساب والهيئة وجاء الفارابي الذي له عدة تأليف في الفلسفة والموسيقى والسياسة المدنية وغيرها وله تعريب كثير من كتب أرسطو ولائس سيناء كتاب المدخل الى صناعة الموسيقى ومنهم ابن باجة ابو بكر محمد بن يحيى التجيبي السَّرْقُسطي المعروف بابن الصائغ من رجال القرن السادس كان من أكابر فلاسفة العرب بالأندلس وكان له باع طويل في الموسيقى والطب وعلم الهيئة والرياضيات . وكان الرازي من المتقدمين في الطب والموسيقى والمنطق والهندسة وصفوة القول ان المؤرخين من العرب هم أكثر من أن يأخذهم الاحصاء ومن العلوم التي بحثوا فيها وتكلموا عليها العلم الطبيعي الذي أخذوه عن مصنفات أرسطو وغيره من متقدمي اليونان فبحثوا ضمناً في الأصوات والنفثات في الكلام على المسموعات وكانوا والحق يقال أهل صنائع بدیعة وفنون غريبة وتجارة رائجة وزراعة نامية وكان العلم مصباحاً يضيء جنودهم أينما حلوا في كل بلاد وطئتها حوافر خيلهم وافتتحوها حتى امتدت حضارتهم من أطراف آسيا الى أقاصى افريقيا ووسط اوربا . ولولبت الدهر باسماء لهم ومسالمًا الى يومنا هذا لم يبعد أن كانوا بلغوا ما بلغ غيرهم ممن اقتبسوا عنهم علومهم وفنونهم وصنائعهم وضربوا فيها

بهم وافر مثلهم . وما لا يختلف فيه اثنان أن الافرنج الذين خلفوا العرب قد أخذوا عنهم كثيراً من المصنوعات كالبارود والورق والخزف والسكر والزجاج وتركيب الأدوية وتصفية المعادن وفنون النساجة والدباغة وذلك دليل قاطع على تمام تمدنهم وشغفهم بالفنون الجميلة وعلى رأسها الموسيقى التي كانت في أبان بداوتهم وجاهليتهم مقصورة على الترنم بالشعر وتغنى الحداقة منهم في حداث إياهم والفتيان في فضاء خلواتهم وكانوا يرقصون على الدف والمزمار فلما جاء الإسلام وتغلبوا على الفرس واختلطوا بهم سمعوا تلحينهم للأصوات فاحنوا عليها أشعارهم وكما ازدادوا غرقاً في النعيم والترف ازداد تولعهم بالغناء بمقدار ما نقص من خشوتهم وألفوا عوائد من اتصالها به من الروم والعجم الذين اشتهروا بالتبحر في علم الموسيقى . وكفى بتسمية الأنعام الموسيقية بألفاظ فارسية دليلاً على ما لهم فيها من المزايا الظاهرة على حد الشعر حتى سميت بلادهم ببلاد الجمال الشذية

على ان الغناء كان في زمن الجاهلية من خصائص الاماء وتسمى عندهم الأمة المغنية بالثينة والكونية . وقد زعموا أن أول من غنى من الاماء جارتان كانتا لمعاوية ابن بكر من قبيلة عاد الهالكة وهما المدعوتان في الاخبار بالجرادتين وقد قيل انهما وضعتا الحاناً اعتبرت من الطبقة الأولى وقد ذكر بن خلدون ما يأتي :-

« وقد ظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائر بن جابر مولى عبید الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن شريح وانظاره وما زالت تتدرج الى أن تمكنت أيام بنی العباس عند ابرهیم بن المهدي وابرهیم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد . » اه وكان أحسن الناس غناءً في الثقيل على ما قيل هو ابن محرز وفي الرمل ابن شريح وفي المزج طويس وكان الناس يضربون به المثل فيقولون أهزج من طويس وكان ينثر بالدف دون أن يعزف على العود وقد أخذ عنه أسرى الفرس في اثناء اشتغالهم بأعمال البناء وغيرها كثيراً من النغمات والالخان والموازين وكان يلقب (طويس) بالذائب لأنه غنى البيت الآتي :

قد برانى الحب حتى كذتُ من وجدى أذوب

وقال صاحب الأغنى عن ابن شريح ما يأتى « ان ابن شريح عندما شعر بدنو أجله أحزنه أن يموت بدون أن يترك لابنته شيئاً من الثروة فأجابته هذه قائلةً « لا تحزن يا أبى فقد وعت الذاكرة جميع الحانك وستكون هذه الألحان مورداً كبيراً لى بعدك . وهذا ما حدث فقد تزوجت ابنته بسعيد بن مسعود الهزلى فأخذ عنها غناءً أيها فصادف به نجاحاً كبيراً وجنى منه فوائد جمّة . وقد مات شريح حوالى سنة ٧٢٦ مسيحية بالغا من العمر خمس وثمانين سنة »

وقد سُئل شريح مرةً عن قول الناس، فلان يصيب وفلان يخطئ، وفلان يُحسن وفلان يسيئ، فقال : المصيب المحسن من المنعنين هو الذى يشبع الألحان ويملاّ الأنفاس ويعدل الأوزان ويفخّم الألفاظ ويعرف الصواب ويقيم الإعراب ويستوفى النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم الصغار ويصيب أجناس الإيقاع ويختلس مواقع النبرات ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النقرات، فعرض ما قال على معبد بن وهب فقال : « لو جاء فى الغناء قرآن لما جاء إلا هكذا »

جميله نبغت جميلة فى فن الغناء، وقالت ان الفضل فى نبوغها يرجع الى سائب خاثر الذى كانت تسمعه يغنى ويعزف على عودده وقد جاء ابن شريح ومعبده ومالك وجميع الموسيقيين المشهورين المدينة ليلتقوا فن الغناء عن جميلة فى مدرستها ففى ذات يوم غنت جميلة لحناً من تلاحينها فى شعر لحاتم الطائى فصاح جميع من حضر وقالوا : ان هذا الغناء لجدير بداود

عزة الميلاء تلميذة رائقة وسميت الميلاء لا عجبا بها بنفسها وميائها فى مشيتها وكانت تعنى أغنى القيان من القند

سائب خاثر تعلم سائب خاثر الغناء عن أماء كانت مهتبهن ترديد المراثى فى حفلات الموتى وكان يغنى بدون أن يصحب صوته بالة لاكتفائه بعضا كان يضرب بها الأرض ليزن الغناء ولكنه تعلم العزف على العود أخيراً وهو أول من غنى بالعريسة الغناء الثقيل وأول تالحين له البيت الآتى

لمن الديار رسومها قفر لعبت بها الارواح والقطر

- ابو عثمان سعيد ابو عثمان سعيد بن مسجح هو أول من ابتدع طريقة للفنّاء العربى على سلم
ابن مسجح الأصوات مما اقتبسه من الفرس واليونان آخذاً عنهما أجمل ما فيهما من الأصوات
ومهملاً ما لم يلائم ذوقه منها
- ابن محرز مُسلم بن محرز أصله من الفرس تلقى الألحان عن عزة الميلاء فى المدينة
وينسب اليه اختراع الرمل كما ذكر فى كتاب الأغانى وهو أول من غناه وما غناه
أحد من قبله وأول من غنى رملًا بالفارسية سلمك فى عصر الرشيد . ولما شخّص
ابن محرز الى فارس حيث تعلم الحان الفرس وصار الى الشام تعلم الحان الروم فمزجها
ببعضها بعضاً وألف منها الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب
- ابو كعب حنين ابو كعب حنين بن بلوع المعروف بالحيرى كان مسيحياً
ابن بلوع لا يعرف له أب وكانت أمه ماشطه وتسمى عائشة
- محمد بن عائشة سلامة القس أخذت الفنّاء عنه جميلة ومعبد وابن عائشة
- سلامة القس كان شاعراً مفلقاً ومغنياً بارعاً وقد أخذ الفنّاء عن ابن شريح وابن محرز
يونس الكاتب والفريض وهو أول من ألف كتاباً فى الاغانى حوى معلومات وبيانات ذات شان
ولكنه فقد كما فقد كتاب آخر فى الموسيقى وضعه خليل بن احمد
- ومن أشهر المغنين أيضاً ابن شريح والفريض ومعبد وحكم الوادى وفيلج بن ابى العوراء
وسياط ونشيط وعمر الوادى وابراهيم الموصلى وابنه اسحق وغيرهم

الفنّاء القديم والفنّاء الحديث

لما زها العصر العباسى الأول فى زمن الرشيد والمأمون واطلقت الألسنة والافكار أخذ المغنون
يفكرون فى تعديل الألحان واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي
أخو الرشيد وكان من الطامعين فى الخلافة فلما استتب الأمر لأخيه المأمون انصرف هو الى الفنّاء
كما انصرف خالد بن يزيد الأموى الى الكيمياء لما ينس من الخلافة وكان ابراهيم من أعلم الناس
بالنغم والوتر والاياقات وأطبيهم فى الفنّاء وأحسنهم صوتاً وهو يعد من الطبقة الاولى فى عصره .
لكنه كان مقصراً عن اداء الفنّاء القديم على طريقة الموصلى فكان يحذف نغم الاغانى الكثيرة

العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته وإنما تجرأ على ذلك بما له من المنزلة عند الناس فكان إذا عوتب قال : « أنا ملك أغنى كما أشتهى » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة

وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين وأصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي فساداً في هذه الصناعة لأنهم يفضلون التقديم فخذوا في الرجوع اليه

على ان ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني فكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الأوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعمل الاغانى سماه (الآداب الرفيعة) نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى والغناء قبل كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني (نقلاً عن تاريخ آداب اللغة من الجزء الثاني للعلامة المرحوم جورجى زيدان)

أما الموشحات فذكر عنها ابن خلدون ما يأتي : « وأما أهل الأندلس فلما كثرت الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً أغصاناً يكثر من أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد ويتجاوزون في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتها فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القرّان شاعر المعتصم ابن صمادح صاحب المرية » اهـ

ومن هذه الموشحات خرجت القدود التي جاء بها شاكر افندى الحلبي الى مصر في المائة الاولى بعد الألف على ما ذكر في باب حياة عبده الحمولى فليراجعه من يشاء



عبد الحمولى

تاريخ حياته ومجوده الفنى ومعاملته فى المجتمع وما جرى له

وُلد المغفور له عبد الحمولى سنة ١٢٦٢ هجرية (تقريباً) بمدينة طنطا ، وكان والده الملقب

بالحمولى (نسبة الى حمول
أو حامول من أعمال مركز
تلا مديرية المنوفية)
يمارس تجارة البن . وكان
للفقيد أخ أكبر منه
سناً وما عثم أن وقع بينه
وبين أبيه شقاق حتى فرَّ
به من وجهه وهام كلاهما
فى الخلوات مشياً على
الأقدام . ولما تعب
المرحوم عبد من السير
اصغرسه حملة أخوه على
كتفيه واستمرَّ على هذا
المنوال الى أن صفت
الشمس الى الغروب
وضعت نفسها من
التعب دون أن يجدا
أحداً يأنسان بصحبته أو
يلجأ ن الى ضيافته . وقد
هدمتها أخيراً خاتمة



(عبد الحمولى بين الأزهار)

المطاف الى رجل اسمه شعبان لى طلبهما بكل ارتياح وآواهما على الرحب والسعة . وكان المضيف من حسن الصدف يشتغل بصناعة الفناء والعزف على القانون ، وما لبث ان سمع صوت عبده الرخيم حتى افتتن به وعاد به الى مدينة طنطا حيث اشتغل معه مدة وجيزة ، وحضر به آخرأ الى مصر واشتغل معه بقبوة عثمان أغا المشهورة التى كانت فى وسط غابة من الأشجار موضع حديقة الأزبكية حالاً . ولما استقر بهما المقام فى مصر زوجه بابتته طمعاً فى الافراد عن مواقف المنافسين له بزية استغلال مواهبه العبقريه وحده ، وكان من وراء علمه أن المرء لا يخلو من أزداد على حد قول الشاعر. لأن « المقدم » الرجل الطائر الصيت فى فن الفناء ظهر له منافساً وذلك بعد أن علم بعبده وأعجب بصوته واتهم الفرصة التى فيها كان يغلظ شعبان لعبده فى الكلام ويسىء معاملته استناداً الى رابطة المصاهرة وتوصل بدھانه الى توسيع شقة الخلاف بينهما مما أدى الى تطليق ابنته ثلاثاً فألقته بتخته واستمر يعنى على الطريقة المعروفة عند محترفى هذا الفن من المصريين وقتئذ وأصلها يرجع الى رجل اسمه شاكر افندى من حلب الشهباء التى عصا التسيار فى هذه الديار فى المائة الأولى بعد الألف حيث كان فن الألحان فيها مجهولاً فنقل اليها عدة تواشيح وبعض قدود كانت البقية الباقية من التلاحين التى ورثها أهل حلب عن الدولة العربية بدليل أن الحليين الأذكاء ينزعون الى الموسيقى وتهفو قلوبهم فى أثر الطرب ولذا لا تخلو دورهم ومجامعهم لغاية الآن من الآلات الموسيقية التى يحسنون غالباً العزف عليها ولما تلقاها عنه بعض المحترفين من المصريين ضنوا بها طمعاً وحرموها غيرهم من الانتفاع بها دون أن يذيعوها على الملأ طلباً للتفرد بها ولو تأذى الفن بمثل هذا الاحتكار وكانت مقصورة على أمهات المقامات وبعض ما تفرع عنها مما يقارن بها ولا يشرد عنها فأخذ المرحوم عبده بما حباه الله من مواهب فذة فى صقلها وتهذيبها مضيفاً اليها ما عن له من النغمات تمشياً مع نوااميس الرقي والاصلاح ونفحها بروح مصرى وكساها بجلباب عربى ووسمها بطابع بهيج وذوق سليم فرماه لذلك المحترفون الرجعيون بالزندقة وقاطعوه بشدة لشروده عن البالى من غنائهم وتبديل نبره الحلبي بالألغام المصرية فأفرغها فى قالب على أسلوب رشيق ضارباً عرض الحائط بكل الاغانى التى تعتورها الركاكة ويشوئها اللحن أو يتجاذبها التناثر مما تنقبض منه الصدور وتسأمه النفوس . فانتهى به الأمر أن انتصر عليهم جميعاً واضطروا الى الجرى على منهاجه بعد ان بآءوا بالذل والخسران . فأخذت الموسيقى فى ذلك الوقت تتدرج وترتقى بعد أن أنعشها من كبوتها حتى بلغت ذروة الكمال لاحتوائها على أنواع من السحر وعوامل من التطريب بما أدرجه فى صلبها من نغمات التهوند والحجاز كار والعجم

عشيران التى تلقنهما عن مشاهير المطربين فى الاستانة طيلة الرحلات المتعددة التى قام بها وهو جمعية ساكن الجنان أبى الأشبال الخديو اسماعيل محيى الفنون الجميلة فى وادى النيل الذى يرجع اليه كل الفضل فى إيماء مواهب عبده الفنية وتوجيهها للنهوض بهن الغناء العربى الى المستوى اللائق به لما وجد فيه من ميل فطرى وسعة تصرف فى النغمات . فكان ينتقل من نغم الى نغم ، ثم إلى أنغام أخرى ويحيط بكل فروعها ويعود إلى النغم الأساسى بطريقة فنية وتصرف غريب ولم يدع فى الغناء القديم شواذاً إلا ردها إلى قواعدها أو مسموعاً قبيحاً إلا طرح معاييه وألبسه أنصع جلاباب متحاشياً اللغو والحشو والتمعية مرتفعاً عن مقام التلفيق والتحدى منزهاً عن التسج فى التلحين على منوال المحدثين بخروجهم عن جادة الصواب ومسخ محاسن الغناء العربى الصحيح

وبالجملة فانه استطاع علاوة على تهذيبه التواشيح والقذود التى تلقاها على الطريقة الحلبية الوصول الى التوفيق بين المزاكين المزاج التركى والمزاج المصرى بمعنى أن أهل الطبقة الحاكمة فى مصر كانوا لا يطربون من الغناء العربى لكونهم يرجعون إلى محمد تركى فأصبحوا بفضل ما أدمجه من النغمات التركية التى سمعها وهو فى الأستانة على ما سبق الايماء إليه يميلون إلى سماعه ويفضلونه على سواه على حد ما حدث للمصريين أنفسهم فانهم أعجبوا بالنغمات الجديدة التركية التى عدلها ومزجها بالنغمات المصرية بما يلائم أذواقهم ونفحها بروح العروبة وعجنها من طينة الحرية فدرجت من مهد السيادة الشرقى والمجد المصرى الأصيل ونالت استحسانهم بالاجماع بعد إن كانوا ينفرون منها ولا يرتاحون إلا إلى نغمات الأنين والتوجع التى اقتصروا عليها فى محيطهم الضيق

على أننا إذا تأملنا عمله هذا وما نجم عنه علمنا أنه لم يقتصر على التوفيق بين أنغام الجنس المصرى والجنس التركى فحسب بل تجاوز هذا الحد وفات هذه النتيجة الفنية وصعد إلى ذروة العلى من الوجهة الاجتماعية بإيجاد صلات بين الشعبين متينة الأسباب حتى تقاربت قلوبهما بعد التباعد وامتزجت أراحهما امتزاج الماء بالراح ، وتمكنت بينهما الألفة ردحاً طويلاً تمكننا لا يشوبه كلال أو يعتريه ملال .

وكثيراً ما كان يذكر فى « بشارفه » وأدواره عبارة (آمان يا لالى) والآهات التى أخذها عن الموسيقى التركية . وكان ينقل ترجمة الأغنى التركية إلى العربية وينظمها الشعراء ، مثال بشرف « بلبل الأفراح غنى آمان فى الرياض السندسى » ببعض التصرف تمشياً مع الغزل العربى وتفكهاً للقارىء . أروى الواقعة الآتية للدلالة على ما كانت ترمى اليه الأغنى من الأنين

السائد على العقول وهو أن سائحة أمريكانية سمعت رجلاً يغنى بالقرب من فندق الكونتينتال بشكل غريب الدور الآتي « حبيبي حبيبي شوفوه لى ياناس » شرذ منى ويده الكاس - أترجاك تعمل معروف » فأوعزت من فورها إلى ترجمانها بأن يعطيه بالنيابة عنها دولاراً ليستعين به على شراء أى دواء من أقرب أجزاخانة طلباً لاسعافه بالعلاج ليتخلص من مفعص كالوى كانت تتوجس منه خيفة وترى بسببه أنه لم يبق من عمره إلا اليسير فضحك الترجمان لكلامها وقال لها ياسيدة : « ليس المغنى بمريض . إنما هو عاشق ومغرم صباية فدهشت من قوله وسألته عن معنى غناؤه وما كادت تقف على كنهه ما احتواء من معانى البلادة والحمول حتى ضربت برجلها الأرض قائلة : « دم فول » إنه حقاً عاشق كسول وعليه أن يبحث عن حبيبته ، وليس للناس شأن فى ذلك . ولقد قالت الحق الذى لا ريب فيه لأن المرء أحق بأن يعين نفسه من أن يعينه الغير ، ولا خير فيمن لا يعين نفسه ، والكسول كالميت لا فائدة ترجى منه ، والأدهى أنه يشغل مكاناً أوسع من مكان الميت وليست أغلى الأمة إلا رمز أمانيتها ومحك نفسياتها ، ومحس قوميتها وثقافتها وقد قام المرحوم الياس الأيوبي بإيراد هذه القصة فى تاريخه (عن الحديو اسماعيل) ونسب ما جاء بها من النقد الى لورد كرومر . ففي الاستشهاد بما قالته السيدة الأمريكانية هنا أو بما قاله الأخير فى الموضوع استنتاج واحد ولو اختلفت النسبة

على أن تأثير الوحشة المؤلمة والتعب المضنى والجوع والظلم فى ظليمة اليوم الذى خرج فيه عبده من بيت أبيه طريداً شريداً كانت لا تزال مرسومة فى مخيلته ، حتى أنك كنت تراه فى آخر أيامه يقطب وجهه وينقبض صدره ويتقلص بشره كلما دخل عليه وقت الغروب ويعزى كما لا يخفى انقلابه الفجائي من السرور الى الكدر والانقباض فى نفس ذلك الميعاد الى ما كان منتقشاً فى صفحة ذهنه من ذكرها المؤلمة وذلك دليل واضح على قوة ذاكرته وما كان فى نفسه من الشمم والاباء وحرصه على كرامته الشخصية بالرغم من صغر سنه حتى أمام والده الصادر عنه الضيم المسىء والعذاب الأليم اللذين كان يوجههما إلى ابنه الأكبر دون عبده الصغير الذى لم تفرط منه هفوة . ولذا كان فى أثناء تكدره ينالم على التخت وقت الفناء حتى اذا استيقظ رجع الى النعمة التى وقف عندها قبل نومه من غير مراجعة آلة ما أو استنفاض التخت أو الاسترشاد بأحد العازفين فيه كأن الطبقة قد انتقشت فى صفحة ذهنه وأنها فى كن من تأثير جميع الأصوات التى مرّت عليه وهو فى نومه أو غيبوبته وأغرب ما فى هذا الأمر أن الحضور كانوا يمهّلونه وينتظرون تيقظه بكل سرور حتى اذا

ما استأنف غنّاه بعد نصف ساعة أو ساعة يهزون أعطافهم ولو حدث مثل ذلك البطء من أى مطرب آخر لغادر السامعون أما كنهم وانصرفوا الى منازلهم
ومما لا يختلف فيه اثنان انه كان يصوّر معاني أغانيه وما تخلل أجزاءها من أحوال وحوادث على أوضح صورها وأشدها تأثيراً فى عقول السامعين الذين يعجبون لسماعه يغنى دوراً من تلاحيته (حجاز كار)

أشكى لمن غيرك حبك أنا العليل وانت الطيب
اسمح وداوينى بقربك واصنع جميل إياك أطيّب
ويستغربون تشخيصه أمامهم صورة العليل ومر شكواه من داء حبه المقام وطلبه من الطيب أن يشفيه منه . ودور « أنا حيت وزاد قلبى هيام » فانه يخيل اليهم أنهم يقرأون الحب على وجهه . وأنه ذهب بفؤاده كل مذهب وبرى الشوق عظمه . ودور « سيكاه » تلحينه كان يغنيه فى حلوان بالكازينو . وقد ظهر فى عصر ساكن الجنان الحديو توفيق يوم ان تقلت محطة حلوان من المنشية (بالقلعة) الى باب اللوق حيث هى الآن وكان هذا الخط تابعاً لشركة سوارس وقد غناه فى حضرة الحديو توفيق فأعجب به وهو كما يأتى :

متع حياتك بالأحباب ما أحلى الموانسة فى حلوان - أنسك ظهير
شأن الطرب - رب يشفى الأوصاب - الى حضر
وكيد زمانك واتهى وافرح وطيب
وانفى همومك بالأكواب - سعدك قمر

ودور (راست) تلحينه « المطريكي ياناس لخالى » اذا غناه رفرف السامعون عليه بأجنحتهم وراؤا المطرينهم عليه ودور (يانى) تلحينه أيضاً « بسحر العين فيذكرهم فتور الجفون وسحر العيون وما يليه من تحول الخصور وابتسامات الثغور وسريان الريح برى الزهور الخ الخ على ما وقفت عليه بنفسى وسمعت بأذنى وأيده حضرة الاستاذ قسطندى منسى الموسيقار من معاصريه
ولما كنت أعرف المرحوم عبده حق معرفته من حيث أطواره ونفسيته وعبريته لما كان بينه وبين والدى من قوى الجمعة وتمكن الألفة بينهما فضلاً عن كثرة غشيانه الرقازيق عاصمة الشرقية حيث كانت له عزبة بناحية الشولية على ترعة الاسماعيلية بتركز بليس يبلغ مقدارها ٧١١ فداناً من الاطيان المرملة التى كان قسم منها يبلغ نحو ٨٦ فداناً يؤجر بثانية جنيهات والبقية منها كانت تحت

التصليح كان عهد الى المدعو ابراهيم حلى أخى معاون محطة حلوان فى ادارة شؤونها و بعد وفاته قام ابراهيم باسبلى بك عريان صديقه الحميم بالاشراف عليها بنفسه وتولى دفع الأقساط المستحقة عليها لابنك وهو الذى اشترى منزله الكائن بالعباسية بشارع « عبد الحمولى » المسى باسمه وكان معدوداً من اكابر ملتزمى الاسماء هو وحسن عيد وعويس الذين اعتادوا التزام حلقات الاسماء فى القطر المصرى من وزارة المالية وقد تولى باسبلى بك أمر ولده الدكتور محمد الحمولى الذى فاته والده وهو فى الرابعة من سنه واهتم بشأن تربيته اهتمامه بولده الخاص وفاء لوالده بعهدده أرى واجباً على وخدمة للتاريخ أن أذكر كلمة موجزة عن حياته الخلقية والفنية وأبين للقارىء الكريم كيف وقع القاؤه الاغانى فى النفس موقعاً جليلاً وأربى على الاكفاء من المحترفين لفن الغناء من أبناء عصره تذكرياً لمعجبيه بأساليه الحسنة وحبه الشديد للارتقان واتحافاً للمحدثين الذين لم يسمعهو بما رقت وراق من سلامة ذوقه وكمال تربيته وقوة ابتداعه ليقفوا على حقيقة أمره وما كان له من القدر المعلى فى جميع فنون الغناء فأقول كشاهد عيان سمع صوته الرخيم وسبر غور نفسه النبيلة بتمثيله للمواطن أحسن تمثيل فانه كان يغنى وهو مشروح الصدر عن عاطفة ووجدان أحياناً وأدواراً تعبر عن نفسيته فيدركها السامع متأثراً بثل تأثره . ولم يمتز عن سائر المغنين فى عصره ليس بصوته القوى الرخيم وتلحينه الشجي الخاص به فحسب بل بما حباه الله من روح يسيطر عليه فى ابان « السلطنة » على جميع النغمات فيأتى من غرائب التفتن فى الغناء ، واللقاء البديعين ما يحمل أفكار سامعية على أجنحة تصورات الساحرة فيخيّل اليهم انهم ارتقوا الى المراتب العلوية ورأوا أشياء لم يروها ولم يحملوا بها فضلاً عما له من لطيف الحس وشديد الحب للجمال اللذين أمكنه بهما أن يبت فى نفوسهم روح الغيرة والعظمة ومثانة الأخلاق والحماسة العربية وكافة المحامد والفضائل ذلك سرتفوقه على نحو ما حدث لكل من تهوون الموسيقى الغربى الأواحد وجون ملتن الشاعر الانكليزى الكبير وأبى العلاء المعرى الشاعر العربى فان الأول كان أصم لم يمنعه الصمم عن التلحين ولو لم يسمعه وكان الثانى والثالث أعميين لم يبصرا ما حولهما فقام كل واحد منهما بوصف الجنة وجمالها وبهاثها ورياضها ومائها والخلود وما ذلك إلا بما أوتوا من روح الالهام وما تغافل فى نفوسهم من لطيف الحس وحب الجمال وروح الحب على نحو المثل القائل « اعطنى حبا أعطك فناً » ومن أحكم ما يحسن ايراده بنصه الانكليزى معرباً بقدر الامكان

.... Art is much but love is more,
Art symbolises heaven. but Love is God
And makes heaven

إذا كان في الفن شيء كثير فإن في الحب شيئاً أكثر فالفن يرمز الى السماء والله محبة وهي للسماء صانعة - وقيل أيضاً « أحب وحائق » "Love and soar" وبالجملة فإن فقيدنا « عبده » كان للموسيقى معجزة وسيداً عليها يتحكم بها ولا يأنثر بأمرها كالموسيقين السابقين واللاحقين الذين كانوا وأصبحوا عبيداً لها ولا أبالغ إذا جاهرت قائلاً بأن أريكتم ما زالت شاذرة بوفاته الى وقتنا هذا حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً وهل يُظن يا ترى أن تنجب مصرنا عبقرية آخر يماثله أو يدانيه ؟

ومما يؤثر عنه انه بينما كان يغنى بالهياتم في منزل صاحب السعادة الفريق أحمد زكي باشا ياور ساكن الجنان الحديو اسماعيل وأمامه الاستاذ فخره المطرجي (الحلبي) اكبر العازفين على القانون في مصر وكان قانونجي السلطان عبد العزيز افتتن الحضور بشجي ألحانه وساحر نغماته التي كان يغنيها براحة ودعة محرراً بين أصابعه حبات المسبحة الكهرمان ولما لم يسع المطرجي اللحاق به لقوة صوته وغريب تصرفه وسعة حيلته الفنية وبُحته وقيته الماسة مقامات الموسيقى كلها إنتهى وانتهى به الأمر أن أمسك قانونه وطرحه امام « عبده » دلالة على عجزه وقال له « خلاص ياسي عبده أجيب لك منين » إيماء الى المقامات العالية التي كان يأتيها ولا قبل لأعظم عازف بها على حد ما كان يقصر عنه باع الاستاذ محمد العقاد الكبير القانونجي الشهير حالاً كان يحاول عقق أوتار قانونه الخالي من العُرب التي لم يأنفها طلباً لتصوير نغماته فكان يشير اليه عبده مبتسماً بأن يكتفي بامساك « بب » على قانونه في اثناء لعبه بالنغمات .

وكان أحياناً يند عن المؤلف ويتحول في الدور من نعمته الاولى الى نفعة ثانية ثم يعود الى الاولى ويقفل بها الدور بعد ان يفوت بصوته مارش النسر وينزل متسلسلاً الى القرار على حد ما حدث ليلة زواج الاستاذ ابراهيم مهبون السكاني فغنى دور « أصل الغرام نظرة » على نفعة الرصد ولما أطلق لصوته العنان في سماء التطريب أبدل جواب النفعة بالسيكاه وتسلطن بها على الرصد ونزل متسلسلاً وأقفل الدور رصداً مما أدهش الشيخ محمد عبد الرحيم السلوب الملحن الكبير وكاد يشق ثيابه من شدة الدهول وصاح قائلاً « الله أكبر سبحان الوهاب ياسي عبده »

ومما يماثل ذلك ما حدث لعمر بن أبي ربيعة يوم غنته عزة الميلاء لحناً لها فيه شئ، من شعره ، فشقَّ ثيابه وصاح صيحة عظيمة صقق معها . فلما أفاق قال القوم : « لغيرك الجبل يا أبا الخطاب، فقال والله انى سمعت مالم أملك معه لا نفسى ولا عقلى » . وقد روى عنه المرحوم أنطون الشوا والد الاستاذ سامى الشوا أمير الكمان أنه كان لقوة صوته يضطر إلى إعلاء كمانه ثلاثة مقامات عن المعتاد كلما كان يشتغل على تحته خلافاً لما كان يفعل بينما يكون شغلاً مع محمد عثمان فانه يوطىء كمانه ثلاثة مقامات إلى أسفل تشبيهاً مع صوته

وقد امتاز عن معاصريه من المحترفين فى غناء القصائد والمواويل والأدوار يبدأه من القرار الهرمى المتين والقوى الواسع الى الجواب ماساً جواب الجواب محيطاً بالمقام من أوله الى آخره إحاطة الحالة بالتميز . وكان يستمر فى القاء القصيدة ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات من دون أن يشعر من الاستمرار أو التكرار بتعب أو يرهقه عجز أو إعياء . فاذا استعادت منه حركة من حركاته التى كان يلقبها فتارة كان يغنيها مع تحسينها بادغال شئ جديد عليها (ولكل جديد لذة) وطوراً كان يستبدلها بغيرها على طراز أبدع فيصير السامع أحير من ضب الى أن ينتهى به العجب بأن يؤثر الثانية على الأولى لما وجد فيها من طلاوة وعذوبة وآونة كان نزولاً على رغبة الطالب يبدأ بالحركة نفسها المطلوب إعادة القائها وبمخرج منها إلى نغمات غريبة يعرضها عليه فجأة متنوعة الألوان متشعبة الفروع وصحيحة الأوزان ثم يعود اليها طبقاً للأصول الفنية سالماً منصوراً

أما تلحينه فحدث عنه ولا حرج لما توفر فى صوته القوى من صفات نادرة فى القرار والجواب وحسن التوقيع ودقة الايقاع ومناسبة الأصوات وجناس النغمات وتشخيص الانفعالات الملائمة بلطف الاشارات وخفة الحركات فتتمثل أمام السامع صور ما يلقبه على أتم معانيها ويرجع إعجاز تلحينه الى تعدد نغماته وتغييرها وتشكيلها ورسم ألوانها التى تحاكي ألوان زهور الربيع وكثرة المقامات حتى يخل الى السامع أن نغماته إن هى إلا قطع التبر ، وان معانيها إن هى إلا أخذ السحر .

وبالجملة فان صوته السحري اذا سخره لأى نغمة من النغمات أو بعبارة أخرى اذا انتقل من نغمة الى أخرى أو من الأدنى الى الأوسط والى الأعلى فمحال أن يقلده مجازف من المحترفين أو يدرك شأوه خلافاً للملحنين الآخرين فان تلاحينهم كانت سهلة التقليد وقرية المتناول لسهولة القائها وبساطة ما أخذها فضلاً عما فيها من جودة ومتانة وحسن حيك ولذلك كانت سريعة الانتشار لما تقدم من الاسباب وكان يتلقنها المحترفون والهواة عن الملحن الذى لحنها بأسرع من لمح البصر

ويقلدونه فيها تمام التقليد أما طلب تقليد تلاحين عبده فهو من المستحيلات لما فيها من مهارة فنية ومناعة بديعة وحيلة واسعة فكان وأيم الله آية من آياته فى قوة البديهة وحسن الارتجال وغريب التصرف بأساليب الغناء وضروب التطريب وقد يُحِيل اليك اذا لحن من فوره مذهباً أو دوراً انه يقرأ الفاتحة أو يتلو فى لوح مسطور واليك الدليل المقنع كما أثبتته لنا معاصروه الذين رأوه وسمعوه يلحن لساعته الدور الآتى نظم الشيخ على الليثي أحد شعراء أبى الاشبال الحديو اسماعيل وهو :

(مذهب)

أنا السبب فى الى جرى ما حد غيرى الى انظلم
طاوعت أسباب الهوى حتى غدا خصى حكم

(دور)

يا قلب أضناك الهوى لم تستمع نصح النصوح
يا قلب قد عز الدوا علم عيونك أن تنوح

(دور)

لام العذول وما درى هيهات أن يدري العذول
لو كان يعلم ما جرى كف الملام ولا يقول

وقد سمعت الاستاذ محمد السبع المطرب المعروف ومساعدته على التخت يقول بأن تحت عبده يشبه مدرسة أو جامعة فنية متقلة يتعلم فيها المحترف جمال الفن ويتضلع من قواعده الاساسية ويقتف على أصوله وفروعه واذا لم يتدرّب على يديه لا يستطيع أن يفهم عظمة الموسيقى الشرقية وسحرها وتأثيرها فى القول وتغلغلها فى النفوس لما كان يأتيه من ضروب التجديد وأنواع المفاجآت وسريع التنقل من نعمة لآخرى وبالعكس بطريقة فنية بشرط أنه كان يحرص فى جميع ذلك على قواعد الفن ولم يخرج عنها قيد شعره ليس فقط فى كل ليلة بل فى كل ساعة وفى كل وصلة غنائية حتى ان السامع نفسه كان يقرأ فى ثنايا أغانيه صفحة من نفسه أو فذلكة من حياته ويوقف بتعبيره على كنهه أفكاره الشخصية وغاياته السامية وميوله الشريفة ويرجع استظهاره وبيانه الى ما استخرج من مأساة حياته من عبر وتجارب مما كان باعثاً على قوة تعبيره عن عواطف النوع الانسانى على اختلاف مشاربه وتنوع نزعاته بعمان سامية انفردت عبقرية بالتطبع بها وتمثلت

فيها المثل العليا بأجلى مظاهرها فهو الموسيقى المصري المشرق نوره على الآفاق كالشمس وسبق للموسيقى رمزاً على مرور الأزمان ، وللفنّاء العربي الذى أحياه ، زعيماً لا ينازعه منازع

ومما رواه لى حضرة صاحب العزة مخائيل بك تادرس رئيس الادارة بالدائرة السنية سابقاً وصديق عبده الحولى ووالد حضرة الاستاذ تادرس مخائيل تادرس المحامى أمام المحاكم الأهلية والمختلطة اجتزى، منه بما يأتي لضيق المقام وتغادياً من سأم القارىء قال : « انه تعرف بعبده الحولى قبل أن يبلغ رشده يوم كان يلبس جلباباً من التوييت الأسمر مفصلاً على الذوق الاسكندري ذا فتحة على صدره يتدلى منها أوسيتك فضة وعلى رأسه طربوشاً صغيراً غامق اللون من القالب العزبى . وكان خفيف الروح ، سريع الخاطر ، رخم الصوت وكثيراً ما كان يشكو من تهالك المتقدم على المكاسب وإجحافه بحقوقه كما كان يفعل به المعلم شعبان قبله حتى انتهى الأمر بقطع الصلات التى كانت بينهما ، وأسس لنفسه تحفّاً خاصاً وأخذ نجم سعده يضيء ، ويتجلى فى فلك الفنّاء حتى كسف بتألق شعاعه بهاءً من سبقه من المحترفين والتف حوله القاصي والداني واستوى على عرش الموسيقى الشرقية فى العصر الذهبى لأبى الأشبال المغفور له الحديو اسماعيل الذى كان يجزل له العطايا ويعطف عليه عطف الوالد الحنون جزاء خدمته لفن الفنّاء العربى وتشجيعاً له على الاستمرار فى الاجادة والاتقان - شأن كل حاكم عادل يحرص على فنون قومه وعاداتهم ونزعاتهم ومميزاتهم القومية . وقد سمعت من حضرة مخائيل بك المذكور أن الحديو اسماعيل دعا عبده ليفنيه فى قصره ليلة كانت تهب عليه ريحٌ بليل ، ولما أراد أن يخلع عنه الباطو الذى كان يلبسه أمره الحديو بالدخول به مع رجال تحته والجلوس على أرض الصالة المفروشة بالسجاد على الطراز العربى ليتسنى للعازفين على الآلات أمثال « القانونجة » وغيرهم أن يقوموا بعملهم بدون صعوبة فبدأ البلب الصياح يفنيه أوداراً عربية تتخللها النغمات الساحرة والآهات التى طبقت نواحي السماء فاجتذب اليه قلب الحديو اسماعيل وصبت روحه الى سحر الموسيقى العربية دون سواها فكان يضع يده الكريمة فى جيب عبده كلما أعجبته نغمة من نغماته دون أن يعرف غرضه من ذلك إلا أنه لاحظ أنه مد يده الفياضة إلى جيبه اثني عشرة مرة . ولما انتهت السهرة وخرج من السراى وضع يده فى جيبه وقلّب فيه طرفه واذا به اثني عشر قرطاساً وفى كل قرطاس مئة جنيه ذهباً فناول من فوره رجال التخت قرطاسين اثنين واحتفظ بالباقي . فهل وجد بين الملوك من كان أسخى من الحديو اسماعيل يدّاً ؟ . كلا والف كلا ، فكان أجود من حاتم واستمد عبده الجود منه وبه اقتدى فى إغاثة الملهوف

وعمل المعروف . على أنه كان صالحاً يقيم الصلاة في مواقيتها وباراً بوالده وقد فرّ من وجهه كما تقدم بيانه لكونه غير راض عنه لاشتغاله بفن الغناء الذى كان وقتئذ يعد في مصر مهنة محترمة ومستقطبة لمحترفيها من عيون الناس وحدث نقلاً عن المقطم الاغر بتاريخ ١١ / ٩ / ٩٣٤ بتوقيع حضرة رزق الله شحاته الموسيقار « ان الحديو اسماعيل قصد زيارة مديرية الغربية فأراد سعادة المدير أن يجعل الاحتفال بقدمه في غاية الفخامة والأبهة ورأى أنه لا يكمل السرور في تلك الحفلة إلا باحضار أعظم المطربين . فدعا المرحوم عبد المحمولى ، ورأى أن هذه خير فرصة يسترضى فيها والده عنه فقال لسعادة المدير أريد أن أطلب منك شيئاً واحداً ، وهو أن تجعل أبى يرضى عني . فأرسل سعادة المدير تلغرافاً في الحال لوالده فحضر الحفلة الليلية وكان عبده جالساً في حضرة الحديو اسماعيل وحاشيته فدعاه المدير الى جانبه وسأله هل أنت غاضب على ابنك ، وأنت تراه في حضرة أفندينا ، فكان جوابه « أنا وابني وأولادي عبيد لأفندينا وأقبل عليه وعاقه »

على أن « عبد » كان عفيف النفس عالي الكعب ، كتوماً اذا أطلعت على دخائلك ، ناهياً برجال التخت من المساعدين له والعازفين عن الخط من قدر المهنة ومن قدر شخصياتهم بدليل أنه كان يُنبه عليهم في أثناء الأفراح والأعراس التي أقيمت سنة ١٨٧٣ احتفاءً بزواج أنجمله الأمراء توفيق وحسين وحسن ألا يلتقطوا شيئاً مهما غلا ثمنه مما كان يبدره الأمراء والأميرات من الجواهر والنقود الذهبية - تلك عادة كانت شائعة في عهده الذهبي بين الناس لا سيما في أفراح أولاد العظماء والوزراء اقتداءً بهم والناس على دين ملوكهم

ومن أحسن ما وصفه به المرحوم محمد العقاد الكبير فقال : « انه كان يخيل اليه عندما يبدأ عبده غنائه أن آنية من الورد والزعفران قد أفرغت على رجال التخت وأن أرض السرادق قد غطيت بالآس والرياحين والفل والياسمين فاستطاع الحاضرين رائحة أطيب من فارة مسك فضلاً عن انه كان يُشبّه له أنه يرى حول عنقه أطيّاراً من الجنة تغنى معه وتناغى مناغاة الحمام وتنوح وياها ناهيك بألحانه الساحرة الفذة وابتساماته وإشاراته التمثيلية التي تبث في النفوس الجذل والغبطة والسعادة ونعمة البال والاقدام والرجولة . وكان صوته مليئاً ويُسكنى فنياً بالتينر والباريتون "barytone, tenor" وقد روي عنه أن غنياً دعاه الى داره في الاسكندرية تمهيداً للاتفاق على الغناء في ليلة زواج إبنة . وكان ذلك الغنى جامد الكف فأنف منه عبده وغادر داره بدون أن يُلبّي طلبه . وبينما هو عائذ الى الفندق وجد امرأة شمطاءً ، على باب دار معلقاً عليها بضع رايات ومرصوفاً في فنائها وخارجها بعض مقاعد

خشية « دكك » فعرف بداهة أن ذلك با كورة تجهيز عرس قريب مزعم إقامة فى تلك الدار الخفية فعرض نفسه للغناء بالبحان وعرفها نفسه وسألها عن اسم صاحب الدار فأجابته المرأة وقالت : « هل ما تقوله حلم أو علم » وأنى لثنا أن يستحضر عبده المحلى مطرب ساكن الجنان ولى نعمتنا الخديو اسماعيل ونحن لا نملك شروى تقيير « فأكد لها تحقيق الحلم وغنى فى الليلة المعينة مطيباً قلوب أصحاب البيت الكسيرة نكابةً بذلك الغنى المقتر واسداء للمعروف مصداقاً لما رثاه به المرحوم احمد شوقي أمير الشعراء إذ قال ضمناً :

يحبس اللحن عن غنى مدل ويذيق الفقير من مختاره
وهناك نوادر أخرى ومميزات اختص بها عبده تنبه لها العارفون بفن الغناء ووقف معاصروه على كنهها اكتفيت فيها بما ذكرته هنا ، فلو أردت استيفاء الكلام على جميع خصاله ومناحي حياته الشخصية والفنية والاجتماعية لطال بي القول بما لا يحتمله هذا المجال .

وقد مات عبده (رحمه الله) فى مدينة حلوان بالسل الرئوى فى فجر اليوم الثانى عشر من شهر مايو سنة ١٩٠١ بعد ان صنع فى حياته العظام ، وأقام الموسيقى الشرقية والغناء العربى بناء رفيع الدعائم . فلا تحسبن يا صاح أنه مات وهجع ، وهمد صوته الرخيم الرنان ، وسكنت جوارحه وخُرس لسانه ، وقطع جبل نبراته العربية ؟ . كلا . فانه لم يمت ، ولم ينم لكنه استيقظ من حلم الحياة بل تحقق حلمه على حد قول الامام كرم الله وجهه « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » . أما نحن البشر فأننا بعكسه نسير بعد فى طريق وعث المبتغى وتنشب بيننا حرب ضروس لا يغني قتالنا عنها فتىلا . والحق الذى لا ريب فيه الجبر بأنه حى فى السماء فسح له ربه بجواره مكاناً سنياً ، تغمده الله برحمته وأجل جزاءه فى دار النعيم .

وإثباتاً للحكمة الماثورة عن الامام علي نورد هنا قطعة شعرية نفيسة عن خلود النفس للشاعر الانكليزي شلي بنصها لشدة ارتباطها بالموضوع وهى :

Peace, peace! he is not dead he doth not sleep
He hath awakened from the dream of life.
'Tis we who, lost in stormy visions keep,
With phantoms an unprofitable strife.
He has outsoared the shadow of our night . . .
He lives, he wakes, 't's Death is dead, not he.

عبده الحمولى

مصلح اجتماعى فى ثوب مغن

كان عبده النموذج الرجل الصالح يحافظ على مواقيت الصلاة ويربأ بنفسه عن كل دنيسة صائناً من الدنس عرضه وأعراض الناس حرياً بأن يُعرف بالمصلح فى ثوب مغن . لم يقتصر جوده على جياع أطعمهم أو عطاش سقاهم أو عرياً كساهم أو مرضى واساهم أو سجناء زارهم أو مقترعين دفع عنهم البدل العسكري حتى بلا سابق معرفته لاشخاصهم بل تجاوز ذلك كله الى أن بلغ حدود الساقطات اللواتي إذا لحن بوجه الصدفة فى طريقه وهو عائد الى بيته فى عربة مستصحباً معه بعض رجال التخت بعد الانتهاء من سهرته الغنائية استوقف لوقت الحوذي وجمعهم حوله وأفاض عليهم من سجال عُرْفه عن تهلل وابتسام ما يملأ العين ويستعيد الحر ثم انصاع ناصحاً لهم وقال : « يا بنات الله يتوب عليكم » هذا ما رواه لى الاستاذ محمد الشريبنى العواد مؤكداً انه رآه يفعل ذلك رأى العين وهو حي يُرزق ويبلغ من العمر ثمانين سنة . فطوباك يا عبده ! يا من عرفت بحسنة وذكاء فى جسم الضالة ألوتر الحساس وضربت عليه بريشتك الخفيفة الشفيفة لشوب الى رشدتها وتستقيم على الطريقة المثلى للصالحين والصالحات علماً منك أن الذنب ليس ذنبهن انما الذنب كل الذنب لا يقع إلا على اولئك الذين أضلوهن وجروا عليهن بأول هفوة ارتكبتها ذبول العار والحزى وقد طلبت اليهن التوبة من الغفور الرحيم آيماً الى قوله تعالى « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » والى الحديث الشريف « ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

أجل . إن الطبيعة قد اختصت الرجال بالقوة والسلطان على النساء اللواتي أزمته الزعامة إلى أيديهم الحشنة وامتلن لارادتهم وأخلدن اليهم بثقة عمياء (وهى محاسب دقيق ذهاباً إلى قول سبنسر فيلسوف انكلترا) Nature is a strict accountant فزينوا لهم ركوب ما لا رأى لهم فى ركوبه وما هن إلا طامعات فى حياة زوجية طاهرة وغافلات عما ينفجر عليهن من الدواهي بل متوقات إنجاز وعود عرقوب وليسمح لى القارىء الكريم أن أتمثل ببعض آيات من آخر قصيدة بعنوان « من الموم » للمرحوم تقولا رزق الله الشاعر المصري جرأت على إيرادها اشددة ارتباطها بالموضوع دون أن يتهمنى القارىء بالحشو والشروء عنه قال ما يأتى :

هم أضلُّوك ثم قالوا برآءة نحن منها فهم أضلُّ سبيلا
 إن يكن ذنبك الجلالة والفقر م فعُدَّيه عذرُك المتبولا
 كلهم مذنبٌ اليك وما لا قيتٍ إلا مضالاً وبخيلا
 أو يعدُّوا لك المحبة ذنباً فاسألي الله عفوهُ المأمولا
 هفوةً للهوى هفوتٍ ومرّت ثم جرّت عليك تلك الذيولا
 لم ينل جانباً عقابٌ فظيغٌ كمقابرٍ بهفوةٍ قد نيسلا
 أيها العادل الحكيم ترفق واتق الله في النساء قايلا
 إمنع الارض أن تدور ولا تمنع م فواداً الى الهوى أن يميلا
 أيها الناس ذنبكم ذلك الذنبُ م فكونوا إذا حكمت عدولا
 أو فجدوا على الفتاة بما يحفظ م وجه الفتاة حرّاً جيلا
 فضلٌ من جاد للفقير بمالٍ فضلٌ من عالم الغيِّ الجبولا

وكفاه في العار خراً وما ابهى جمال القلب جمال التضحية وما أعظم حبه للفقراء والأشرار وما
 أعظم تضحيته للحزنى ومضطربى البال بدليل أنه في ليلة غنى الملك الجواد الخديو اسماعيل ولما أجاد
 سأله الخديو قائلاً يا عبده اطلب تعط فأجابه لغوره وطلب بأن يعفو عن نشأت باشا مدير القليوبية
 آنذ الذي كان صدره واغراً عليه ويبعث اليه رحمة ومغفرة لا لعاناً وسباً فعفا عنه وكان ارتياح
 عبده لهفوه عنه أعظم من ارتياح الأخير له لأن العطاء خير من الأخذ ولو طلب عبده من الخديو
 اسماعيل مالاً جزيلاً لنفسه دون سواء لئاله حتماً لأن كلام الملوك ملوك الكلام ولكنه آثر الخدمة
 العامة على خدمته الخاصة

على اني أرى ما يماثل ذلك واكثر منه بدليل أن في الأوساط المسيحية أشخاصاً من رجال
 وسيدات كرسوا حياتهم لخدمة المجتمع يذل النصح للساقطات في محالهن لينزعن عن عيشتن
 الفاسدة وهم لا يأبهون لما قد يلحظهم جميعاً من غضاضة بغشيانهم منازلهن لاعتقادهم في أنفسهم بأنهم
 في ذلك يؤدون واجباً انسانياً شريفاً ذهاباً إلى أن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى حتى أن
 منهم من يتناول من جيبه مبلغاً من المال يدفعه الى من يراها في حاجة ماسة اليه لتكف عن غوايتها
 وتقيم به أود معاشها موقفاً إلى أن تحترف مهنة شريفة وكثيراً ما نرى جمعيات مؤلفة من فضليات

النساء الغرض منها منع تعاظمي الأشرية الروحية والسموم المعروفة بالرفين والهيوين ابقاءً على حياة مدمنيها وحفظاً لاحساساتهم ووجداناتهم الشريفة فلا يرمى بذنب من يفعل مثل ذلك بل يشكر عليه ولولا بسهمهم فى بيئتهم. هذه هى ضالة المصلحين والمصلحات المنشودة وتأيداً لها لا بأس من ايراد ما قاله أدون مركام الشاعر الاميركي وهو « ان المتعصب رسم دائرة صغيرة لنفسه وجعلني أنا الجاحد الضالّ خارجها ولكنني والحب عوفي غلبته وقد رسمت معه دائرة كبيرة وجمعت الضال داخلاً » وكما كان يرتل القديس فرنسواى داسيز أناشيده عن الشمس والطبيعة إذ أنه عظمّ الشمس وغنى قائلاً الشمس أختنا والفمر أخونا والريح أختنا والماء أخونا والنار أختنا والارض أمتنا والعصافير اخوتنا الصغار والزهور اخواتنا الصغيرات وهو لا يعتبرها غريبة أو دخيلة لأنها تمثل جزءاً من العائلة البشرية وتعبد إلهاً واحداً مثله » وكان حقاً علينا نحن المصريين أن نعتبر عبد الحمولى الموسيقار العربى مصلحاً قومياً ومرئياً اجتماعياً استطاع بما حباه الله من الشعور وقوة الإلهام أن يفتح لنا ما تنكر من ذرائع الإصلاح واتخذ من الذين تاهوا فى شعاب الباطل وكثيراً ما هم وأثابهم الى هدام أنصاراً وأصدقاءً حريين بأن يكونوا أعضاءً للعشيرة البشرية نافعين فى البلاد وعاملين على احياء مجد مصر وأقدر من سواهم على إدمان تعاظمي العلم والصناعة والتفرغ لها عن ركوب متن غرورهم

كرم الحامى - ويحكى عنه أنه بينما كان يلعب النرد (الطاولة) مع خليل بك ابراهيم من كبار موظفي مصلحة الكمارك بـدكان المدعو ابطولى تاجر الطرايش بالاسكندرية (وهو الدكان الوحيد الذى اعتاد أن يفشاه عبده دون المقاهي على ما أكّد لي صاحب المعالي سعيد ذوالفقار باشا بالسرائي الملكية يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٣٥ وكان يكلمه عبده بالتركية لعدم معرفته العربية) تلج رجلاً أمسك عن ذكره لي الأستاذ جاك رومانو صديق عبده - يرقب إنتهاءه من اللعب بفارغ الصبر فاستبطن عبده كنهه فى الحال وترك الطاولة وتوجه نحوه وكان عبده يلبس باصبه خاتماً ثميناً من الزمرد منشوري الشكل المعروف اصطلاحاً بالـ "Capuchon" لا يقل ثمنه عن الف جنيه ولما انتهت المقابلة عاد إلى مجلسه وأراد استئناف اللعب تبّه احمد افندي عبد المنعم الباشكاتب بالمحافظة إلى عدم وجوده باصبه فلفت نظراً جاك افندى رومانو الجالس بجانبه إلى ذلك وأخذ كلاهما يلومانه على تصرفه به فاعتذر اليهما مما جرى بحجة أن النقود التى معه لم تكن كافية لسد حاجته فأضطر إلى تسليمه اليه ليتصرف به كما يترأى له واحتج لنفسه قائلاً لها

«دوام الحال من المحال فالدنيا غدور والدهر عشور وذكرهما القول المأثور « اكرموا عزيز قوم ذل»

موااسانه للفقير - بينما كان ساكنًا بجارة التماسح (بقسم عابدين) بجوار منزل صديقه
حضرة مخائيل بك تادرس طلب ذات يوم من أيام شهر شعبان من الأخير أن يذهب معه إلى جبة
الحنفي بشارع الشيخ صالح حيث كان يوجد دكان بقالة « ويميش » للمدعو علي افندى النمر الخرنجى
سابقًا بمراسي الجزيرة للمغفور له الخديو اسماعيل ليشتري منه مايلزمه فى شهر الصوم المبارك فاشترى
بالفعل أرزًا وسكرًا وفواكه ناشفة وحلويات متنوعة بستة عشر جنيهًا دفعها اليه مما كان معه ولم يبق
فى جيبه سوى ٢٧٥ قرشًا صاغًا وقيل راجعًا مع صديقه إلى منزله وقال له فى الطريق « ربنا أكرم
من كل كريم فالذى رزقنى مصروف شهر رمضان ليس بعسير عليه أن يرزقنى مصروف العيد وما
كاد ينتهى من حديثه هذا ويقترب من منزله حتى أقبل عليهما رجل رث الثياب وسأم عليهما وأخذ
يقبل يد عبده فما كان من الأخير إلا أن اخرج من جيبه مبلغ الـ ٢٧٥ قرشًا وأعطاه اياه فاعترضه
مخائيل بك ولامه على أعطائه كل المبلغ بدون أن يبقى لنفسه شيئًا منه فأجابه عبده قائلاً انك
لو وقفت على حقيقة حال هذا الرجل لعذرتنى فيما أتيت لأنه كان من اكبر فراشي العاصمة وكان
يملك مفروشات وسجاجيد وفضيات ثينة وهو الآن كما تراه لا يملك شروى تقير فقد تجاوز بصنيعه
الحد الصحيح المعقول الذى اختطه السيد المسيح الذى قال «إذا كان لك ثوبان فاعط واحدًا منهما
لأخيك تلك الحكمة الماثورة البليغة لجديرة بأعلى اعتبار ولي أن اعتبره هنا غبن الرأى ولا يبرأ فى
هذا التهور من الملام

حقًا أن مثل هذه التضحية ينطبق عليها قول أحد علماء النفس من الانكليز ومفاده معربًا كما
يأتى : « أن الماء الذى لا يسمع أنين البؤساء وآلام المرضى هو غير طاهر ولو باركه كل قديس فى
السماء أما الماء الذى انصب فى آنية الرحمة فهو طاهر ولو تلوث بالرم وتآذى بالجراثيم »

اضطهاد المحافظ - كان عبده من أكرم الناس شيمه وأصدقهم عهداً لا يلبس الحق
بالباطل وقد أشرب حب الديمقراطية . اتفق على ما ذكره لى مؤخرًا الاستاذ سامى الشوا تعلقاً عن
الاستاذ محمد كامل الرقاق ان طلب منه أحد محافظي مصر فى عهد الخديوى توفيق أن يغني فى ليلة
معينة بداره فاعتذر عبده اليه من ذلك لسابق تعهده بالغناء فى الليلة نفسها مع شخص آخر فلم يرق
للمحافظ الارستقراطى اتباعه شرعة الديمقراطية المرعية واضمر له الحفيظة وأخذ من ذلك الحين يقاطعه

مقاطعة جدية أسفرت عن حرمانه الغناء عند عظماء العاصمة مدة ستة شهور بمعنى أنه كان يشترط على من يدعونه منهم الى حضور عرس من الاعراس بأنة لا يحضره اذا استحضروه للغناء فاضطروا الى الاستعاضة عنه بالشيخ صالح العربى الذى ظهر اسمه فى عالم التطريب فى ذلك الوقت أو غيره من المطربين فانزوى فى حلوان فى تلك المدة دون أن يشغل ليلة واحدة فحضر اليه محمد كامل المذكور ورجاه بأن ينزل معه الى القاهرة لعل الله يفرج كربه فوافقه على ذلك ونزلا فى لوكاندة الكوتيتنتال وبينما كانا يشربان فيها القهوة ويتجاذبان أهداب الحديث أقبل عليهما محمد بك يكن وكان فى داره عرس فغم مساء ذلك اليوم وبادر الى الاعتذار لعبده وقال له انه لتشديد المحافظ عليه فى عدم استحضاره للغناء أضطر إلى الاستعاضة عنه بثلاثة مطربين وهم محمد عثمان ويوسف النياوى ومحمد سالم .

ولما كان عبده من أكل الرجال عقلاً ولا يخشى فى الحق لومة لائم آلى على نفسه ألا يسترضى المحافظ لأنه لم يرتكب ذنباً يعاقب عليه وقال لمحمد بك يكن أن لأعضاء العائلة اليكينة قدماً فى الخير وفضلاً عليه فانه يجد لزماً عليه أن يخدمهم بغنائه فى ليالى أفراحهم وازمع على الحضور خلسة فى منتصف الليل ورجاه أن يكتم هذا الخبر عن المحافظ الذى سيكون غالباً بين المدعوين وتم الاتفاق بينهما على ذلك فعاد محمد يكن بك الى داره وتركه محمد كامل الرقاق استعداداً للشغل على تخت النياوى كرقاق فى تلك الليلة فما كاد الحضور فى السرداق يرى عبده قادماً نحو منتصف الليل حتى دوى المكان بالتصفيق وصعد مباشرة إلى تحت يوسف النياوى وبدأ يعزف على العود بدون أن يجسه أو يصاحبه وغنى قائلاً يا ليل فرأى محمد الرقاق وهو على التخت المحافظ يُبدى لعبدى صفحته ويستعد لمغادرة مكانه وما كاد يسمع « يا ليل » ثانياً حتى طرب واستقرّ فى مكانه فدوى المكان الفسيح بصوته الرخيم وانتقل من يا ليل الى موال ثم إلى بشرف فدور على تحت يوسف الذى انضم اليه كل من محمد عثمان ومحمد سالم وخلق العقول بغنائه وأضحى المحافظ يطفر من الطرب وأخيراً صعد إلى التخت وأخذ يقبل عبده مراراً وتكراراً ودهوعه تتساقط على خديه وطلب منه أن يتناسى ما كان منه وتعاثا وتصاخا على رأى من الناس فكان ذلك منظرًا مؤثراً فى الحاضرين ودليلاً ساطعاً على أن الموسيقى ترمى وظيفتها إلى إيجاد المحبة وتهدى أسباب السلام وظهر فى أثناء تلك الليلة ميل الجماهير المحتشدة إلى عبده واعترافيهم بالاجماع بعبقريته وزعامته على جميع المطربين .

قوة ابتكاره - والمرحوم عبده قوة عظيمة فى الابتكار والارتجال وقد فاجأ الحاضرين فى ليلة عرس نخم لأحد الاعيان فى الاسكندرية بتغيير دور « أد ما أحبك زعلان منك » (صبا) تلحين محمد عثمان وقلبه رأساً على عقب فغناه فى الحال على نعمة التهوند ولأول مرة لدى سماعه محمد عثمان يلتميه فى العرس نفسه فافتن الحاضرون بما حباه الله من قوة الصوت والسااطاف على المقامات والابتكار والتأليف فجأة بدون استعداد وكان محمد عثمان فى مقدمة من أعجبوا بقدرته الفائقة على هذا الابتكار وجهر بخضوعه لعبقرية وزعامته ولا أعتقد انه إذا أخذ لحناً من الحان أى ملحن وغناه يعتبر غير قادر على التلحين كلاً والف كلاً ولو عكف على التلحين للحن الف لحن لكنه لضيق وقته كان يصرف معظم أوقاته فى مجالسة الامراء ومنادمة العظاماء ومواساة الفقراء

ومن الأمور المسأمة والقواعد الثابتة فى علم الموسيقى أن الفضل يرجع إلى الملحن فى تلحينه الدور وإلى المطرب الناشر ذلك الدور على حد سواء وليس للأول أن يستأثر وحده بهذا الفضل إذ لا فائدة تنجم له من تلحينه إذا لم ينشره المطرب مثل عبده بما أوتيته من قوة صوت وحسن القاء وكثيراً ما كان يأخذ الأخير عن ملحن كبير مثل محمد عثمان أدواراً يبدلها ويؤخرها بريشة رفائيل وينحتها بازميل ميكالانج وينفخ فيها من روحه ويلحنها تلحيناً خاصاً بما أوتيته من صوت فى إمرارها بجميع المقامات مما يعجز عن الاتيان بمثله الملحن الأصلي إما لضعف صوته أو لسبب آخر بمعنى أن ما لحنه الملحن مثلاً كان ضمن حدود معينة بحسب صوته وقضى فى إبرازه مدة من الزمن خلافاً لعبده فان الآلات الوترية لا تجاريه فى علو الصوت وأن ابتكاره وتفنته واسعان كالكون ولا حد لها

على ان التلاحين المنسوبة للملحين لا يمكن الجزم بصحة نسبتها كلها اليهم ولو كانت مدونة بأسمائهم فى بعض الكتب الموسيقية إلا إذا كانت تلك التلاحين مسجلة تسجيلاً رسمياً لأن الملحن الذى يدعى أنها من بنات أفكاره وأنه هو الملحن الوحيد لها لا يجد أمام القضاء إذا دعت الحال إلى ذلك ما يثبت زعمه خلافاً لما هو حاصل فى بلاد الغرب فان فى خزائن أنديتها الموسيقية ومهارج معاهدها من مودعات تلاحين موسيقيهم فى ملفات خاصة بكل واحد منهم ما لا ظلّ عليه للريب لأنها مسجلة رسمياً وثابتة ثبوتاً غير مأخوذ فيه بالظن والتكهن أو من طريق الشاعر كما هو حادث فى أنحاء الشرق

ومن المحتمل أن يُنسب تلحين دور إلى مغنٍ أجاد فى القائه دون أن يكون ملحنه كما ينسب خطأً تلحين دور مُلحن على أعلى الطبقات إلى ملحن ذى صوت ضعيف

ولست الشبهة من جهة نسبة التلاحين إلى الملحنين بوجه عام مقصورة على الأدوار بل على مقاماتها أحياناً مثال ذلك مذهب « ياما انت واحشنى وروحى فيك » تلحين محمد عثمان فان المقول عنه فى كتب الموسيقى انه بنغم الحجاز كار والصحيح ان نغمه « الشاه ناز » (دلال الملوك) وقد قام عبده بتغيير نصف تلحين المذهب ومن هنا يُستنتج أن الفضل لا يجب أن يكون مقصوراً على الملحن وحده بل الأوجب اتباعاً لشرعة الانصاف والمساواة أن يجمع الفضل بين الملحن ومؤدى اللحن وأزيد على ذلك وأقول أن مذهب « كادنى الموى وصبحت عليل » تلحين محمد عثمان لكنه منسوب إلى عبده كما جاء بكتاب كامل الخلقى ص ١٥٠ وقد يكون ذلك خطأ وهو من مقام التهوند قد غناه عبده وأبدع فيه ذات ليلة إبداعاً أدى إلى غشيان المرحوم عزت بك أحد كبار موظفى المالية وقتئذٍ وكان من أعظم هواة النأى فنزل عبده من التخت وأخذ يؤاسيه وينشقه بالأرواح المنعشة ويداك أطرافه إلى أن أفاق وشكره رقة عواطفه ولطيف إحساسه وشدة تأثير الموسيقى فى نفسه

ثم صعد الى التخت وأخذ يتم الدور وما لبث أن وصل إلى عبارة « بالطبع أنا أميل يا الى تلوم دا شىء بالعقل انظر كده واحكم بالعدل » رغبة أن يقتل النعمة بدلاله وتفنته حتى صاح أحد الحضور وقال يا ابن ال إيه ... فقام العظماء نحوه ليزجروه ويطردوه فقال لهم عبده وهو على التخت « سيوه دا معذور كان » ولم يستقروا فى مجلسهم إلا بعد أن تحققوا صدق إعجابه بفنائه بعبارته العامة التى لم يقصد بها اساءته واعتبروها مدحاً فى موضع الذم

على انى أطلت فى الكلام على هذا الباب الى ما لعله أدنى إلى سأم المطالع فأقف منه عند هذا القدر إذ ليس من غرضى فى هذا المقام الاحاطة بكل ما لقيه عبده من أدوار صادرة عنه ومذاهب ملحنة منه بل الإشارة إلى أنه كان يلقى من أدوار الملحنين ما كان يستحسنه ويحده مطابقاً لنووه السلم فضلاً عن انه كان يغيرها فى الحال على أحسن طراز ويقابلها جملةً ومفترقاً حسب إرادته وقد دُعِيَ مرة ، عبده ومحمد عثمان والميلاوى للقاء فى عرس عظيم من عظماء البلد على تخت واحد وقد شهدت بعيني رأسى وليس لأول مرة عبده رئيساً ومحمد عثمان عواداً والميلاوى مساعداً بدون أن يجرأ على إتيان أى حركة أو نعمة انفرادياً فهو بلا رآء أسبق المطربين الذى لا يُشق غباره .

لطيف هزل وفقر روم - وتطياً للقلوب أروى من فكاهاته المليحة ومضحكاته المبهذة
ما يضحك الحزين ويذهل الزاهد فضلاً عن أنه يبين جلياً أنه كان يمتاز عن سائر المطربين بالجاذبية
الشخصية الوليدة فيه والتي تعتبر منحة طبيعية كمنحة الصوت واليكم البيان :

دُعي ليغني في الاسكندرية بدار عين من أعيانها أقيم فيها سرادق فسيح زين باختر الرياش
وفرشت أرضه بالأبسطة النفيسة وكلف حاجب على الباب بأن لا يدخل أحداً من المدعوتين إلى
السرادق غير حامل تذكرة الدعوة ولما آن أوان الغناء وكان التخت على أتم استعداد دار البحث
عن عبده فلم يوجد في الداخل وأخيراً عند ما وصل صاحب العرس وحاشيته إلى نحو الباب سمعوا
لجأً وانقطاعاً شديدين بين الحاجب وعبده فشرح لهم الأخير أن سبب تأخره عن مباشرة الغناء نشأ
عن أن الحاجب منعه من الدخول بحجة أنه لم يحمل تذكرة دعوة فحمله على أن كتافهم إلى أن
جلس على أريكته الموسيقية فارتجى موالاً وغناه وهو كما يأتي :

ليه حاجب الظرف ينمعي وانا مدعي لري روض المحاسن من دما دمعي
كم أفكر في احتجابك واشتكي وانعي سلمت بالروح ورضيت باللام والنوح
قول لي بحق المحبة ما سبب منعي

بزيو الفقير من مختاره - كان لرجل حمار يناهز السبعين امرأة فتاة المحاسن رشيقة القد
وكان يحبها إلى حد العبادة ولما حملت منه وعدها وعداً وثيقاً بأنه يأتي بعبده المحول ليغني إذا وضعت
ذكراً وأردف وعده بالطلاق ثلاثاً وولدت ولداً ذكراً فوجد نفسه أمام أمر واقع فاكتاب لوقوع
الطلاق حتماً إذا لم يغن عبده وبعد أن قلب الزوجان الرأي ظهراً لبطن ذهب الحمار إلى منزل الأخير
يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وقص عليه الواقعة بمخافيرها فرق عبده لحاله وابتى طلبه وما كان منه حتى
أرسل إلى داره فرائشاً نصّب أمامها سرادقاً يناسب المقام وعهد إلى طبّاخ في أعداد ما لزم من
مأكّل ومشرب وغنى على تحته المشهور إلى أن شابت ناصية الليل كأنه مكافأ بأعلى أجر ثم مال بث
أن نزل من التخت حتى أفرد منديلاً بادر إلى أن وضع فيه مبلغاً من جيبه ومدّه للحاضرين فجمع
خمسین جنيهاً دفع منها المصروفات العمومية على ما سبق الايماء اليه وتناول الحمار ما بقي منها ليصرف
على زوجته في النفاس وبذلك الصنيع الجميل خلصت زوجته من الطلاق وأمست حليمة له تقاسمه
السعادة والهنا .

والىكم ما جاء بمصباح الشرق : صادف عبده بعد السهرة فى الطريق رجل لا يعرفه وقال أن ابنه مطلوب للخدمة العسكرية وليس معه شىء من البدل ليعفيه منها فأخرج من جيبه صرة الدراهم التى تقاضاها أجرة الليلة وأعطاها له . وبلغه أن أحد تجار طنطا وقع فى ضيق يخشى عليه فيه من الفضيحة فجمع ما لديه من الدراهم وأعطاه خمسمية جنيه ليستعين بها فى عسرته ويحفظ صيته فى تجارته ودُعِى للاحتفال بليلة خيرية فى مدينة سوهاج بأجر قدره ثمانون جنيهاً ولما رأى القوم يتبرعون بالمال وثب من فوق التخت ووقف فى وسطهم قائلاً لأعضاء الجمعية « ولمَ تحرموننى التبرع مثلكم ؟ وتنازل عن الثمانين جنيهاً » اه

« ساكنة » استاذة « المظ »

لما كانت المرحومة ساكنة أقدم المغنيات (العوالم) عهداً رأيت لزماً على أن أتكلم عليها أولاً فى هذا الباب الذى أفردته لعبده والمظ لشدة ارتباطها بالموضوع من حيث المظ التى أخذت عنها فن الغناء وقد توخيت دقيق الاستقصاء من الذين عاصروها وتلمست الأخبار اختطافاً وتذريماً فأقول بالابحاز « أن ساكنة » هى أول مطربة ظهرت فى مصر فى عهد عباس الأول حيث بزغ نجم سعدا فى سماء الغناء وزاد ضياء حتى عهد ساكن الجنان سعيد باشا والى مصر وكانت متصفة بحسن الصوت الذى كانت ترسله إرسالاً بدون غناء فيبلغ صده الرائح والفادي والبعيد والقريب وقد أعجب بها الترك الذين كانوا مقيمين فى مصر ولقبها العامة بلقب « بك » وكان لها مزاح يضحك الحزين ويفرح قلب العابد لما انطوت عليه من تهذيب لسان وخفة روح وقوة البديهة وسرعة الخاطر وكان المزاح فى ليالى الأفراح عادة مألوقة فى مصر حتى فى عصر عبده الحمولى الذى كان فيه يُحتم على صاحب العرس أن يستحضر مضحكين ينزلان إلى ميدان المضحكة بين كل وصلة غناء وأخرى تخلصاً من الملل فى أثناء إنتظار تصليح الآلات وطلباً للروح (بالفتح) .

واستمرت ساكنة تتمتع بحسن الأحداث فى غنائها الى أن ظهر فى أفق مصر هلال المظ فأخذ ينمو ويكبر حتى أضحت قرأً منيراً ولما سمعت ساكنة صونها الرخيم العذب أخذت تتجاهلها ولكنها لم تستطع صد تيار نجاحها القوى ومنع اقبال الناس عليها فرأت تقادياً من المنافسة غير المنتجة أن تضمها إلى فرقها فتكون فيها تابعة لها وتحت إشرافها بدون أن تستطيع أن تزدى بصيتها أو تنزل من رتبته فكثت معها المظ مدة تدرت فيها على فن الغناء فخذته لكن ساكنة فقد حقدت

عليها لعظم وقع غنائها عند الناس وهي ضمن فرقتهما وأخذت تسيء الظن بها حتى تركتها والفت لها فرقة خاصة وأحرزت خطر السبق وقضت على صيتها قضاء مبرماً ومن ذلك الحين بدأ نجم « ساكنة » بالأفول وأخذ الدهر

يقلب لها ظهر المجن إلى أن وافاها الحمام بعد أن بلغت سن الشيخوخة وذلك في عهد المغفور له الخديو اسماعيل .

أما « ألمظ » فاسمها الحقيقي « سكينه » واسمها الفني « ألمظ » وهو تحريف الماس تشبهاً بماله من بهاء ورونق ولمعان وإشارة إلى مالها من صوت رخيم رنان وجاذبية . أما صناعة والدها فقد تضاربت آراء الرواة عنها وتباينت أقوالهم فيها . فمنهم من ذهب إلى أنه بناء لأنها كانت تحمل



(السيدة « سكينه » المطربة الشهيرة « ألمظ »)

قارب المونة على رأسها لتقدمه للبنائين وهي تغنى في مقدمة زمرة من الفتيات العاملات معياً ومنهم من قال أنه صباغ ، وقد ظهر أن الزعم الأخير هو الأصح وظلت طريقة الغناء شائعة في مصر في

الوجهين القبلى والبحرى حتى الآن وهى تجلب الجذل وتبعث على النشاط فى أثناء العمل وتطلق النفس من عقال السأم .

ومصادقاً لما تنتجه الموسيقى من التأثير فى العمل أشير الى قصة أنفيون جويتر الذى بنى أسوار طيبة بينما كان يعزف على قيثارته على حد ما قاله الدكتور كلارك من أن ذلك لم يكن خرافة .

على أن صوت يوسف المنيلاوى على ما شهد به المرحوم محمد المسلوب الكبير لم يكن الا شيئاً ضئيلاً اذا قيس بصوت المظ بالرغم من عذوبته ولينه ورنينه وقد صدق وجنر الموسيقى الشاعر فيما قال وهو أن الموسيقى مؤتة وكانت امرأة

أما عبده فهو أسبق المطربين لا يشق غباره ويفوقها فى غريب تصرفه وعظيم تقننه فى ضروب الغناء وقوة التأثير فى النفوس بما أوتى من روح فنان وإلهام طبيعى وكثيراً ما كان يجمعهما عرس واحد بمعنى أنه كان يغني للرجال فى «السلامك» وكانت تغنى للهوانم فى الشرفة «الشكة» (لفظة تركية) على مسمع من الحريم والرجال معاً . وكان احمد الليثى يصور نعماتها وهو فى السلامك على التخت فكان يعلى العود كلما غنت عالياً حتى أنه لما عجز فى آخر الأمر عن مجاراتها فى تصوير نعمات صوتها المحلق فى الفضاء قطع أوصال العود وصرخ قائلاً «مين ينكر صوتك يا ست» . جرى ذلك فى عرس فخم لعظيم بدرب الجمائز أقيم فيه أربعة نخوت ولم يكن عبده حاضراً لتغيبه بالاسكندرية نقلاً عن رواية حضرة مخائيل بك تادرس صديقه الأمين وهو أوفى من عوف لما رأيت فيه من الولاء الشديد لبعده والترحم عليه ، وقد آلى مثلى ألا يرضى عن غنائه بديلاً .

أما المظ فقد حاربت عبده ردحاً من الزمن ، ونافسته فى صناعة الغناء لكنه تفوق عليها

المظ مزاحمة ظريفة - ومن المدهش أنها كانت ذات شخصية جذابة وكثيرة الميل الى المداعبة فى كل وقت لا سيما فى أثناء الغناء . ومن مستملح الفكاهات أروى انها ارتجلت دوراً غنته له قصداً لأول مرة وأنه فى عرس بناحية الجيزة بعد ان اجتاز النيل على «المعدية» وهو بالنيل (لعدم وجود «كبارى» فى ذلك الزمن) بقصد أن يسمعها . فقالت فيه ضمناً :

عدى يا المحبوب وتعالى واب ما جتشى أجلك أنا

وان كان البحر غويطة أعمل لك على القلب سالة

وقد غنته موالاً آخر فى عرس فخم جمعها وإياه وهو على تختة المشهور وهو كما يأتى :

یا لى تروم الوصال ، وتحسبه أمر ساهل داشي، صعب المنال ، وبعید عن کل جاهل
ان كنت ترغب وصالي ، حصل شوية معارف لأن حرارة دلالي ، صعبة وانت عارف
فما كان من عبده الا أن هدرت شفاشق ارتجاله وغنى الموال الآتى :

روحي وروحك حباب من قبل دى العالم والله

وأهل المودة قرايب الخ الخ

بما دل على أن الله فجر ينابيع الذكاء والبدية على لسانه وحباه بلطيف الحس وسرعة الخاطر
وسامى الشعور . وقد اتفق لى أن عثرت فى أثناء المطالعة على ما يشابه ذلك مبنى ومعنى وهو أن
شاعرة من شواعر الانكبايز أهدت الى زوجها ديواناً من الشعر الذى نظمته ذكرت فى افتتاحيته
الآيات الآتية التى اجتري، على إيرادها بنصها خشية ضياع طلاوتها اذا عرّبت وهى كالآتى :

The love within my heart for thee
Before the world was had its birth .
It is the part God gave to me
Of the great wisdom of the earth

ومن أدوارها التى امتازت بها وتداولتها الأسن اذكر ما يأتى :

الوى الوى	يا حلالى من الله عشقتك يا خي
لازم أهشه . دا العصفور	انكش له عشه . دا العصفور
دا ابن الأكابر . دا العصفور	على العشق صابر . دا العصفور
طار وعلاً . وعلاً وطار	ونزل على بيت العطار
وكبش ملابس وادانى	ولوز مقشّر واعطاني
لازم أهشه ، دا العصفور

يا سيدى أنا أحبك لله ، وربنا عالم شاهد
خبط الهوى ع الباب ، قلت الحليوه أهو جالى
ليه يا حمام بتنوّح ليه ، فكرتنى بالحبايب
ياهاترى نرجع الأوطان، ولا نعيش العمر غرايب

وذلك فضلاً عن انها كانت تغني أدوار عبده وكانت تقتصر فى الليالى التى تغنى فيها على
دورين اثنين فقط تلييه لطلبات الجماهير الذين ينزعون عن سماع غيرها لتغنىها فى التغات وقت
التكرار ، وقد روى لى الاستاذ محمد الشربيني ما يأتى :

« جمع قبل الزواج عبده والمظ عرس فخم بدار وجيه ، فبدأ عبده فاصلاً غنائياً خلب به عقول الحضور من تلامذة المدارس العليا والحزبية وهواة ومحترفين . ولما انتهى منه قام عمران مطيب المظ يتمايل كعزة الميلاء بملابسه البالية والخواتم بأصابعه والسكتينة والساعة الذهب على صدره وأخذ يخطب الجماهير كعادته المألوفة خطبة بثابة مقدمة وقال « قولي لنا يا ست المظ الدور الفلاني وسماه حسب طلب الحضور فأجابته وقالت « رايحه أقول إيه بعد اللي قله سى عبده » فرداً عليها وقال : قولي الى تقولي . قولي يا بخل أخضر . فما لبثت تفكر في ذلك مدة دقيقتين حتى ربتت للفجل دوراً غنته ونال الاستحسان العام وكان مسك الحتام ومن مزاياها أنها كانت تغني أحياناً في سراى الخديو اسماعيل في حضرة حرمة المصون وهى تلعب النرد مع رفع التكليف أو تلوح منديلاً بيدها بدون أن تتحمل من تصعيد غنائها أو تعاني فيه جهداً على حد ما كان يطلق عبده صوته في الفضاء متجاوزاً مطارح التسر وهو يلعب بحبات السبحة الكهرمان أو العنبر التي كان يفرکہا بكلمات يده ويشم رائحتها وكان لغنائها الرانة ما يذبذب في آذان سامعيها مدة من الزمن كما كان لصوتها من صدى يتكرر حدوثه بنفسه عدة مرات في السراى حين الغناء ويكون سببه وجود سطحين متآززين على جانبي الصوت يرد كل منهما صده الى الآخر كما يكون مثل ذلك في المراثيات عند تقابل مرآتين متآززين

وكانت قمحية اللون واسعة العينين كثيفة الحاجبين مسحاً الثدي وكان لها من عذوبة المنطق وجمال العقل والقلب ما يجعل لها أسمى موضع من النفوس إذ أن جمال العقل والقلب سرمدى وهو لأفضل من جمال الجسم الباطل الذى عرفه الفلاسفة وعلماء النفس بغير قصير الأمد وغدر صامت وأذى لا ذل فلاجل ذلك أحبها عبده حباً انطوت تحته نفعة من نعمات حب الوالدات وحنانها على العظيم (وشبيه الشكل منجذب اليه) ومنعياً من الغناء . منعاً باتاً بعد أن تزوجها وكان تحته ليلة زفافها اليه مؤلفاً من أكابر العازفين أمثال أحمد الليثى العواد والجركشى وابراهيم سهلون الكمانى ومحمد خطاب شيخ الآلاتية وأبدع عبده في الغناء إبداعاً أخذ بجماع القلوب وكان مدلوله دعمة الباكى وقلة العابد وتعزية الحزين وهادى المسافر ورسول السلام ومنعش المكتئب ومحمس الجبان ولا أبالغ إذا وصفت غناؤه في هذا المقام كبستان فيه الزهور والورود والرياحين يهوج شذاها على الحاضرين أو كعرض تعرض فيه جميع النغمات الموسيقية التي خلقها الله وحصرها في صوت الانسان حتى أضحي في الشرق مهوى الأفتدة وبهجة الناظرين

وقد روى لى الاستاذ محمد الشربيني أن الخديو اسماعيل كان يأنف من عادات العامة فى العويل والصراخ وراء الميت ويتشأم من ذلك فأصدر أمره الكريم بالأتى الجنازات بساحة عابدين ولما سمع بوفاة المظ رخص لآلها بأن يمر جثمانها منها ولدى وصوله أطل من الشرفة بالسراى وترحم عليها مكبراً موسيقاها العربية وكان ساكن الجنان الخديو اسماعيل ولعاً بالموسيقى العربية فعين للمرحوم عبده ١٥ جنيهاً مرتباً شهرياً ولكل من المظ وأحمد الليثى وابراهيم سهلون ومحمد خطاب ١٠ جنيهاً واستمروا يتقاضون هذه الرواتب بعد تولى الخديو توفيق الأريكة الخديوية واقطعت فى عهد الخديو عباس . أما ساكن الجنان السلطان حسين فكان ولعاً بالموسيقى العربية (وهذا الشبل من ذاك الأسد) إلى أبعد مدى بدليل أنه استدعى قبل وفاته بأربعين يوماً تحتاً مصرياً مكوئاً من الأساتذة محمد العقاد القانونجى وسامى الشوا أمير الكيان وعلى عبد البارى المطرب وحسنين العواد والبزرى العازف على الناي فغنوه غناء عربياً ذا صبغة شرقية وروح مصرى انفسح له صدره فأجزل لهم العطاء وأكرهم إكرام اسماعيل أبى الأشبال وصاح عند انصرافهم قائلاً لهم اطلبوا إلى الله أن يطيل فى عمرى ليتسنى لى القيام باحياء الموسيقى العربية وتجديد شبابها وإعادة مجدها الأثيل ولم تعقب المظ نسلأبل تركت لزوجها الحسرة على فقدها . كما أنها تركت له جواهر وقوداً ومفروشات وشالات كشمير زين بها ريشاً لعدة غرف وبهو وردة منزله وستائر الخ ومنزلاً بدرب سعادة باعه قبل سفره إلى أوربا للاستشفاء وقد غنى عقب وفاتها المذهب الآتى على نعمة العشاق

شربت الصبر من بعد التصافى ومر الحال ما عرفتش أصافى
يغيب النوم وأفكارى توافى عدمت الوصل يا قلبى على

(دور)

على عيني بعاد الخلو ساعة ولكن للقضا سما وطاعة
دى غرشى الروح فى الدنيا وداعة عدمت الوصل يا قلبى على

ولما كان هذا المذهب وهذا الدور مدونين بالنوتة عن عبده بالمعيد الملكى بعرفة الاستاذ داود حسنى لم يأتى لم يتلقه الطلبة فيه احتفاظاً بسحر الموسيقى الشرقية وتوجد غيرها أدوار له وللمحمد عثمان وابراهيم القباني فما فائدة تدوينها الذى صرف عليه مبلغ طائل وعى من مودعات الخزائن ؟

أزواج عبده الخمس

كانت زوجته الأولى منذ ارتفع عن سن الحداثة إبنة المعلم شعبان القانونجي من طنطا ، والمظ الثانية ، والثالثة من جبة الامام الشافعي التابعة لقسم الخليفة خلفت له محموداً الذى سيأتي الكلام عليه أما الرابعة ، فقد رُزق منها بنات فقط كانت إحداهن المدعوة زينب تزوجت من محمد بن محمود القرا حنفي شيخ طائفة الطبائخين من ذوى اليسار طُلقت منه مرة واحدة ، ولما تصالحت مع زوجها أسكنهما عبده معه تأليفاً لئليهما وعطفاً على إبنته بداره بالجزيرة الجديدة المشهورة بجزيرة العبيط تبع قسم عابدين التي كانت مسكنه الثاني بعد مسكن حلوان وتزوج محمد العقاد الكبير من الثانية منهن بعد وفاة والدها ، وقد توفاهن الله جميعاً ، أما زوجته الخامسة وهى الاخيرة فهي سيدة تركية اسمها جولتار هانم وهى من أسرة كريمة بينها وبين عائلة المرحوم احمد باشا رأفت قرابة وكان الأخير محافظ الاسكندرية فأمور ديوان الخديو اسماعيل . خلفت له محمداً ، وكان حين وفاة والده يبلغ من العمر أربع سنوات ربته أمه تربية حسنة وبعثته بعد إتمام دراسته بتصرالى المانيا ليتعلم الطب وبعد أخذ الشهادة دخل فى خدمة مصلحة الصحة وله شقيقة واحدة متزوجة فى طنطا ، وقد تقل الله والدتهما الى دار كرامته فى أواسط شهر مايو سنة ١٩٣٥ وقد عُين باسيلي بك عريان قيا عليهما حتى بلغا سن الرشد

محمود ولده - كان محمود أسمى اللون نحيف البدن مربع القامة ساهم الوجه ماتعرفت به ليلة زواج المرحوم يوسف شديد بالقازيق وقد مات بالسكتة القلبية . أما فيما يختص بزمان وفاته ، فقد اختلفت الرواة فيه . فمنهم من قال انه مات ليلة زفافه ومن قائل أنه مات بعد مرور ستة وعشرين يوماً على زواجه ، وما ذهب اليه الثانى هو الاصح الذى لا شك فيه استناداً الى ما استقصيته من أخيه الدكتور محمد الحولى

ومما لا يختلف فيه اثنان أن المرحوم والده عندما بلغه الخبر المشؤوم بوفاته تمالك وتماسك كأنه طود من الأطواد ، وكأنى بالحولى الحولى للتأنيبات ، الجلد على الخطوب والتوازل ، وغنى مرتجلاً :
الصبر محمود مثلى على حبيبي وبعده والنار فى القلب ترعى والرب يلفظ بعبده
وغنى مرتجلاً أيضاً

ليه يا عين ليه ليه يا عين • يا حليوة يا نور العين • كبدى يا ولدى يا جميل يا جميل

لما رأيت البدن داب منى * ودمع عيني جرى بعد ان نشف منى * كبدى يا ولدى آه يا جميل يا جميل
وكثيراً ما كان محمد عثمان ينهيه عن الاستسلام الى الحزن ويقطع عليه وجهة الابتكار والتصنيف
لمثل هذه الأغاني المحزنة محافظة على البقية الباقية من صحته

أمراضه وآلامه - أما عن أمراضه وآلامه فحدث عنها ولا حرج واليك ما ذكره ابراهيم بك
المويلحي بجريدة مصباح الشرق بحروفه « فلم يفارقه داء الصداع طول حياته ، وكانت إذا اعتريته
نوبته ألغته على الأرض صريعاً يتخبط في أشد الآلام لا يكاد من يراه على تلك الحال يصدق
بنجانه منها فاذا أفاق لزم الفراش من عظم وقعا مدة طويلة ولم ينجع في ذلك الداء معالجة الأطباء
وكان رحمه الله جلدأ صبوراً على تحمل الآلام في نفسه وبدنه ، فقد أصابه غير هذا الداء من الامراض
علل كثيرة بعضها في إثر بعض حتى كان يقول انه قضى ثلثي أيام حياته في المرض والثلث في مراعاة
خواطر الناس . وقد أصيب بخراج في الكبد استعصى على الأطباء أمره ويئسوا فيه من نجاته حتى
امتنعوا عن العملية الجراحية وقرروا أن النجاح فيها كنسبة الواحد الى المائة ، فألح عليهم المرحوم
بوجوب عملها على أى حال فعملوا له عملية البزل فلم يخرج من الأنوبة شيء فتركوها في جوفه يبرزها
وأمره أن يستمر راقداً على ظهره لا يتقلب على أحد جنبه طول ليله وأنذروه ان هو تحرك وانتقلت
الأنوبة من مكانها قضى عليه ، ثم وكلوا به من يحرسه واستمر في حالته التي تركوه عليها إلى أن
غشيه النعاس في آخر الليل ، وغفل الحارس عنه برهة فاقبل على جنبه فأصاب سن الميزل رأس
الخراج من طريق الاتفاق فلم يشعر الحارس إلا وقد سال الصديد حول الفراش ، وأيقن بالخطر
وأسرع الى الطبيب ، فلما حضر وفحص حالته قال : « ان يد القدرة قامت بما عجزت عنه يد الاطباء »

وما كاد يشفي من هذه العملية حتى ظهر في الكبد خراج آخر ، فعملت له عملية ثانية
بالاسكندرية . ثم أصيب بعد ذلك في سنة ١٨٨٨م بالتهاب في الرئة ، فكان ينفث الدم وتأكّل
جزء من إحدى الرئتين ومن هنا ابتداء الداء الذي مات به ، فعالجه الأطباء وأشاروا عليه بسكنى
حلوان فسكنها ووقف سبيل الداء فيه وسافر المرحوم في سنة ١٨٩٦ الى الاستانة العليا وحظي هناك
بالمثل في الحضرة الشاهانية مراراً ، فأعجب أمير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن أدائه فأسنى عطيته
وبلّغه حسن رضائه « اه

نرفه عن وظائفه مغن - وقال أيضاً ما أقله بنصه حرفياً : « كان المرحوم الحولى كبير النفس

على الهمة بمحاول الارتفاع عن وظيفته وسعى فى الخروج منها مقتصرأ على الاشتغال بالفن لذاته لجهل الناس فى جيلهم الماضى بعلو قدر هذا الفن وغفلتهم عن جلال منزلته بين الفنون وناهيك به أن أفاضلون وهو حكيم الحكماء جعله فى مقدمة علوم الحكمة وأول مراتب التهذيب ، وقد عمد المرحوم الى ذلك بالفعل فى أيام المغفور له اسماعيل باشا فترك مزاوله صناعته بالأجرة بين الناس وخرج من زمرة المغنين إلى زمرة التجار غير طامع فى الذهب الذى كان يسيل من حياله بممارسة صناعته فى تلك الأوقات . فافتتح محلاً لتجارة الأقمشة اشترك فيه مع بعض التجار بمبلغ عشرين ألف جنيه ، فما مضى عليها عشرون شهراً إلا وانتهت به سلامة نيته وحسن ثقته أن خرج منها صفر اليدين مدينًا للشريك دائنًا للناس يمنعه الخجل ويحجبه الحياء عن طلب الوفاء ، ولم يتمتع فى أثناء ذلك عن الفناء بين الناس بل امتنع عن طلب الأجر عليه الى إن عادت به حاجة العيش الى مزاوله صناعته كما كان فى أول أمره . ولم يزل يتطلع الى غرضه فى الانقطاع عنها كما فعل ودهره يحول دونه فلا يستطيع بلوغه الى آخر مدته «

فيستدل من كل ذلك أنه أرفع من أن تحوم نفسه على استغلال مواظنيه والاتجار بالفن وان قراره من المهنة هو محمول على شرف نفسه وإيائه ، كما ان استمراره فى الفناء بلا أجر فى أثناء اشتغاله بالتجارة دليل على زهده فى المال وانصرافه عنه مما يخالف على خط مستقيم حال المطربين المجددين فى زماننا المادى فى القرن العشرين . وحال قريش فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد وكان علي رضى الله عنه يقول للمسكوك من العملة : « يا صفراء يا بيضاء غري غيري »

الموسيقار العربى بلوى دعوة المنبروى - دعا الشيخ يوسف الميلاوى المرحوم عبد المحمولى وحضرة مخايل بك تادرس وآخرين لتناول الغداء بمنزله يكوبرى القبة بعد أن اشترط الثانى على الأول ألا يأكل عنده إلا أكلة مصرية تحت كالملوخية « المطراوى » المطبوخة بمرق الأرناب « البلدى » الثمرت فجيز ذلك الشيخ يوسف على الطراز المراد وأخذ المدعوون يغدون إلى داره وحضر عبده بملابسه العربية المكونة من جلباب جوخ وعباءة وكوفية « محلاوى » ويده عصا أبنوس شغل اسيوط فلما استقر به المقام وتنفذ اخوانه المدعوين لم يجد بينهم صديقه الحميم مخايل بك تادرس ومالئث ان أمسك بالعود ليفنى حتى قدم الأخير مهرولاً وقال له أنه حضر قبل انصراف الديوان بساعتين إكراماً لحاظه بعد أن استأذن من احمد فريد باشا رئيس الدائرة السنية أنذار بالانصراف بحجة أن أمراً مهماً طرأ عليه واخذ يفنى ويدع حتى الساعة الخامسة بعد الظهر واستغنى

الحضور عن الغداء بما غذى نفوسهم من غناء . وليس هنا محل الغرابة ولكن المستغرب ان الشيخ يوسف على ما هو معدود من اكابر المنشدين وأشهر المطربين فانه تأثر من حسن إلقائه حتى صاح قائلاً « سبحان الوهاب سبحان الوهاب » والدموع تتساقط على خديه على خد ما حدث للاستاذ الاسوانى العواد الفذ فانه بعد ما سمع عبده يغنى دور (يا أهل العجب شوف جبك كوانى تعالى شوف) دهش وتعجب من حسن لقائه وغريب تصرفه الفنى ومال نحو الاستاذ احمد نسيم الشاعر الموظف بدار الكتب وقال له ليس العجب أن يعجب الحاضرون بغنائه الفريد المدهش وهم لا يعرفون للفن قبلة ولا ديرة بل ألا عجب هو أن أكون أكثر دهشة منهم على ما أنا عليه من تضلع من الموسيقى وأصبح أحير من ضب لا أتمكن من الاهتداء لمعرفة كيف علا صوته وانخفض فى لفظة « العجب » وتجمع وتفرق وتداخل وتخرج وتواصل وتفرع وأوغل وتخلص وتوغر وتسهل وأغار وتسلل وأردف قائلاً أنه لو خير بين مدينة لندن ولفظة العجب لفضل الأخيرة على الأولى وما عليها وكانت له بجة حلق طبيعية وعربية واليك ما قاله كشاجم فى بجة حلق المغنى

أشتعي فى الغناء بجة حلق	ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشو	ق فضاى به أنين العود
لأحب الأوتار تعلقو كالآ	أشتعي الضرب لازماً للعود
وأحب المجنبات كحي	للمبادي موصولة بالثيدير
كهبوب الصبا توسط جالا	بين حالين شدة وركود

المواويل (الموايل) — أذكر أوثلبا وهي كالاتى : « يا مفرد الغيد يا سيد الملاح يا سيد »
و « ما حد زبي على خله إنضى حاله » و « محكم داب وانتم لم دريتوا به » وجك شغلنى عن
الحلان والهانى ولما للموال الآتى من منافقة أذكره برأسه

أهل السماح الملاح دول فىن أراضيههم أشكى لهم ناس لم يعرف أراضيههم
وكم حفظت الوداد ونسيت مواضيههم إن غبت عنهم بنار البعد انكوى
وإن مسنى قرب تخرجنى مواضيههم

فلما كرر عبده عبارة « دول فىن أراضيههم أجابه محمد بك البالى الفكه وقال « فى البنك
العقارى » إسألنى أنا اقول لك ولا تعبش « ملاحيبى كؤوسى قلت وانا مالي » و « موارد الصبر
أحلالى وأسئلى لي » و « مين فى القواد يا حبيبي غير جمالك مين » و « وحق من أطلملك يا فجر

متحنى « و » ياناس أنا منيتي حلو اللى واطيف « و » بالبخت كنت افكر بالانس ودا جالي «
 و » يا اللي القمر طلعتك يا بو قوام عادل « و » يا اللي عليك الليالي نبكي وتناهد « و » وحيد
 الحسن يا اللي كل الجمال منك « و » من حق سود العيون يا بو خدود وردي « و » مرّ الغزال
 الفريد من بعد ما سلم « و » قم فى دجى الليل ترى بدر الجمال طالع « و » عوازي فيك أطالوا اللوم
 وعيوني « و » يا حادي العيس خلىنى أسير وحدي « و » يا بدر تم الجميل واطلع لنا بدري « و
 » يا بدر داري عيونك وخلي الخد باين لي « و » يا بدر ايه العمل حيرت أفكاري « و » الليل
 أهو طال وعرف الجرح ميعاده « و » بدال ملاملك لأهل العشق عليهم « و » إمتى الحبايب يجو
 ونشوف لواظهم « و » فيك ناس ياليل يشكوا لك مواجعهم « و » ليه حاجب الظarf ينعنى
 وانا مدعي « و » الفجر أهو لاح قوموا يا تجار النوم « و » كل البدور بتورد وخلي لم ورد بدرى «

القصائد التى غناها

قصيدة مدبى فراس

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر	أما للهوى نعي عليك ولا أمر
نعم ^(١) أنا مشتاق وعندي لوعة	ولكن مثلي لا يذاع له سر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى	وأذلت دمعاً من خلّاته الكبر
تكاد بضيء النار بين جوانحي	إذا هي أذكتها الصباة والفكر
معلاتي بالوعد والموت دونه	إذا مت ظمّانا فلا نزل القطر
تسألني من أنت وهي عليمه	وهل بفتى مثلي على حاله نكر
قلّت كما شأت وشاء الهوى لها	قتيلك ، قالت ، أيهم فيهم كثر
وقالت لقد أرزى بك الدهر بعدنا	قلّت معاذ الله بل أنت لا الدهر

قصيدة لا قصر

أمرت فؤاد المستهام عزيزة	ملكّت قلوب العاشقين بأمرها
جلست على عرش الجمال فأشرق	شمس الجمال تضيء ساحة قصرها
من قال أن أشكو الغرام واننى	لأقل قدراً أن أموت بحبها

(١) أصابها د بلى ، أبدلها « بنعم »

أنا عبدها^(۱) مہما تحکم أمرها فی کل حال عاجز عن شکرها
فی الشرق شمس أنهار نظیرها فی الغرب بدر لیس یغرب نورها

قصیدہ لآضر

فیامہجتي ذوبی جوی و صباۃ ویا لوعتی کونی کذا کی مذبیتی
و یا نار أخشائی أقینی فی الجوی حنایا خلوعی فہی غیر قویۃ

قصیدہ لیزید ابن معاویہ

نالت علی یدها ما لم تنلہ یدی تشأ علی معصم أوہت بہ جلیدی
کأنہ طرف نمل فی أناملہا أودوضۃ رصعۃ السحب بالہرد
خافت علی یدها من نبل مقامہا فالبت زبدها درعاً من الزرد
أنسیۃ لورأنہا الشمس ما طلعت من بعد رؤیتہا يوماً علی أحد
سألتہا الوصل قالت لا تغرّ بنا من رام منا وصلاً مات بالکدر
فکم قلیل لنا فی الحب مات جوی من الغرام فلم یُدر ولم یُعد
قد خلقتنی طریحاً وھی قائلۃ تأملوا کیف فعل الظبی بالأسد
واسترجعت سألت عنی قلیل لها ما فیہ من رفق دقت یداً ید
واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت علی العناب بالہرد
ہم یحسدونی علی موتی فوا أسفی حتی علی الموت لا أخلو من الحسد

قصیدہ لآضر

حجبوها عن الریح لآنی قلت یاربج بلغیہا السلاما
فتفتست ثم قلت لطیفی ویک إن زرت جفتہا إماما
حیہا بالسلام سرّاً وإلا منعوها لشقوتی أن تناما

قصیدہ لآضر

تذلل لمن تہوی فلیس الهوی سہل ففی حبہ یجلو التہنک والذل
تذلل لہ' تحظّ برؤیا جمالہ إذا رضی المحبوب صح لك الوصل

(۱) کان یقول تارة «انا عبدها...» وطورا «انا عبدك...»

ما اخترته من الحان المرحوم عبد الحمولى

١ - مذهب عراق

فؤادى أسألك قول لى	تعلمت الهوى دا منين
وتاه فكرى معاه قال لى	أنا حاضر وانت فىن
(دور) غرايب والنهى سيرك	وحق اللحظ والخدين
أنا قلبى ما فىه غيرك	وليه قلبك يساع اثنين

٢ - مذهب حجاز كار

ملك الحسن فى دولة جماله	ملك عقلى وأفكارى وروحى
ومن تبهه أسر قلبى جماله	وزاد فى محبته وجدى ونوحى
(دور) أنا عاشق ومغرم يا حبيبى	ومن مثلى عشق يا حلو مثلك
أعيش مسعدولو يزاد لهيبى	واتمنى بأنعامك ووضلك

٣ - مذهب حجاز كار أيضاً

الله يصون دولة حسنك	على الدوام من الزوال
ويصون فؤادى من نبلك	ماضى الحسام من غير قتال
(دور) أشكى لمن غيرك حبك	أنا العليل وانت الطيب
اسمح وداوينى بقربك	واضع جميل إياك أطيب

٤ - مذهب حجاز كار

كنت فىن والحب فىن	لم يفارق لحظ عين
-------------------	------------------

٥ - مذهب ياقى

أنا السبب فى اللى جرى	ما حد غيرى اللى انظلم
-----------------------	-----------------------

٦ - مذهب نهوند	يا منية الأرواح	جد لى بوصلك يوم
----------------	-----------------	-----------------

والقلب منى راح	وهجر عيونى النوم
----------------	------------------

والمدامع مطر	يا شقيق القمر
--------------	---------------

والقلب انفطر	وازداد عذولى لوم
--------------	------------------

(دور) دا المجر یا روجی زاد الفؤاد أشجان
 ارحم بقا نوحی واسمح یا غصن البان
 انعطف لی ومیل والنبی یا جمیل ...
 واشفی صب علیل فی محبتک حیران

۷ - مذهب نہوند

جانی الجمیل والکاس علی یدہ عمل آییہ من ورد خدہ
 أسرفؤادی من حسن قدہ حیث ولكن وعد علی
 (دور أول) لیہ الدلال یا حلو زاید دا هجر منک والا وحاید
 جعلت حبک من الفرائض حیث ولكن وعد علی
 (دور ثان) محبوب قلبي یکنی دلال البعد طول ولا انت مالک
 واصل یا حبی واترک دلالک حیث ولكن وعد علی

۸ - مذهب حجازی دوکۃ

انت فرید فی الحسن - والا جمالک یا حلو واصل وکیدالاعادی - یکنی دلالک
 (دور أول)

من علمک علی الدلال - والا دا طبعک کوی فؤادی الجبین والخال - احکم بشرعک
 (دور ثان)

اسمح وجود بالوصل - یانور عینیہ کوی فؤادی الخدید والخال - ارحم شویہ
 ۹ - مذهب رصد

فؤادی جدّ بہ حالات لمین یا حلو أشکیہا
 وتحکم لی أنا ساعات أشاهد موقفی فیہا
 (دور) حیاتی بعد بعدک نوح ووعدی ضیعک منی
 وهو انت الفدا للروح ولیہ برضی البعاد عنی

۱۰ - مذهب بیاتی قدیم ولہ تلحین آخر جرکۃ

فی مجلس التفریح ملیت المدام - للی أحبہ فقلت لہ عبدک ضناہ الفرام - اسمح بقربہ

(دور أول) سقي ظهر لما هجر باهي الجمال يا رب يسمح
 الشعر جعدي والخذ وردي والمسك خال واللعظ يجرح
 (دور ثان) يا ناعس الأجفان أطلت الدلال والوصل ماله
 إن جدت للمشتاق بطيب الوصال يفديك بماله
 (دور ثالث) جسبي انتحل لما رحل حلو الدلال والخصر خده
 إمتى يجيني واشرب مدام من صحن خده
 ١١ - مذهب جهار كاه

الحب صبحنى عدم والجسم منى زاد سقام - شوف يا جميل
 ارحم محبك بالوصل واترك بقى هذا الدلال - واضع جميل
 (دور)

يا منيتي إيه السبب في دي الخصام اللي جرى - قوللي عليه
 هو عذولى جالك ولام علشان كده عامل خصام - وأنا ذنبى إيه

١٢ - وكان في ضمن الأدور والقطع التي اشتهر بفنائها ما يأتي بالايجاز :

يا منية الأرواح ، روح يا عذول يا فاضي ، أنا وحيبي راضي ، عذول وعامل قاضى الخ
 ويا سيدي خدك وردي الخ . ويوجد مذهب قديم (رصد) غناه كثيراً وهو كالآتى :

١٣ - توبي يا حلوه توبي أنت قصدي ومطلوبي
 شوفوا حالي يا اخونا دا العشق من الله وعدي ومكتوبي
 إزاي أتوب يا لسمر ريقك أحلى من السكر
 أنا أتوب وانت تسكر دا العشق من الله وعدي ومكتوبي
 ١٤ - مذهب عشاق (لحنه عقب موت المظ)

شربت الصبر من بعد التصافى * ومرة الحال ما عرفتش أصافى (سبق ذكره)

١٥ - مذهب سيكاه

متع حياتك بالاحباب - سعدك قمر (تقدم بيانه)

مذهب حسینی دوکاه

جددی یا نفس حفظک منیتی الهاجر تعطف

مذهب شرحه

حفظ الحیاة یبقی لروحي لما الهوى یجى سوا
یا قلبی طال نوحک ونوحی والی جرح عنده الدوا
(دور) سحر الجفون خد منی قلبی وأنا اعمل ایه فی دى الهوى
یا ناس عجیب السقم زاد بی والی جرح عنده الدوا

مذهب کردان

شربت الراح فی روض الأنس صافی علی زهر الفصوص وردی وصافی
وهنائى الزمان والوقت صافی سمح بالوصل محبوی الی الخ
شرحہ المطریبکی لحالی * والقمر یطلع یکیدنی * وعذولی مارثی لی الخ

مذهب اوج

یا الی خلیت م الحب حسک تلامسنى أحسن أنا هوہ
تصبح جریح القلب وتحب صدقتی بالغصب والقوة

مذهب حجاز

فؤادی من لحاظک یا حبیبی ولیہ جرحته والوصل هو مرادی
وسبقی زاد ولم طفیت لهیبی فرقتاً یارشا واترک عنادی الخ

مذهب بیاتی

قدہ الیاس زود وجدی فی شرب الکاس قضیت عمری
ده جبه کاس وسبب وعدی طول لیلی سهران ارحم قلبی

مذهب بیاتی أيضاً

بسحر العین ترکت القلب هایم ولا فی الفکر غیرک کل لیلہ
أشوف طیفک وانا صاحی ونایم کأني فی هواک مجنون لیلی الخ

مذهب شوری

حیث جمیل طبعه الدلال بالبدع والیه أفناني
قصدی یتوب عن الخصام وأقول حبیبی یاناس هنائي

(دور) لو كان وفاني بوعده يوم لو فى المنام زارني طيفه
 ما كان كفاني لذيد النوم لكن ده كله على كيفة
 مذهب ياتى دارج الخلو لما انعطف أخجل جميع الفصون
 الخد لما انقطف ورده بغير العيون الخ

مذهب نواثر

كل يوم أشكى من جراح قلبي وكل ما أشكى من نار الغرام
 العذول يفرح من بعاد حي والله أنا ما أسلاه لو زاد الملام
 مذهب نهاوند أهين النفس واتذل اليكم واقول للقلب ذق نار الغرام
 يقضيني عذابي حرام عليكم يدوم لى حسنكم طول الدوام
 مذهب نهاوند كاذني الهوى وصبحت عليل مثل النسيم فى روض الحسن
 حي قمر طالع على غصن كله أدب وطرب وجميل
 مالوش مثيل

فمن قاتل انه تلحين محمد عثمان ومن قاتل انه تلحين عبده كما جاء فى كتاب الموسيقى الشرقي
 لمحمد كامل الحلبي

مذهب حجاز كار غرامك علمنى النوح يا حبيب القلب شوف
 مع طيفك أرسلت الروح أترجاك تعمل معروف

ومما رواه لي حضرة الاستاذ بطرس باسيلي ابن المرحوم باسيلي بك عريان صديقه ورئيس قلم
 النشر والترجمة بوزارة الزراعة أجتزى بما يأتي :

لما شعر عبده بدنو أجله غادر حلوان ولما وصل إلى مصر أقتله عربة إلى منازل أصدقائه الذين
 زارهم واحداً واحداً واستودعهم الله إلى اللقاء وأعطى المحمولى جنيهاً واحداً أجرته وبعد قليل من
 الزمن انطلقت فى فجر الأحد الواقع ١٢ مايو سنة ١٩٠١ السنة البرق بما أصم السامع حاملاً نعيه إلى
 ذويه ومريديه وأصدقائه فى النجاء القطر المصرى خصوصاً والشرق عموماً فقضى مأسوفاً عليه مزوداً
 بصالح الاعمال تاركاً من جميل الذكر ما يستدر عليه المراحم مدى الدهور

قصيدة المرحوم احمد شوقي بك امير الشعراء

التي جادت بها قريحته الفياضة وتعد رمزاً للوفاء وصدق العهد للمرحوم عبد المحول قال:

ساجع الشرق طار عن أوكاره	وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض	لا تفر التسور من أظفاره
يطرق الفرخ في الفصون ويغشى	(لبدأ) في الطويل من أعمار
سلب الفن ألحن الطير فيه	والمتين المكين من أوتاره
كان مرماره فأصبح داو	دُكثياً يكي على مرماره
(عبده) يد أن كل مغن	عبدُه في افتتانه وابتكاره
معبد الدولتين في مصر اسحا	ق السعدين رب مصر وجاره
في بساط الرشيد يرمأ ويوماً	في حمى جعفر وضافي ستاره
صفو مليكهما به في ازدياد	ومن الصفو أن يلوذ بداره
يخرج المالكين من حشمة الملك وينسي الوقور ذكر وقاره	وأثار الحسان من أثماره
رب ليل أغار فيه القمارى	وحجاز أرق من أسحاره
بصبا يذكر الرياض صباه	كحديث التديم أو كعقاره
وغناء يدار لحناً فلحناً	عرف السامعون موضع ناره
وأنين لو أنه من مشوق	حين يلحى تكون من أعذاره
يتمنى أخو الهوى منه آهاً	في معاني الهوى وفي أخباره
زفرات كأنها بث قيس	د ولا يشتكي إذا لم يجاره
لا يجاريه في تفته العود	ل فيصني مستمهلاً في فراره
يسمع الليل منه في الفجريا لي	بدواء الموم في عطاره
فجع الناس يوم مات المحول	والقوي المكين في أسراره
بأنى الفن وابنه وأخيه	والجواد الكريم في إثاره
والأبي العفيف في حالتيه	ويذيق للفقير من مختاره
يحبس اللحن عن غني مدل	

يا مغنيًا بصوته في الرزايا ومعينًا بماله في المكاره
ومجل الفقير بين ذويه ومعز اليتيم بين صفاره
وعمد الصديق ان مال دهر وشفاء المحزون من أكداره
لست بالراحل القليل فتسى واحد الفن أمة في دياره
غاية الدهر إن أتى أو تولى ما لقيت الغداة من ادباره
نزل الجد في الثرى وتساوى ما مضى من قيامه وعثاره
واقضى الداء باليقين من الحما لين فاللوت منتهى إقصاره
لهف قومى على مخايل عز زال عنا بروضه وهزاره
وعلى ذاهب من العيش وليه ت فولي الأخير من أوطاره
وزمان أنت الرضا من بقايا ه وأنت العزاء من آثاره
كان للناس ليله حين تشدو لحق اليوم ليله بنهاره

مرثية جريدة المقطم

للمرحوم عبده الحمولى

جاء بالمقطم عدد ٣٦٨٣ بتاريخ ١٣ مايو سنة ١٩٠١ ما يأتى

فقدت مغاني الأُنس ضحوة أُنس منعش الصدر ومطرب النفس المرحوم عبده أفندى الحمولى
فخرست الدفوف وقطعت أوصال الأعواد حزناً وأسى على أشهر من أشهر في مصر بالغناء والتلحين
قضى رحمه الله مناهزاً الستين من عمره بعد ما بسم له الدهر فنال الخطوة من الملوك والامراء
والعظماء وكان سمحاً جواداً أنيساً محبوباً من صحبه ومعاشريه

أصيب بعلّة منذ عهد قريب فقصد الصعيد مستشفياً حتى إذا عاد اليه أمل الشفاء أشار عليه
الأطباء بالسكن في حلوان فلم يدفع ذلك عنه مقدوراً . وكان من رجال الخير وخير الرجال همه في
المساعدة والاسعاف فقد أحيا الليالى التي لا تحصى وهو يطرب المدعوتين في الأندية والحفلات التي
خُصّ دخلها بإنشاء المدارس أو بإغاثة الفقراء والمحتاجين

وقد جى بجنته بعد الظهور من حلوان الى مصر ثم شيعها خلق كثير جداً من الأعيان والوجهاء

والأدباء إلى مدفنه في باب الوزير وأقيم مأتمه البارحة في منزله بالعباسية وسيقام فيه الليلة والليالي الآتية أيضاً ويقتصر فيه على ثلاث ليالٍ. سقى الله مثواه وأبل الرحمت وأجمل عزاء ذويهِ والمصريين عموماً فيه

مرثية جريدة الاهرام

جاء في الاهرام عدد ٧٠٣٦ للسنة السادسة والعشرين بتاريخ ١٣ مايو سنة ١٩٠١ عن وفاة المرحوم عبده المحولي ما يأتي :-

فاضت روح المطرب المبدع والموسيقي الشهير، فاضت روح عبده افدى المحولي على أثر ذاء غيآء فحق لمصر أن تحزن لوفاته بقدر ما كانت تطرب بنغماته بل حق للموسيقى العربية أن تبكيه وتستعظم الخطب فيه فقد كان فخارها ومعلي منارها في هذا القطر بل في كل قطر نطاق أهلها بالضاد . وكان رحمه الله كريم الشيم عزيز النفس رقيق الجانب ونال الخطوة لدى الامراء والكبراء وما انتشر نعيه حتى شمل الأسف كل عارفيه وكثير مام وفي الساعة الثالثة بعد الظهر أمس نقلت جثته من حلوان إلى القاهرة وشيعت بمشهد لائق وبعد أن صلي عليه دفن في مدفنه بباب الوزير . وما زاد الأسف عليه وكان من أكبر الدلائل على كرمه وسخائه أنه ترك صبية صفراء ليس لهم من عضد ولا سند سوى ذكر أبيهم فعسى يبقى لصدى صوته بقية تؤثر في القلوب رحمه الله أوسع الرحمت

راى فى الموسيقى الشرقية والغناء العربى

للعلامة الجليل صاحب العزة خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الاغر

بمناسبة الاحتفال بأحياء ذكرى عبده المحولى

ذكرت جريدة المقطم الاغر بعدد ١٤١٨٢ بتاريخ ٢٤ يولييه سنة ١٩٢٥ ما يأتى :-
نشرنا يوم الجمعة الماضي وصفاً لحفلة أحياء ذكرى المغفور له خالد الذكر عبده المحولى وقد أقيمت على مسرح حديقة الازبكية يوم الثلاثاء ١٦ يوليو بدعوة من حضرة الاستاذ قسطندى رزق ونشر فيما يلي الكلمة التى ألقاها الاستاذ مصطفى الحكيم وقد كتبها حضرة رئيس تحرير

المقطع فى هذه الحفلة لما فيها من التنبيه على حالة فى الغناء العربى الجديد يراها حضرة العلامة المتواضع صاحب العزة خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم جديرة بعناية أرباب الفن الموسيقى حرصاً على أصول الغناء العربى

عزيزى الاستاذ قسطندي رزق

وطئت النفس على أن اشهد احتفالك الكبير بذكرى أمير الغناء العربى فى عصر نهضة مصر الحديثة وأن اشاركك وأنصار هذا الغناء المجتمعين الليلة لذكرى الفيد العظيم غير أن طارئاً لم أكن أتوقعه طراً على وحال دون تحقيق هذه الأمنية

ولا أحاول هنا التنويه بما شهدت من عظيم غيرتك وحيثك فى السعي لحياء ذكرى عبده وإطلاع أبناء هذا العصر على ما فاتهم مما تمتع به أبناء العصر الماضى فجزاؤك على هذا ما أنت شاعر به الساعة من اغتباط وارتياح وهو خير ما يجزى به العاملون

ولكن اسمح لي أن أضيف إلى جهدك الذى بذلت بالدعوة باللسان والقلم تنبيه أنصار الغناء العربى والموسيقى الشرقية الى ما نحن مصابون به الآن وما نتوقعه إذا استمرت هذه الحال فقد ابتلينا بداء (التجديد) هذا فى كثير من أمورنا - فى اللغة والعادات ثم امتد إلى الغناء فأصيب الغناء العربى بهذا « الاتحاد الفنى » المشهود الآن والذى يؤذى اسماع وقلوب عارفى هذا الفن والمعبين به ولا أنكر أننا اقتبسنا فى الأصل جانباً يذكر من غنائنا من الفرس ولا نزال نستعمل فى موسيقانا الالفاظ الفارسية للأغنام والسلم الموسيقية ولكن كرايام واتقضاء الأعوام صقلا هذا كله فالغناء وأحييناه

ولا بد لغنائنا وموسيقانا من أن يتأثر باتصالنا بالغرب وموسيقاه المتقنة المهذبة الأصول والفروع ولا ريب فى أننا من الناحية الفنية مقصرون عن الغرب تقصيراً كبيراً ولكن هذا لا يعنى وجوب تطبيق فننا أو مسخه فلا يبق شرقياً ولا يصير غربياً

فاذا قيل أن هذا تحول أو « تطور » قلت أنه تحول بنير ضابط وافساد للذوق لست من خصوم التجديد غير أنى وأنا من عارفى أصول الموسيقى الشرقية والغربية ومن الذين درسوها والفوا العزف على بعض آلاتها أشعر باننا بهذا الاتحاد الفنى المسى خطأً تجديداً خاسرون ومن سوء الحظ أن يُستعان على هذه الضلالة بذوى الأصوات الرخيصة المحبوبة من الجمهور من مغنين

ومغنيات فان جمال أصواتهم يستهوى الأفتدة ويطرب السامع فلا يفتن الناس إلى الاتحاد الموسيقى والخروج عل أصول غنائنا الذى هو من مميزاتنا
 أترى من الضروري أن اذكر حكاية الغراب الذى أراد ان يقلد مشى الحجل أو يكفى ما تقدم
 فعسى هذا الاحتفال بأحياء ذكرى أشهر مغنى مصر فى عصر نهضتنا الحديثة أن ينبه المشتغلين
 بالموسيقى الشرقية والغناء العربى إلى ما نحن مستهدفون له من فعل هذه العاصفة التى أخذت تهب
 علينا والتى يخشى من أن تكتسح ما بقى لنا من هذا الفن البديع فنبتذ الحرير الطبيعى مأخوذ من
 بيها الحرير الصناعي وهو دون ذاك
 والله يهدينا جميعاً إلى أقوم السبل وأصلح الطرق ويتولى ارشادنا وجزاء العاملين الحريصين
 على ارث الشرق والشرقيين

الموسيقى العربية وعبد الحمولى

لشاعر الأفطار العربية الأستاذ خليل مطران

(١)

مات عبده فمات فن وزال آخر شعاع من عصر توارت شمسه فى ظلمة الأبد فقد كان اسماعيل
 شمساً فى سماء مصر . وكان كل ذى شأن من معاصريه ككوكب يستمد منه نوره . فلما أفلت لحقت
 بها تلك الأنوار يتلو بعضها بعضاً إلى أن تم الزوال بوفاة صدأح تلك العظيمة السماء وغرید ذلك
 الملك العظيم
 وكثيراً ما كان عبده يبكي لحناً من ألحان ذلك العهد فيمثل له لنا من خلال مدامعه الجارية
 ونفحاته الشجية كأنه زينة منارة بألوف المصابيح حافلة بجماهير الفرحين الطروبين . وكأن مصر دار
 ذلك العرس تضحك بالأنوار لمستقبلها العابس . وكأن الامير أمير الزمان يومه وغده . وكأن الوفود
 من عرب ومن عجم أعوان دولة تشاد . وانما كانوا هدمة أمل رفيع العباد . وكان « عبده » من على
 أريكته بشير السعادة الخالدة فى ذلك الاستقلال الزائل . فاذا فرغ من إنشاد صوته ورجعنا إلى
 أنفسنا نظرننا حولنا فرأينا دولة اليوم ورجال هذا الزمن . ولم يثبت لدينا من حقيقة ذلك الحلم الرائع
 إلا ذلك المغنى المنتحب على حالٍ حالته . ونعمة زالت . ودولة دالت . ولقد كان فى مصر قبل

انقضاء هذه الأشهر الأخيرة مغنيان هما « عبده » « عثمان » فالיום نحن ولا مهني في الفرح . ولا معزى في الترح . إلا ما كان من قبيل رجع الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف

كان عبده مبتكراً يخلق اللحن خلقاً من حاضر ما يوحى به اليه فيحير به المهرة ويطرب السامعين ما يشاء التطريب بالنغمة والاعجاب بقدرة مبتدعها . وربما كسر القيد وتقض القاعدة وندع عن المؤلف فطار وحلق . وقد بكم العود ، وعي القانون ، وأنصت الناي . مطلقاً صوته يرح في سماء التطريب . فن وثبة النسر إلى انحدار السيل . إلى خطف البرق . إلى تغريد القمرى . إلى نوح الحمامة . إلى أنين الجدول . كل هذا والصوت عال منخفض . جهورى خافت . رنان مرتجف . مشبع ضئيل . والنغمات تجتمع أصولاً وتفرق فروعاً . وتنشئ وتتفرد وتتدافى وتتباعد وتتواصل وتتفاصل مفضية بعضها إلى بعض متسلسلة على مقتضى سلامة الذوق والمهارة الفنية منتهية إلى القرار



(شاعر القطرين الاستاذ خليل مطران)

وكان « عثمان » مؤلفاً بارعاً في ترتيب الألحان . بصيراً بأخذ النغمات من مواضعها وجمعها على نسق مستحب . كلفاً بصناعته جاداً في اتقانها إرادة أن يستعيز عن طلاوة الصوت بحسن الاسلوب ولطف السياق . ولهذا كان لا يغنى منفرداً . ولا يطاق صوته إلا على أجنحة الآلات . فاذا لحن أغنية وأسمعها الناس لأول مرة خرجت متقنة صحيحة الوضع رائعة للسمع . ولكن يبدو عليها أثر إعانت الفكر ويشتّم منها ريح الشمع المذاب في السهر على تخريج أجزائها . وتوجيه ضروبها . والملاءمة بين رنائها ومعانيها . على أن هذا لا ينفي أن « عثمان » كان ضريب « عبده » وأنه أثبت بنتيجة عمله أن لحسن التأليف مكاناً بجانب الابتكار وأن الاجتهاد منزلة قد تعادل منزلة الاختراع . بل أن المجتهد قد يكون ذا فضل على المخترع بما يهيئه له من مواد الابتداع . ومن الحق أن يقال أن « عثمان » كان في أخريات هذه السنين واضع معظم الألحان فيأخذها « عبده » عنه ويكسوها من الحلل والحلى ما تشاء بديهته الخاصة به فيناهي سوقه حسان إذا هي ملكات بتيجان . وبيناهي أشخاص ترمقيا عيون المعجبين ، إذا هي أرواح تنسمها قلوب المحبين

وعلى هذا كان « عثمان » يجدد للناس روح « عبده » و « عبده » يسمع الناس علم عثمان
فهما العاملان المتكاملان أحدهما بالآخر على ما بينهما من تحاسد وتباغض وتباعد
هذه صفة « عبده » مغنياً وتلك منزلته التي لم يدانه فيها من أرباب فن الموسيقى إلا « عثمان »
أما أخلاقه فكانت أخلاق كرام الناس وبها شرف قدر مهنته التي كانت إلى عهده تعد من
المهن الوضيعة . فقد كان أنيس المحضر . كارهاً للغيبة راغباً في مجالس الظرفاء المتأدبين ، محدثاً
ذكياً لا تفوته شاردة ولا واردة من طرف الكلام جواداً جود الامراء متلطفاً وديعاً كأنه أبدأ في
حضرتهم وفيأ لأصدقائه لا يرضن عليهم بما فيه نفع لهم ورضى . مجاملاً لذويهم فيه محسناً اليهم
لا يفيض منهم إلا من ركب الدنيا وأخل بما يسميه شرف الحرفة
ولو كتب الله له فسحة في الأجل لعاش عيشة مقيدة بنظام . ولكنه كان مطلق هوى النفس
كما هو شأن النوايغ ولا شك في أن نعم الله الكثيرة قد حسبت عليه رحمه الله رحمة واسعة

(٢)

أما وقد أشرنا بما يقتضيه المقام من الإيجاز الى منزلتي « عبده » و « عثمان » فيجمل بنا تعميماً
لغائدة هذا المقال أن نتكلم على فن الغناء العربي كما هو الآن ونبحث فيما إذا كان ينبغي أن يبقى
كما استخلفنا عليه هذان الفقيدان أو أن يعدل ويكيف بحيث يصبح أتم تأثيراً في النفوس وأصلح
لأن يشربها ما هي في حاجة اليه من الحلال الشريفة والفضائل
فالموسيقى فيما اشتهر من تعريفها إنما هي تأليف أصوات تحدث طرباً في قلوب السامعين .
والطرب قد يكون سروراً وقد يكون شجواً ، ومعناه في الحقيقة الانفعال الذي تولده الأنغام في
النفس أياً كان .

ومن أوصاف الموسيقى أنها في بناء الأصوات كفن المارة في تشييد الابنية وتأليف أجزائها
والمناسبة بين رسومها وتقوشها وتقاطعها وتحلياتها يسميه الافرنج بموسيقى البناء على أن أساسها تناسب
كما هو أساس كل فن فليس وهذا التناسب في الموسيقى يعرف اصطلاحاً بالايقاع ، والايقاع قديم
قدم الموسيقى غير أن المغنين من العرب حصروه في نعمة نعمة بما يغنون . فكان في حقيقة مفضياً
الى الملل بخلاف الافرنج فانهم استخدموه وسيلة للتنقل من نعمة الى نعمة ولاعطاء كل نعمة جميع
الزوات التي يتم بها طربها الناجم عنها بذاتها أو باجتماعها مع سائر الانغام التي يتألف منها الصوت
ولا غرو أن يكون مغنوننا على مثل هذا الجهل الذي أبقي الموسيقى العربية على حالها الفطرية

فان شعراءنا - إلا بعضهم - وكتابتنا - عدا القليل منهم - لا يزالون الى الآن أرقاء الجناس ، وعيد مراعاة النظير ، وخدمة السجع ، وذباحي المعاني الجلييلة ، وناسخي الحقائق ، وماسخي الصور الجلييلة في الطبيعة ، وجاحدي وجدانات النفس وانفعالات الحس ليقندوا بأمة هم تركوا عاداتها وأخلاقها ، وهجروا خيامها وصحاريها وأنكروا ملبسها ومأكلا ومشربها ، ولم يحتفظوا بشيء من خلالها ومزايها . ولم يستبقوا منها إلا النسبة اليها . فلا هم يحسنون تقليد أدبائها ولا هم ينتزعون من لغتها لهم لغة خاصة فصيحة ذات أساليب ومصطلحات وألفاظ تمكنهم من التعبير عما يخالج ضمائرهم ويخامر نفوسهم بما ينطبق على الواقع ويكون صدقاً حقيقياً لما يشعرون به

كتب إعرابي في صدر منظومة له « قفا نبك » فلم يستهل واحد منهم منظومة بعد ذلك إلا وهو واقف بالث . ونظم آخر أحياناً كثيرة بروي واحد سميت قصيدة قنبر في ذلك في كل ناطق بالضاد من صحراء الجاهلية الأولى العريقة في الهمجية الى ساحة المعرض العام بباريس في أجمع زمان لأسباب الحضارة وكل كتب القصيدة على ذلك النمط . وذكر أحد ظرفائهم ان الأرجوزة حمار الشعر فلم يروا عقب ذلك أرجوزة إلا ولها أربع قوائم تشي عليها . وهكذا هم يتقيدون بسلاسل التقليد . وكتاب اللغة الأجنبية يذهبون كل مذهب في اختراع التراكيب وابتداع الأساليب التي يظهر معها كل خفي ويتجسم كل روحاني ، وتمثل كل صورة ، ويصور كل شعور ، فهم أبناء عصرهم ونحن أبناء العصور الحالية . وهم يحيون بما ينظرونه ويحسونه . ونحن نحيا بما ننقله حتى في التصور والحس ومعلوم أن الموسيقى شقيقة للأدب مطبوعة على غرارها فكيف كان الأدب تكون الموسيقى . وهي الآن منحلة في الشرق لأنه منحل وانحطاطهما على قدر . فكلاهما يجب تنقيده وتنقيحه وإخراجه الى ما تقتضي به الحاجة الماسة . وإلا فأني مصلح للامة يكون أقوى في البيان ؟ وأي بيان يكون أشد وقماً في النفس من الذي توصله اليها النعمة وتمزجه بها مزجاً ؟

على أن الإصلاح الذي نبتغيه ميسور إذ يكفينا أن نبدأ بتطبيق الموسيقى العربية على الموسيقى التركية تطبيقاً تدريجياً الى أن يألفها الذوق ، وتوضع لها قواعد ، وترسم علامات ، ويفنى الدور الواحد بنعمة واحدة وألفاظ واحدة في المنتديات وفي البيوت وفي الأسواق . فاذا وصلنا الى هذه الدرجة انسقنا بحكم السير الطبيعي الى ما هو أعلى فاعلى . وهكذا فعل الأتراك . اذ أخذوا عن الأروام الذين غناؤهم أقرب الى الغناء الشرقي . فأصبحوا الآن ينشدون في ملاعبهم أجل الروايات الموسيقية الاجنبية بألفاظ تركية ، وقد لا يمضي زمن حتى ينشئ بعضهم رواية موسيقية متقنة فيبلغون بها الغاية

وكان المرحوم « عبده » قد شرع فى نقل شيء عن الموسيقى التركية . ومنها أخذ الآهات الطويلة التى يصاعده فيها جمهور المغنين وهى أحسن ما فى غنائنا الآن . غير أنه لم يتسن له معين على إحداث الرموز التى هى أساس علم الموسيقى والتى بنفیرها لا تكون الأنغام الا فوضى . وأذكر انى شكوت اليه يوماً هذا القصور وقلت له . ان الرموز الموسيقية موضوعة منذ نيف وخمسة آلاف سنة . وأنها أول ما رسمت فى الهند وفى الصين . فمن الخجل أن تكون مصر سيدة الموسيقى فى الشرق الآن ولا يستطيع إثبات لحن من ألحانها على صحيفة يعلم منها اخواننا القاصون أو أبناءنا الآتون أى فن كان فنا فى التلحين وما كان « عبده » وكيف كان أسلوبه ؟ وهل كان جديراً بالمحل الذى أحل فيه من إكرام الناس ؟ فأجابني : انه كان يود ذلك وأنه سعى ما سعى للوصول اليه فلم يفرز بظائل ، وانه لم يجد واحداً فى القطر يستطيع أن يعرفه معنى لحن من الألحان الأجنبية تركية كانت أو غير تركية . وان كل ما حصله من معنى الاتراك وأدخله فى المعنى العربى كان سماعياً اجتهادياً رائده فيه موافقة الذوق المألوف ، ومراعاة الاصلاح المعروف

لا جرم أن عملاً كهذا ليس مما يقوم به فرد اوعى صدره ما أوعى من المعارف الموسيقية المختلفة . وبلغت ثروته ما بلغت من السعة . وانما هو عمل شركة أو جمعية تستقدم أساتذة من الاستانة لتخريج جمهور من ذوي الفطرة الموسيقية والأصوات الحسنة على مبادئ هذا الفن . وتعليمهم حقيقة مقصده وشرف غرضه ، وتدريبهم على التأليف فيه كل بما يوحى اليه علمه وعقله وترشده اليه ملكته كما يفعل ذلك الذين يدرّبون على الانشاء ، وتنتج مثل هذا التدريس أبين من أن اطلل الكلام عليها فحسي الاشارة

أما إذا بقيت الموسيقى على ما هي عليه الآن فانها بلا ريب تلذنا ولكنها تمثلنا أبداً باخلاق الرعاة الفوضى وان كنا فى أزياء المذنبين الحضريين لأن هذه الأصوات الأنفية ، وهذه الأتات المرصية ، وهذه النفثات الصدرية لا تصدر عن بأس وحزم ولا تدل على شرف وعلم

(٣)

بقى أن نصف كيف ينبغي أن تكون الموسيقى العربية ليحسب تصورها الذين يروهم من الموسيقى الإفريقية ذوي الطيل وقمعة النحاس وطبقة المثلاث الحديدية ، وخوار المازف المعدنية ، إلى ما يماثل ذلك مما يختلط على ذهن جاهله ويسوء وقعه فى نفسه لعدم إدراكه معناه . وانما الموسيقى

في إصلاح الغريين فن كالكتابة أو الرسم سوى أنها تمثل لنا بالصوت ما يمثله لنا الانشاء بالألفاظ التي تستثير في مخيلتنا تصور مقصوداتها وما يمثله الرسم بالصور التي تنطبق على مرئياتنا

وبدهي أن كلاً من هذه الفنون لا يرينا مما يمثله إلا جانباً ويدع لنا الجانب الآخر نتمه بما تخيله أو نعلمه أو نشعر به ؛ فالكاتب إذا حدث عن عاصفة مثلاً وصف لنا شمساً حمرة كالجرة في كبد السماء يحيط بها قاتم يقتالها إلى أن تنطفئ فيشمل الظلام ويكون مهيباً . ونشر سحاب سوداء كثيفة ترسل في الجور عوداً مليئة الدوى ثم صادعة ، وبروقاً ملطفة اللعان ثم ساطعة ، وأطلق ريحاً هجوميّاً عاصفة تمر على البلد الموصوف قهدهم واهية مبانيه وتذري رماده وتجتث أشجاره العالية وتصفع وجوه زجاجه بالبرد وتجري بطرقه سيولاً فإذا أبلغ السهول انتهاء وصف لنا في خلال هذه الروائع كلها طفلاً يتيماً هائماً على وجهه وقد لجأت الناس إلى مساكنها جزعاً ، وقد اطمانت الأطفال بين أيدي آبائهم وأمهاتهم في مآمنها وإنما يقف ذلك الطفل الصغير في ذلك الموقف الرهيب ليحرك في قلبنا وتر حنان ورفق خلال خفقان الملح وثورة الدهشة فمن قرأ هذا الوصف رأى تكلمح الشمس وافولها وانتشار السحاب السوداء ولمع الويض المتالي وتقلع الأشجار . وقوض الجدران على التوالي . وسمع زئير الرعد القاصف وهدير السيل الجارف . وركض الزمهرير العاصف وركوع البناء الواقف . ورأى في أثناء هذا الحادث الجلل دهشة ذلك اليتيم الخائف وسمع خفقان قلبه الصغير الواجب كأن ما قيل حاضر بين يديه وكأنه منه على كسب ينظره بعينه ويسمعه بأذنيه مع أنه في الحقيقة لم ير ولم يسمع من ذلك شيئاً . فالكاتب رمز له بما ينبئ عنه هذه التصورات الشتى ويجمعها على الشكل الذي أحبه قلم له ما أراد على قدر مهارته

وللألفاظ في بلاغ قصده رنة لا تنكر . وللتراكيب امتزاج بالنفس لا يحدد . ولا صوات الحروف لعب بالدماغ والقلب لا ريب فيه . ولكن كل هذا ليس إلا من التيمات . فإذا قدرنا بعد هذا أن رساماً تولى تصوير هذا المشهد فغاية ما يستطيعه تمثيل قدّة كاهلال من الشمس الحمراء في جهة الأفق . وتكديس طبقات من الغيوم القائمة في صدر السماء . وتحدير سموط كنسج المنوال من المطر الغزير . واقامة أمواج من الزبد في الطرق السائلة بالوحد والماء تلاطم من الحجارة أشباه انياب المعجوز الفلجاء ، وامالة حائط وصرع شجرة وتقصف أخرى ، وتكسر زجاج ، ووقفة طفل بالي الأظفار في موقف الحيرة والجزع بعينين نجلاوين وقد سالت منها دمعان . ولكن الرسام يرتب هذه الأجزاء ويحكم وضع كل معنى مقصود في اللون الذي يلونه حتى انك لتسمع الرعد وأنت تنظر

البرق وتحس الدمار وأنت ترى آثاره وتحس خفقان قلب الطفل وأنت ترى الانفعال البادي على وجهه والدمعتين المنسللتين من مقلتيه

وصفوة القول أن الكتابة فن منه للتصور والحس رمزاً . وأن الرسم فن منه لها نظراً . فكان والحالة هذه لا بد من فن متم لهذين الفنانين لينبه التصور والحس سمعاً . وهذا ما بنيت عليه الموسيقى منذ بضع مئات من السنين في أوروبا على اعتبار أنها فن نفيس مثلها قابل لتأدية المعاني التي يؤديها . وقد وصلت الآن في تلك البلاد إلى هذه الغاية . وأصبحت عاملاً من أكبر عوامل تقدمها العجيب فلنصف الآن كيف تخيل تمثيل الموسيقى للمشهد الذي ذكرناه آنفاً وإن لم نكن ممن لهم رأي في هذا الفن هنا أسأل الصديق الذي يقرأ هذه السطور أن يتخيل أنه أجاب دعوتي وصحبي . إلى دار غناء لأريه بسمع أذنيه ما نظره في الرسم بعينه . فنحن الآن إذن جالسان في تلك الدار على كرسيين متجاورين . وهذه أمامنا مجالس الضاربين والمعازين

أنظر أيها الصديق أن عدد هؤلاء نحو المئة أمام كل منهم دفتريه رموز الأصوات التي ينبغي أن يحدثها في الأوقات المعينة له . وهذا كل ما عليه . وعلى الاستاذ الذي فوق المنصة أن يتنبه لعامة الترتيب ويمنع الشذوذ . اجمع حواسك الآن واضع بكليتك فقد أشار الاستاذ بأن يبدأوا

ما ذا تمثل لك هذه السحابة من النغمات التي تخرج من الاوتار مضطربة سريعة مبتدئة من القرار ؟ أليس هذا أول تهدي الرياح المنذرة بالهجوم ؟ أو ليس فيها ما يشعر ببرد الزمير ؟ أسمع كيف تترق صاعدة متدافقة كأنها علت فوق الأرض ذاهبة في الجوكلا جازت شوطاً زادت قوة واتساعاً إلى أن تتخيلها بلغت السحاب ؟ هذا تنبيه يسمو بالفكر على مثل البساط الروحاني ليوصله إلى الأفق الأعلى ويشهده حادثاً جليلاً فقد دنت القيوم من الشمس فاعرة فاهها . وانضمت أصوات المعازف النحاسية إلى نغمات الأوتار وعلت الصيحة إلى منهاها . حتى اذا غال السحاب الضاري جانباً من الشمس وأدماها بأنيابه صكت الصنوج هذه الصكة الفجائية المنكرة التي ختمت بها حكاية الحال . فكان الشمس قد انشقت كالنقطة المحمية من النحاس الرنان . وكأنها انشطرت شطرين وتوارت بالحجاب . وبعد هذا تأمل كيف تراجعت أصوات تلك الصيحة هابطة تدريجاً إلى أن اقتطع خوار المعازف ، واستقلت رنات الاوتار تنحدر كرش المطر في أول انهماره

إلى هذا المقام انتهت الانذارات

أنظر كيف أخذ جمهور النغمات يخرج من عامة الآلات متوجاً متوجاً ثقيلاً كأول تحرك البحر

ليهيج . أسمع انسكاب الوبل الشديد وتدفق الميازيب وعصفات الريح الطويلة التى تبدأ مثل ارنان النادة وتنتهى مثل غغمة الأسد الجائع الذى جلس يأكل فريسته ؟ أسمع قرع الحجارة تحت السيول ؟ أسمع تقصف الأشجار المتكسرة ؟ أسمع وقوع الصخور وتهدم الجدران يشمل كل ذلك دوى الرعد الذى يحدثه الطبل وفرعة الصدى إلى عدة رعود صغيرة متتالية يحدثها الطيلان الصغيران تحت النقر السريع المتتابع . أليس لكل صوت من أصوات هذه العاصفة ما يحاكيه إما فى آلة أو فى جمع صوتي آتين على ترتيب معلوم ؟ ألم ترتسم البرق خلال غضب الرعد ورسم الشجرة الواقعة خلال تقصفها وهي تتكسر على متانة بها ؟ أو لم تر نواصي السيول واعرافها البيضاء خلال وكفها وتهورها وصعودها وتحذرها . هذا منتهى ما يكون هول العاصفة

اسمع الآن كيف أخذت هذه العناصر الجمّة تتناوب مراوحتاً بين بعضها والبعض . السرفى ذلك من جهة أن يستبقى فى النفوس شعور باستمرار العاصفة وقد تراخت قليلاً بعد الشدة كما هو شأن العواصف ومن جهة أخرى التمهيد لاسماع الناس أنه ذلك الينم فى حيرته وخوفه . هذه أنه الينم تنطلق من أوتار ذلك العود الضخم القائم كالأمير بين الآلات كأنه سرير داود بين أسرة الملوك فى زمانه . أنشعربا فيها من لذة وحنان ؟ ألت مدركاً من نفسك أنها زفير طفل حزين ؟ أما فى هذه الآونة عثرات أشبه بعثرات قدم الطفل المتحير فى خفتها وعدم انتظامها ؟ ولكن هنا انقطعت النغمة اللطيفة وعاد الأنداز بالهول . سيستأنف جميع ما سمعته من الصيحات والجلبة غير أنه ملطف كأنه مسموع عن بعد ومن وراء حجاب كئيف . ولم هذا ؟ لأن ما يستأنف ليس أصوات العاصفة بالذات بل صداها فى دماغ ذلك الينم المروع الضعيف

هذا بيان واحد من الف من الأمور التى تصلح لها الموسيقى ويكون موقعها من النفوس بها كموقعها من النفوس بالرسم والكتابة . ومن المعاني ما يكون تأثيره بالموسيقى أشد وأمتن ، على أن لكل من هذه الفنون مزيته التى لا تتجحد فى تنشيط العزم وإزالة الملل . فان المرء يسمعه وبصره لا بأحدها

فالى هذه الغاية الشريفة من إصلاح فن الموسيقى ينبغي أن تتجه الرغائب العامة فى مصر فان « عبده » كان خير مغنٍ لزمانه وعهده عهد صباة ورخاء . أما نحن فان أردنا النهضة من الحطة التى نحن فيها فينبغى لنا مغنٍ ينهض عزائنا الحائرة ويرفع أبصارنا إلى السماء

عبدة الحمولى وفنه

لحضره العلامة المفضل صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

000

رغب إلى الفاضل الأديب قسطندى افندى رزق أن اكتب له كلمة في حياة عبده الحمولى وفنه . وجه إليّ هذه الرغبة في رسالة يقول فيها « انه وفقى إلى تصنيف كتاب في الموسيقى الشرقية والغناء العربى وحياة عبده الحمولى ، وفى الكتاب بحوث وآراء لفحول الموسيقين وفطاحل الشعراء والأدباء ومعارضات فى التجديد والتطور الذين أوشكا أن يجهزا على الرمح الباقي من الموسيقى الشرقية وما لها من سحر وتأثير فى النفوس

ويتلطف قسطندى افندى رزق فيقول « ولما كنتم معاصرين لغريد الشرق الذى لا تفتح العين على مثله ولا تضنون أبداً فى ضم يدكم الى يدي الضعيفة لتشاطروني الأجر عند الله وحسن الاحدوثة لدى الناس لقيامى بالواجب نحو الأفاضل الراحلين المصريين الذين أخذت على عاتقي القيام بتخليد ذكراهم ...

... أرجوكم أن تحضروا لي كلمة عن الفقيده ، وعما إذا كنتم من أنصار موسيقاه العربية الساحرة لأدرجها ضمن كتابي »

وكان المقول أن ألتبس سبيلاً للخلاص من مزاحمة فحول الموسيقين وفطاحل الأدباء والشعراء ولي العذر بأنني لست موسيقياً ولم أسمع عبده الحمولى مغنياً قط إلا ما حفظه الحاكي من بعض أدواره الشجية . لكن قسطندى افندى زارني ليبين لي رغبته شفاهاً فلقيت منه رجلاً مخلصاً للموسيقى العربية مخلصاً فى حب عبده الحمولى أمام الموسيقى العربية فى القرن التاسع عشر مخلصاً فى معارضة كل تجديد يذهب بسحر الموسيقى الشرقية ويطل مميزاتا

وما يكون لي أن ألقى هذا الاخلاص كله بغير التلبية والتشجيع فى زمن قلما تجد فيه عاملاً مخلصاً واني وان كنت غير موسيقي فاني أحب الموسيقى بفطرتي حباً جماً ، وقد حاولت فى عهد الشباب مرة أن أتعلم بعض الموسيقى فلم يسعدني الفراغ بل لم يسعدني فراغ للاكثار من سماع الموسيقى

لكنني ظلت دائماً محباً لهذا الفن الجليل ، بل ظلت متبعباً ما يمر به من أطوار التجديد في بلادنا . وأحب أنواع الموسيقى إليّ أبسطها وأسرعها تأثيراً في العواطف وعندى ان الموسيقى متعة للنفس وراحة للخاطر المكدود فاذا تعمقت ألحانها وأصبح تأليفها عويصاً يحتاج في إدراك مراميها الى كد الذهن وفرط التأمل فقد خرجت الموسيقى عن حدودها واتجهت الى غير وجهتها

ليس أفضل الموسيقى عندى ما انطبق على قواعد الفن فلم يدركه شذوذ ولم يخالف قانوناً من قوانين الصناعة لأننى لا أعرف هذه القوانين ولا أستطيع أن أميز الألحان التي تراعيها من الألحان التي تجاوزها ولكننى أحس لبعض الأنغام بطرب لا أحس به لساثرها وأذكر أننى سمعت بعض المغنين المصريين في بداية عهدهم يوم كان الفن لم يقدم تقييداً ولم يحطهم بالسلاسل من قواعد والأغلال ، فكنت يومئذ معجباً بهم كل الإعجاب وكان أشد إعجابي بهم حين ثور عاطفة من عواطفهم عند الانشاد قاسمو بألحانهم وأنغامهم صُعداً الى ما وراء القواعد الفنية . ولما سمعت هؤلاء المغنين بعد ان حذقوا الفن وأتقنوا أصوله وأصبحوا لا يسرون في أغانيهم الا على صراط ممدود ، أصبحت آسف على تلك الوثبات التي كانت تطير بهم وتطير بنا معهم الى آفاق لا تعرف الحدود

قد يكون بحكم الإلف ما يروقي من الألحان الشرقية أكثر مما يروقي من غيرها لكننى كثيراً ما يذهب بي الطرب الى غايته عند سماع قطع موسيقية أوربية ففي الموسيقى الغربية كما في الموسيقى الشرقية أنغام إنسانية من شأنها أن تهز العواطف البشرية هزاً عنيفاً أو ترد العواطف الهائجة الى هدوء مرجح . والموسيقى العبقري هو الذى يستطيع بموهبته أن يهتدى الى هذه الانغام فيؤلف منها نظماً متسقاً يحدث أثره الموسيقى البليغ في نفوس البشر جميعاً

ويخيل إليّ أن عبده الحمولى كان عبقرية من هذا الطراز فهو قد استخلص من الاغاني المصرية التي كانت معروفة لعده كل ما يصلح ان يكون لحناً موسيقياً إنسانياً وألف من ذلك على قلته أغاني تقل بعضها من أناشيد الخلود واقتبس عبده الحمولى مما وصل اليه من أغاني الاتراك ما يلائم مذهبه فجمع ألحاناً إنسانية أيضاً لم يتناولها تقليداً ولكنه نفذ الى أعماقها وصقلها بذوقه وفنه صقلاً حتى تماثلت بآتم له من الألحان المصرية وألف من هذا وذاك ترانيم بهرت ذوق الترك والعرب ولو أن عبده الحمولى عرف الموسيقى الغربية لاستخلص منها أيضاً أبعداها عن التعقيد والتكليف وأدناها أن يكون غذاء للروح الانساني وراحة ونعيم ثم لسلط عبقرية على تلك الخلاصة فلم تدع فيها شذوذاً ينبو عن ملائمة ما تم له من التأليف بين الموسيقى المصرية والموسيقى التركية ثم لآلف بعد ذلك من موسيقى

الشرق وموسيقى الغرب تلك الموسيقى الانسانية التي تهفو اليها الفطر في الناس جميعاً ولا تهتدى اليها سيلاً .

هذا النزوع الى إيجاد موسيقى انسانية تجتمع الأذواق كلها على الإعجاب بها والشعور بجمالها على أساس ما أبتت الأيام في طيات الموسيقى المصرية والذوق المصري من آثار الحضارات الماضية والمصور الخوالى هو رسالة عبده الحمولى النبيلة التي أدى بعضها وترك للأعقاب أن يتموها وكان عبده الحمولى نبيلاً في مذهبه الفني كما كان نبيلاً في أخلاقه وشماله وفي سيرته بين الناس وانك لتدرك النبل في جوهر صوته وفي كيفة أدائه واختباره للانغام وتأليفه بين الالحن . كان يتسامى بفنه عن التبذل والتكلف فلا ينحدر في غنائه الى مثل التكرس في الثبرات المائنة الذليلة « ومن أكبر الأدلة على استعداده شدة طربه من الفناء كأنه كان يغنى ليضطرب نفسه . وشغف المرء بصناعته وتلذذه بممارستها يدلان على انطباعه عليها واقتداره على اتقانها »

هذا ما يقوله جرجى زيدان في تراجم مشاهير الشرق وأين ممن يغنى ليضطرب نفسه ؟ أولئك الذين إذا تغنوا في محفل بصبست عيونهم يميناً وشمالاً وقمايلت أخادعهم صيداً ودلالاً وتصنعوا العبوس تارة ثم تصنعوا الابتسام كأنما كل جهدهم مصروف الى الهاء الناس بتقلبات سحنهم وحركات جسومهم وكأنما كل هم سامعهم أن يتلقفوا من ثغورهم بسمة طائرة أو يغنموا من عيونهم لمحّة راضية أو يروا في تزايل أعضائهم وضعاً معجباً

لم يكن كذلك عبده الحمولى الذى كان إذا شدا توجهت نفسه الى الفن وحده يريد أن تستوفى الصناعة حقها وأن تبرز الالحن مستكملة جمالها فاذا استوت له القطعة الموسيقية البارعة كان أول مدرك لسحرها وروعها وأول مستمتع بلذتها وبهجتها فليس يستجدى من الناس أعجابهم ولكنه يرى من البر بالناس أن يمتهم بهذه اللذة الفائقة وأن يشركهم في تلك السعادة العالية

عاش عبده الحمولى حياة كريمة نبيلة فلما مات مات أيضاً موتاً نبيلاً كريماً تجلى فيه نسيانه نفسه في سبيل المروءة والوفاء

ورد في تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر نقلاً عن جريدة مصباح الشرق أن عبده الحمولى أصيب في آخر عمره بذات الرئة وتراكت عليه هموم الحياة « ودخل من داء السل في الدرجة التي لا يرجى منها شفاء وأشار عليه الأطباء بسكنى الصعيد مدة الشتاء فأقام في سوهاج

شهرين ونصفا عادت له في أثنائها بعض قوته وتقوى أمله في شفائه ولم يدرك المرحوم كنه دائه إلا في اليوم الذي مات في غده . ثم عجل العودة إلى مصر ليستغل بوضع غنائه في اسطوانات الفونوغرافات طلباً للعيش ولما حضر بأشرف ذلك فعلاً ثم جاءه نبي أحد أصدقائه المخلصين بالمنيا فاعتم غمماً شديداً ولم يسمع لنصيحة أصحابه بل خالفهم لقضاء ما توجه عليه مروهته وسافر إلى تلك المدينة وأقام هناك أياماً ولما عاد عاد باشتداد المرض عليه حتى أدركته منيته »

وإذا كان ذكر الفتى عمره الثاني فإن ذكر عبده الحولى لا يزال بعد موته مثال النبيل والكرم

والذين يحيون اليوم وبعد اليوم تذاكر الحولى إنما ينشرون صفحات من آيات العبقريّة ومكارم الأخلق ليوجهوا الإصلاح الموسيقي في بلادنا وجهة صالحة ويضربوا لأهل الفن ولغير أهل الفن مثلاً في المروءة وفي عرفان المرء لكرامة نفسه وكرامة الفن الذي يمارسه وعبده الحولى نمن يصدق فيهم قول أبي العلاء :

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

كلمة الدكتور عبد الرحمن شهيندر

الزعيم العربى الكبير

لا أكاد أعرف من الموسيقى إلا أنها ضربان، ضرب يثير الطرب وضرب يدعو إلى الاشمئزاز لذلك لا أرى نظراً لمعرفتى هذه كبير فائدة من المجادلة فى شأن الموسيقى العربية أهى متقدمة أم متأخرة لأننى ما دمت أطرب منها كما يطرب غيرى من أبناء العرب الذين يسمعونها فهي موسيقى تؤدى وظيفتها ، ألم يقولوا كذلك عن اللغة العربية أنها ضعيفة لا تصلح للتعبير عن النهضة الحاضرة فكذبهم المجلات العربية والصحف العربية والكتب العربية ؟ وهل أدل على حياتها من أنها أصبحت لغة الثقافة فى هذا العالم العربى الشاسع الناهض ؟

على أننى لا أنكر أبداً أن الملحنين العرب لم يحاروا النهضة إجماعاً فى بلدان العرب فهم يحتفظون بما خلقه لهم الآباء والجدود المتأخرون من ذكريات آلام وأحزان تدل عليها تلك الأناث والآهات المتكررة وغير ذلك من الأنفاظ والألحان الحافلة بمعاني الانكسار والخضوع وزوال النشوة

وعزة النفس ، واذا جاز لمثل هذه الألحان أن تأخذ بمجامع القلوب فى عصر التشاؤم الوضع فهى تدعو الى الملل والضجر والسآمة فى عصر النهضة الطامحة .



(الزعيم السورى الدكتور عبد الرحمن شهنيدر)

والموسيقى مثل الشاعر والمصور وسائر الفنانين مدرة يعبر عما يخالج صدور الناس من هواجس وانفعالات فعليه أن يمشى العصر الذى يعيش فيه والتطور الذى يحيط بكل شيء حتى بالتخت الذى يغنى عليه . فكما أننا لم يعد يلذنا كثيراً هذا التذلل والتراخي على أقدام الأحبة وتقييل نعال الخيل التى تحملهم كذلك لا تروقنا اليوم العبرات والحسرات من غدر الزمان وقوارع الحدثان بل أننا أحوج ما نكون الى من يفتح عما فى قلوبنا من غليان ويدل على ما فى نفوسنا من تحفز ويترجم عما فى عزيمتنا من قوة . لذلك لا أخطيء أبداً إذا ما قلت أن الموسيقى التى ستنتصت له الآذان وتفتح له القلوب هو

الذى يعبر عن الانقلاب الاجتماعى السيامى الخطير فى بلادنا وعما يحدث فى قرارات نفوسنا من التبدل الكبير . وليقل المحافظون والمجددون ما شاؤا أن يقولوا فإن المهم الذى يجب أن يصرح به على رؤوس الاشهاد ومن غير محاباة هو ان هذه المواليا النمطية المملة وما تبتدىء به من النداء « يا ليل » وهذا التكرار الثقيل السقيم الذى يكرره المغنى للكلمة التى يتمسك بها وهذا التسكع والتشاؤم كله سيحول أنظار النشء الحديث عن التخت العربى ويرغبه عن سماع المغنين العرب ما لم نعتمد فى موسيقانا على تلك العناصر التى تعيد إلى القلوب ثقتها الى النفوس نشوتها وإلى العضلات قوتها ووثبتها .

وقد يكون من المستحسن أن يسمع المرء فى حفلة كاملة لحناً واحداً محزناً وقد يكون من الجائز أن يسمع لحنين اثنين ولكن أن يقضى الحفلة كلها فى نواح وبكاء ورجيع فهذا أليق بنصب المآتم

وزيارة المقابر. ويعجبني كثيراً أن يقول الأستاذ قسطندي رزق في « عبده الحمولي » أنه كان يضع نصب عينيه الفرح والابتسام فلا يفنى من الأدوار إلا ما أثار البهجة والحبور أن معاجم لغتنا اليومية قد أتمدت وتعدلت وتحولت حتى أصبحت تستوعب ألوفاً من الألفاظ الدالة على المعاني العلمية والفلسفية الحديثة وهكذا موسيقانا فأفهمنا سنتسّع وتعدل وتحول حتى تستوعب تلك المهرجانات التي تجول في أفئدتنا والثورات التي تغلي في نفوسنا والانتقالات التي تشب في مداركنا وإنا قد صممنا على الحياة فلا بد لنا من تكييف أنفسنا وأوضاعنا وعلومنا وفنوننا بحسب حاجتنا والحاجة أم الاختراع .

المؤلف - كل واحد منا يعرف من هو الدكتور شهبندر وماله من قديم سابقة في قضية استقلال سوريا والبلاد العربية وما بذل من مجهود وتحمل من مشاق واضطهاد في سبيل الوطن الذي تحفه همة إلى حماية حوزته باتحاد الوجهة واجتماع الكلمة وتعليقاً على كلمته البليغة في باب الموسيقى التي لأجلها أملاً في بحمدته الجزيل أقول أن وزارتنا الماهرة الجليلة قد غنت بيث روح الشجاعة وعزة النفس والكرامة الشخصية في النش، الحديث تمثيلاً مع النهضة القومية في هذا العصر إسوةً بالأمم المتقدمة وقررت عمل مباراة في نظم وتلحين نشيد قومي كنشيد ألمانيا مثلاً القائل « ألمانيا فوق الجميع » الفرض منه أن ينشأ المصري حراً مستقلاً ووطنياً أميناً ورجلاً صادقاً يضطلع بأعباء سمات بلاده وقد أصاب حضرة الدكتور المشار اليه كبد الحقيقة بقوله ان الموسيقى كالشاعر والمصور وسائر الفنانين مدرةٌ يعبر عن عواطف الأمة وعما تصبو اليه من رغائب وآمال ويدلنا على ما بنا من تقص وضعف عزيمية وحسبي من هذه الوجهة اني قد وجدت في أغاني غريد الشرق « عبده الحمولي » غلبة في الله والله انتصاراً للحق وارباه جماعاتٍ ووحداً ونبلاً وجذلاً وسعادة وعفة وفروسية ومروءة ووفاء فاستطاع بقلبه وصوته أن يدلنا على مناهج الشفاء من الداء ذهاباً إلى ما جاء به حديث المصطفى (صلعم) القائل « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسلطه فان لم يستطع فليقلبه » فما بال المطربين المجددين لا ينسجون على منواله ولا يستنون بسنته ؟ ان ذلك لأمر غريب فانهم لم يقتصروا على أن كسوا أغانيهم التجديدية لباساً من الهجنة لا يرجع إلى ترتيب ولا يجرى على شيء من التناسب الذي هو قاعدة الجمال بل بثوا في النش، روح الذل والانكسار والكآبة كأنهم سيكون بكاء الخنساء على صخر متصدعين الحب وهم مذاعون يأخذون صديقهم أخذاً عنيفاً حتى ماتت في النش، ملكة البحث والنظر وكادوا يتفادون من كل ما فيه بأس وعزّة

فليتأ المصرى حرّاً يرضع البأس وقت رضع الحليب ويسمع نشيداً قومياً فيشرب حب وطنه ويحمي حوزته لأن الطفل أبو الانسان وهو سيد المخلوقات « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

لمحة عامة فى الموسيقى

بقلم نبافة الطرانة كبير لى رزق

لما كان مؤتمر الموسيقى على أهبة الانعقاد بمصر بإعاز من حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول المعظم حامى العلوم والفنون الجميلة وعناية الحكومة المصرية النشيطة رأيت أن ألقى دلوي فى الدلاء لمزاوتى الأنعام الكنسية واطلاعى على أنواع الانعام الشرقية العربية المدنية لعل أؤدى بعض الفائدة لهذا الفن الجميل فيما يدور بحث المؤتمر عليه فأقول :

اختلفت الأقوال فى أصل الموسيقى ومبادئها عند الأمم وأنا لا أجزم بأصح الأقوال لغموض الأمر . واختلفوا فى تجديدها ، فقال بعضهم انها كل حركة أو اهتزازات فى الطبيعة كحركة الأشجار والنبات وما أشبه ، وقال البعض الاخر انها من الأصوات الطبيعية الانسانية الى غير ذلك من الأقوال . وقد قال ذلك غير واحد من علماء الموسيقى « ان تحديد الموسيقى الصحيح هو فن التأثير فى النفس ويتم ذلك كله بتأليف أصوات تلذنا فتثير فىنا هذه العواطف المختلفة من أول وهلة فيصل تأثير الموسيقى إلى النفس مباشرة فيجب والحالة هذه أن تسمى الموسيقى لغة النفس

والذى ينظم نعمة موسيقية فالما ينظمها على مثال ما يشعر به فى نفسه من العواطف ففن الموسيقى يفترق جوهرياً عن سائر الفنون كالتصوير مثلاً فإنه خاضع للإصلاح مراراً تحت نظر الرسام وليست الموسيقى كذلك فى إنشاء التأثير مع حضورها للمؤلف فى إصلاح بعض التراكيب الصوتية إذا كان مخالفاً لمبادئ الفن ، أما الشعر فهو أقرب ما يكون الى الموسيقى لصدوره عن النفس ولكنه يفارقها بكونه خاضعاً لروية العقل ، ولإصلاح لغوى منطبق على وزن خاص

أما تاريخ الموسيقى فغير محدود بمصر من العصور بل هو تاريخ الانسانية نفسها وكانت الشعوب القديمة تقدرها حق قدرها فالهنود نسبوها لإلههم برهم والمصريون لا وزير يسر مخترع المعرفة وهرمس موجد العود . وكان اليونانيون يلقنونها لأولادهم فى المدارس وخارجها ويمنعونها عن العبيد

وأن الحيوانات الضارية نفسها كانت تستأنس بها . وقد عُدَّ قدماء اليونانيين أول موسيقيي العالم وأحصى كبار الموسيقيين عندهم بين أمتهم وامتزج فن الموسيقى بفن النظم في بلاد اليونان فاعتبروا هوميروس شاعراً وموسيقياً وكان يغنى منظوماته أمام الأبواب . ومن لفظة موسا اليونانية وهي إلهة الشعر اشتقت الموسيقى .

وكان عند العبرانيين أثر كبير لهذا الفن يتأكد من تصفح التاريخ المقدس وقس سائر الشعوب على ما ذكرناه . وأن ما أوردناه هو توطئة للكلام على الموسيقى العربية التي نرعى إلى الكلام عنها اشتراكاً في أغراض المؤتمر الذي سيعقد في القاهرة بشأنها .

تقول أن العرب لم يكونوا أقل ميلاً إلى الموسيقى من غيرهم من الأمم وكانوا يتغنون بأشعارهم لمقاصد جمّة أخصها إثارة الحماسة في المتحاربين . ولما اختلطوا بالأمم الأخرى بعد الإسلام وتأسست دولهم اقتبس الحلفاء من رعاياهم الجدد



(نيافة المطران كيرلس رزق)

فمنزل ما عندهم من الأنعام الموسيقية فاختلط بالأنعام العربية الأصلية فتناقت بعد التنظيم سائر أنواع في عند بقية الشعوب وزادت شهرتها وتأثيرها في عيد العباسيين ولا سيما عهد هرون الرشيد .

وكانت أكثر القصائد تُنشد . وكان عند العرب والفرس حتى اليوم سبع أنغام أصلية وضعوها على أسماء السيارات وهي الرست والدوكا والسيكا والشركا والنوى والحسيني والعجم ويضاف إليها الحجاز ومن هذه الأنغام اشتقت عدة فروع تقارب التسعين ولها ديوان (سلم) يتألف من جملة مقامات وإذا قابلنا الموسيقى العربية بالافرنجية من حيث الشعور باللذة والتأثير في المجموع العصبي وجدنا العربية أشد تأثيراً ولذة . ولتأمل أن يقول ولماذا لا يتذوق الافرنج الموسيقى العربية فالجواب على ذلك هو : أولاً لأن ليس في موسيقاهم ما في الموسيقى العربية من التقاسيم الدقيقة للمقام ولم يتعودوها . وثانياً وإن لكل أمة عادات وأمزجة وأميالا تختلف عن الأخرى ولكن متى الفت سماع الموسيقى عند أمة أخرى تكرر ما ينتهي بها الحال إلى أن تجدها لذينة . ومما يثبت هذه النظرية هو أن الحكومة الفرنسية أرسلت بعثة موسيقية في أواسط القرن الماضي إلى الشرق للدرس فمرت في أثينا ومصر وبعد المراقبة وصلت إلى النتيجة التي ذكرناها وقد لبث أعضاؤها أكثر من شهرين في مصر سمعوا في أثيناها الموسيقى والمغنين غير مرة وأخيراً صاروا يلتذون بالموسيقى العربية وفضلوها على موسيقاهم بعد ما كانوا يتأففون في بدء الأمر من سماعها فضلاً عن أن الأوتار العربية أكثر حساسية من أوتارهم المعدنية . ولا بد للوصول إلى ذلك من مراعاة عدة أمور أخصها اتفاق أصول النغم عند الغناء أو الترتيل ومراعاة الضرب الخفيف والثقيل وتطبيق المعنى على النغمة وحسن النطق اللفظي وتكليف النغمات لثلاثا تمل السامع إذا بقيت على وتيرة واحدة بشرط الانتقال بمهارة من نغمة إلى أخرى والعودة إلى النغم الأساسي من دون أن يشعر السامع بمفاجأة . على أنه لا ينبغي أن يُستنتج مما تقدم أن الموسيقى العربية بلغت حد الكمال أو أنها تفضل الموسيقى الأوربية في كل شيء فلا بد من ذكر الفوارق بينهما من هذا القبيل والنواقص الواجب تلافيها بمناسبة انعقاد المؤتمر :

أولاً - أن الموسيقى العربية بمجالاتها الراهنة لم ترتق إسوةً بسائر الفنون فإن تحسينها ضئيل من قرن مضى حتى الآن . والرقى واجب لكل شيء ، مسيرةً للحركة العامة بخلاف الموسيقى الافرنجية الدائبة على التحسن .

ثانياً - أنها محرومة الهرمونية أو المساوقة وهو جزء مهم في الفن بخلاف الافرنجية البالغة فيها حد الإعجاز ولا شك في أن الهرمونية أقدر من السنفونية أو اتفاق الأصوات على إثارة عواطف الحماسة والأقدام ونحوها

ثالثاً - ينقص الموسيقى العربية علامات للديوان ترتبط بها بحيث يستطيع أي موسيقي عند النظر إليها التغني بها أو ضربها على الآلة من دون أن يسمعها من غيره ويسهل على الطالب تناول الفن واكتساب جزء من وقته الضائع الآن سدى ويحفظ للمبرزين في الفن منظوماتهم الفنية بعد الوفاة . فليبتدع الموسيقيون الشرقيون العلامات الموسيقية كما ابتدعها موسيقيو الغرب واليونان الشرقيون رابعاً - وإذا اخترعوا تلك العلامات واستفادوا من ميزان الموسيقى الافرنجية الراقية أموراً جديدة فليحتفظوا بالفارق بينهما لكي لا يختلط النغم بين عربي وافرنجي والا خسرت الموسيقى العربية استقلالها النوعي وميزتها وابتلعها الاوربية

خامساً - ان القطع التي نظمها فنياً أصحاب الكفاة آت الموسيقى للانشاد والغناء يجب أن تسمو بلفظها ومعانيها الأنيقة لتستطيع العذراء أن تشدها في خدرها وأن يتناول النظم شتى الموضوعات الدينية والأدبية والحماسية والوطنية والاخلاقية وما أشبه ذلك ، فان ما تعاب به موسيقانا اليوم هو اقتصارها على الغزل واستعمال الألفاظ والمعاني المبذلة في عموم الأغاني فلا تساعد والحالة هذه على رقي الأخلاق والتربية الاجتماعية ولا سيما على إسماعها للفتيات .

هذا ما توخيت نشره بالاجاز في هذه المعجالة عن الموسيقى عموماً والموسيقى العربية خصوصاً غير متعرض للبحث عن آلامها المشهورة . ويحسن بنا قبل الختام أن نستنتج من بحثنا هذا النتائج التالية :

أولاً - ان الموسيقى مصدرها النفس البشرية .

ثانياً - ان تاريخها من هذه الوجية هو تاريخ البشرية نفسها

ثالثاً - إنها على وحدة مصدرها متباينة عند كل الشعوب تبعاً لاختلاف الميول والأذواق واللغات

رابعاً - ان اليونان اشهر الأقدمين الذين اشتغلوا فيها

خامساً - بلغت الموسيقى الحديثة عند الاوربيين طوراً فائقاً ولا سيما في الآلات

سادساً - بطلان الزعم بعدم حسن الموسيقى العربية ولنتها بل ثبوت مزاياها العجيبة في دقة الشعور وقوة التأثير في من يألها ولو كان غريباً عنها .

هذا ولا أعرض للموسيقى الكنسية الشرقية ، ولا سيما اليونانية منها المستعملة في طقس كنيستنا لخروجها أيضاً عن أبحاث المؤتمر أساسياً . واني أدعو بنجاح المؤتمر لتزداد مصر رقياً في عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملكها المعظم ذي الأيادي البيضاء على كل المشروعات التي تمت في عهد ملكه السعيد حفظه الله ذخرًا للبلاد والعباد والسلام .

فذلكة عن الغناء العربي

الأستاذ محمود فؤاد الجبالي

السكرتير بمجلس النواب سابقاً

صديق قسطندي افندي رزق

أتذكر في ليلة السمر الحلو التي دعوتني إليها في منبرك اننا رجعنا بالحديث الشهي الى ذكريات الماضي الجميل ، وأخذنا ننشر من الثناء حالاً على بعض رجال الغناء العربي الذين أضافوا الى شهرتهم في الفن . شهرة تستحق الحمد في المروءة ، والكرم ، ومؤساة الفقير بالبدل والعطاء عند ما يعوزه النصير وكان من أوائلهم ، بل كان جماع الفضائل .



ومصدر المحامد المرحوم عبده الحمولى ذلك الرجل الذى نهضت بذكره ، والاشادة بحاسنه ، وبذلت جيداً وما لاءن طواعية لاهياء مآثره بعد أن كاد الزمن يعفى على آثاره خصوصاً فى هذا العصر الذى انبرت فيه طائفة من المولعين بما يسمونه التجديد فى الغناء فيعمدون الى مزج الغناء الشرقى بالغناء الغربى ثم يخرجون للناس نغمات لا تمت الى الشرق بصلة ، ولا الى الغرب بنسب . وبذلك أضاعوا المقامات التى تعب السلف فى تركيزها ، وأتبعوا طرقاً فيها الكثير من العثرات . أتذكر ذلك يا صديق ؟ ثم تذكر انك تمنيت لو أن أحد رجال الفقه الاسلامى ممن بلغوا شأواً بعيداً فى الثقافة العربية كتب جملة صالحة فى الغناء العربى من الوجبة الدينية ، وسماع آلات العزف فى محافل السرور والفرح . وهل هى مما تحرمه الشريعة السمحة أم تحلله ؟

(الأستاذ محمود فؤاد الجبالي)

وطلبت إلى أن أتصل بأحد شيوخ العلم من أصدقائى الذين عبد الله هم سبيل الفهم ، ووصفوا فى معرفة دقائق اللغة الى لبها ، فكتبوا شرفاً بغوصهم على المعانى الدقيقة التى تفيض بها صحائف

الكتاب الكريم والسنة ، وتعتز بها كتب التاريخ والسير ، فأقول لك انني اتصلت بالكثير منهم فلم يجدوا في وقته منسجاً لخوض هذا البحث لما تكتشفهم من ظروف ، وما يحيط بهم من ملاحظات تستلزم العجلة فيما هم مقبلون عليه .

لهذا السبب رأيت أن أرجع على قلة بضاعتى الى كتب السير تحقيقاً لغرضك ، وإتماماً لبحثك ليخرج كتابك للناس في المرحوم عبده الحمولى ، شاملاً للكثير الممتع من الحقائق ، حاوياً لبعض النواذر التي وقعت للسلف الصالح في الصدر الاول في الغناء ، وسماع الآلات ، أيام كان الدين غصاً وكان رجاله يقيمون بقلوبهم بناءه ، ويذلون الأرواح رخيصة لتشيد صرحه ، بل كانوا يخافون الله في الشبهة . فاذا وقعت لأحدهم في عمل جعلوا من الكتاب الكريم حكماً ، ومن السنة الصحيحة موثلاً ، واعتصموا جميعاً بحبل الله في أمره . ولم تصرفهم الحروب والغزوات عن أن يعلوا منار التشريع في الخطير والحقير من الأمور حذراً من أن يميل بين أيديهم اللواء المعقود ويبدد عقد الشمل المنصود . وانك يا صديقي ستقرأ فقراً مستملحة في الغناء وسماع الآلات ، وهي وإن كانت لا تنفع غلة ولا ترد لطفة ، لضيق المناسبات التي وقعت فيها ، وإمساك النفوس عن التوسع في بيانها إلا أنها من الوجهة الدينية تعد كفيلة لتحقيق الغرض الذي تصبو اليه وسأجتهد في إيجاز القول ما استطعت إلى ذلك سبيلاً

أن بعض شيوخ الدين من السلف الصالح قد استدلوا على أباحة الغناء وسماع الآلات بأحاديث شريفة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل علي أبو بكر رضى الله عنه وعندي جارتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث ولينستا بمغنيين فقال أبو بكر : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم عيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وروى عنها أيضاً رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام منى تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فاتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فأثما أيام عيد وتلك الأيام أيام منى . وعنها أيضاً رضى الله عنها أنها قالت ، كانت جارية من الأنصار في حجرى فزفقتها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء فقال ، يا عائشة ألا تبعين معها من يغنى فان هذا الحي من الأنصار يحبون الغناء وما رواه أبو الزبير بن مسلم المكي عن جابر قال :

زوّجت عائشة رضى الله عنها ذات قرابة لها رجلاً من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أهديتم الفتاة ، قالوا نعم . قال أرسلتم معها - قال أبو طلحة راوى الحديث : ذهب عني - فقالت لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الانصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معهما من يقول :

أتيناكم أتيناكم
خيوناً نخيكم
ولولا الحبة السمرا ، لم نحلل بواديكم

وروى عن فضالة بن عبيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله أشدُّ أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته)

أما عن سماع الآلات فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سراً فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب فى بيت عائشة بدف ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية ، فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلانة إني فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب فى بيتي بدف ، قال فلتضرب

أما ما ورد فى القصب والأوتار والمزامير فلا خلاف فى إباحة سماعها ، والدليل على ذلك أن ابراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالاته وفقهه وثقته كان يفتي بحل ذلك ، وقد ضرب بالعود ، وكان الامام احمد بن حنبل لا يحدث حديثاً إلا بعد أن يغني على عود الى غير ذلك من الأدلة والشواهد العديدة التى يضيق المقام عن سردها . ولا بأس من أن نورد هنا جملة صالحة لابن خلدون فى هذا الموضوع وهو الحجة التى ثبت فى الاجتماعيات قال :

« لما جاء الاسلام . واستولى رجاله على ممالك الدنيا ، وحازوا سلطان العجم ، وغلبوهم عليه ، وكانوا من البداوة والنضاضة على الحال التى عرفت لهم ، مع غضارة الدين وشدته فى ترك أحوال الفراغ ، وما ليس بنافع فى دين ولا معاش ، هجروا ذلك شيئاً ما ، ولم يكن المذوذ عندهم الا ترجيع القراءة ، والترنم بالشعر الذى هو دينهم ومذهبهم ، فلما جاءهم الترف ، وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم ، صاروا الى نضارة العيش ، ورقة الحاشية ، واستجلأ الفراغ ، وافترق المغنون من الفرس والروم ، فوقعوا الى الحجاز ، وصاروا موالى للعرب ، وغنوا جميعاً بالعيان ، والطناير ، والمعازف ، والمزامير . وسمع العرب تلحينهم للأصوات ، فلحنوا عليهما أشعارهم ، وظهر بالمدينة نشيط الفارسى ، وطويس ، وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر ، فسمعوا شعر العرب ولحنوه ، وأجادوا فيه ، وطار لهم ذكر ، ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن شريح وأنظاره ، وما زالت صناعة الغناء

تتدرج الى أن كملت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدي ، و ابراهيم الموصلی ، وابنه إسحق ، وابنه حماد ، وكان من ذلك في دولتهم في بغداد الخ « . اهـ

وما زال فن الغناء يتنقل من عصر إلى عصر ، ومن دولة الى دولة ويعتريه الضعف والوهن تبعاً لضعف الزمن ووهنه ، والشهرة والذیوع ان اخصب ربه ، واخضل واديه ، تسمعه الخلفاء في قصورهم ، وتمش له الأمراء في دورهم الى أن وصل الى عهد أبي الأشبال المغفور له اسماعيل باشا وهناك طلع فجره ، وبنغ هلاله ، وأنارت شمسه ، وكل أنسه بوجود المرحوم عبده الحمولى الذى ملك ناصية الفن فأخذ يعبد طريقه ، ويحسن تنسيقه ، ويأخذ من عواطف الشعب المشهور بالرقه مادة لتلحين أدواره ، وإنشاد أشعاره ، ولم يكفه هذا بل عمد الى نغمات الترك والفرس فصّبّها في قوالب من صنع مصره ، وجعلها زينة لعصره فتراها تجمع بين بغداد في حضارتها ، ونجد في بداوتها ، والفرس في غضارتها ، والترك في منعتها وقوتها

فما لمصروهي أمة عربية تصبو بنرازها إلى سماع صوت الحداة وهم يحدون ونحن في أثر الظامن وهم مجدون ، ويخفق قلبها إن هبت من نجد صبا ، وتصفق منها الضلوع ان لمع برق من بغداد أوحبا ، وجرى الماء في غياض الشام يسقى هام الربى ، يراد بها أن تكون في نغماتها غربية وهي ربية الشرق ، ورضيعة لبانه ولسان حالها يقول

وتلفت عيني فذ خفيت عني الطاول تلفت القلب

ان امة هذه خصائصها ومميزاتها لن تنفع فيها إن شاء الله حيلة المجددين في الشعر والغناء وستسير القافلة وهم في الطريق وأن مُلكاً على عرشه حضرة صاحب الجلالة الملك احمد فؤاد الأول إين ناصر هذا الفن المغفور له اسماعيل باشا خليف بأن يغني بمحاسنه الدهر ، ويمرّج تحت وارف ظله كل مبتكر ، وينشد في واسع رحابه لكل أديب ، ويسير الى الامام بفضل كل مخترع ، فلك الشكر الجزيل يا صديقي على ما بذلت من جهد ، وأديت من أمانة ، بوضعك الحق في نصابه ، وارجاعك السيف الى قرابه ، واختتم عجائبي هذه بيتين من قصيدة المرحوم شوقي بك في المرحوم عبده

يا مغيثاً بصوته في الرزايا ومعيناً بماله في المكاره

ومُجِلّ الفقير بين ذويه ومعز اليتيم بين صفاره

وسلام الله عليك من صديقك محمود الجبالي

عبد الحمولى مع سليم سر كىس

مما يدل أيضاً على عظمة أخلاق عبد الحمولى وما كان له على الناس من جميل الأثر حادثة وقعت فى نيو بار ومنزل يوسف بك صديق فى سنة ١٨٩٧ عقب عودته من الاستانة أروىها تفكهاً لحضرات القراء وعبرة للمحترفين من بعده من حيث شريف المبادئ وحسن الحفاظ وذلك نقلاً عن مجلة سر كىس عدد سنة ١٩٠٦ قال سليم سر كىس أسماء الأشخاص : عبد الحمولى . سليم سر كىس . باسيلي باشا تادرس . عثمان باشا رأفت . يوسف بك صديق . عطا بك .

كان المرحوم عبد الحمولى نديم الملوك وأمير المنشدين قد تلطف فجعلنى من خاصة أصدقائه كان يكرمنى بمودته كل يوم فاذا عاتبه قوم على ميله هذا الى على ما كان من حدثى فى جريدتى القديمة - يقول - أنا أحب سليم سر كىس لا جريدته - وأعاشر الرجل لا سياسته واجبه لأنه أجنبى من أجل شخصى لا من أجل صوتى كما تفعلون أنتم فأنكم لا يقع نظركم على حتى تطلبون منى صوتاً وسركيس ما كلفنى الغناء مرة واحدة فى عامين

قد قضت سياسة جريدتى فى ذلك الحين أن أنشر مقالات استاء منها بعض امراء العائلة الخديوية وسر منها قسم آخر من الأمراء وكان وكيل أشغال الأمراء الذين استاءوا من مقالتي رجلاً اسمه عطا بك فلقه شئ من حدة هذا القلم فى ذلك الحين فاضمر لي الشر

وحدث ذات يوم فى سنة ١٨٩٧ ان عبد الحمولى رحمه الله عداد حسناته - جآني فى منزلي يقول - أنت أسيري طول هذا النهار فتضينا يومنا فى التنقل من مكان الى آخر على أتم ما يكون من المسرة والخبور حتى اذا كانت الساعة السابعة مساءً وجدت نفسي على رصيف (النيو بار) فأمر باحضار العشاء وبسطت أماننا مائدة الشراب وعبد الحمولى يتحدثنى بما لذ وطاب وفيما نحن كذلك جاء صاحب (البار) يقول : ان قومًا يطلبون عبد الحمولى بالتليفون فمضى وبعد قليل عاد يهز رأسه فقلت : ما الخبر ؟ . قال جماعة من إخواننا يهتمون بضيافة يوسف بك ويطلبهم محمد عثمان ، وقد بحثوا عنى كل نهارهم فلم يلقوا لي على أثر . ثم أدركوني هنا الآن ، وهم يطلبون منى موافقتهم الى هناك . قلت : اذهب اليهم ، قال : ما أنا فاعل . قلت : انك تجتمع بي غداً إذ القوم فى انتظارك ؟ . قال لا استبدل مقامى معك وهو مقام الصديق بقماني بينهم وهو مقام المغنى - ثم عدنا الى حديثنا وإذا بزنجي فى عربة قد جآ برسالة من يوسف بك صديق أن القوم ينتظرون عبد الحمولى فصرف الزنجي معذراً .

وما مضت نصف ساعة حتى أقبل علينا عثمان باشا رافت الفريق وسعادة باسيلي باشا تادرس وكان يومئذ (باسيلي بك) القاضي فرحب عبده بهما . وبعد ان جلسا أوعز أحدهما الى الخادم أن يرد الطعام وطلبا من عبده أن يذهب معهما الى منزل يوسف بك صديق لأن القوم ينتظرونه - فاعتذر اليهما قائلاً : اننى منذ الصباح مع صديقي سركيس وهذا اليوم خاص بنا ، فلما وجدنا أنه مصرّ على البقاء معي عرضا عليه أن يحمّلاني على الذهاب معهما . فقال : اذا رضي سركيس بالذهاب فانا راض فتحولنا إليّ يدعوانني إلى منزل صديقيهما ، فاعتذرت قائلاً : لا أعرف أكثر الذين هناك - رقلت لعبده : أرجوك أن تذهب معهما ، وأنا أمضي في شأني ، فأقسم أن لا يفعل - عند ذلك قال لي عثمان باشا أن صاحب المنزل مشترك في جريدتك . فضلاً عن ذلك ، فلا يليق أن ترفض دعوتنا وأنت لا تحتاج الى أعظم من رجل في رتبة فريق وآخر قاض في الاستئناف يدعوانك فهي دعوة كاملة جديرة باهتمامك ولك منا أن تكون في المركز الاسمي من الأكرام هناك فضلاً عن ذلك فانت في إصرارك على عدم الذهاب تكدر جمهوراً كبيراً لأنك تحرهم من صديقهم عبده المحولى . فلما رأيت أن إصراري ليس من الحكمة ، أجبته دعوتهم فركب المحولى وتادرس باشا عربة وسرت في العربة الثانية مع عثمان باشا حتى وصلنا الى منزل المضيف واذا به غاص بالوجهاء والأعيان فلما وصلنا احتفلوا بعبده احتفالاً عظيماً وتنحى محمد عثمان عن مجلسه له - أما عبده فأراد أن لا أشعر بوحشة فأجاسني بجانبه . وبعد قليل دعاني صاحب المنزل الى غرفة « البوفيه » لآتمتع بما كانوا قد سبقوني اليه من دلائل كرمه وسخائه وأظهر لي لطفاً كثيراً أذهب وحشتي ثم عدت وجلست بجانب عبده حتى إذا بدأ يجس عوده استعداداً للفتاء شعرت بوجود اضطراب في القاعة وفي إحدى زواياها جماعة يتكلمون وينظرون الى ناحيتنا . وبعد قليل جاء باسيلي باشا تادرس الى عبده يقول : لي كلمة أقولها اليك في الخارج فيسرّ معي . فخرج عبده وقد همّ أن يأخذني معه فقال تادرس باشا « ان حديثي معك خاص بك فاتبعني وحدك وما غاب عبده الامدة قصيرة حتى عاد وعلى وجهه لوانح الغضب فجلس في مجلسه وأداني منه وطلب شراباً لكيئنا وأخذ يغني ويطرب حتى أدهش من حضر ولبثنا كذلك حتى شابت ناصية الليل فانصرفنا وأردت أن أوصله الى محطة حلوان وأبى إلا أن يوصلني الى بيتي وكنت أحاول مراراً أن أفهم منه سبب غضبه وهو يأبى الايضاح حتى اذا كان اليوم الثاني علمت مايتي : لما دخلت معه إلى المنزل ورأى الناس احتفاله بي كان بين الموجودين (عطا بك) الذي تقدم القول أنه كان متكرراً من بعض كتاباتي في قضية الامراء فسأل : من

الرجل ؟ قيل له : هو سركيس - فأرعد وأزبد وانصرف الى الخارج وكلف باسيلي باشا أن يدعو عبده اليه فلما تقابلا جرى بينهما الحديث الآتي :

قال عطا بك - من هذا الذى جاء معك ؟ - قال عبده - هذا سليم افندى سركيس - قال عطا بك ، أما هو صاحب الجريدة - قال نعم - قال أنت تعلم يا عبده اني اكرهه فلا تلمني اذا أسأت اليه . فنظر اليه عبده شذراً وقال - ان سليم سركيس ضيف لصاحب هذا البيت الكريم ، ولولا لطفه ما تتمتع بحضورى ولولا أن ذهب الى دعوته رجل فى رتبة فريق وقاض فى الاستئناف ما جاءكم ، فاعلم يا عطا بك اذا أسأت اليه بكلمة أسأت اليك بعشرين ، فهو صديقي وضيبي والضيف من عند الله - قال عطا بك - اذاً واحد منا ينصرف الليلة من هنا - قال عبده تنصرف أنت اذاً - قال عطا بك اختريننا - قال عبده قد اخترت سركيس فانصرف اذا شئت . وهكذا انصرف عطا بك ، وعاد عبده الى مجلسه كما ذكرنا فرحم الله تلك الروح الذكية والعواطف الشريفة

المؤلف - ولا يفوتنى قبل مسح القلم عن هذا الحادث الواقعي الغريب الا أن أقول كلمتي الآتية تعليقاً عليه :

حق القول على المحمولى مخالفة ابن خلدون فيما قاله فى مقدمته عن الملكة : « أن من حصلت له ملكة فى صناعة قل أن يجيد بعد فى ملكة أخرى » لما أن عبقرية المحمولى كانت متنوعة النواحي متشعبة الأطراف ان الله سبحانه وتعالى يقيم العباد فيما أراد ، ومن كان الله فى عونته تيسرت عليه المذاهب ونجحت له المطالب ذلك أنه كان منشداً ومطرباً وكاتباً وأنيساً وزعيماً وقادة تحتذى فى الأخلاق وكان ينبوع الرحمة للفقراء والمثل الاعلى فى الوفاء بالعهد وسفير صدق يصلح بين قومه ويؤلف قلوب الخاقدين ويعد مع عبقريته المركبة من أكثر الناس تحافياً عن مقاعد الكبر لأن العبقرية من مزاياها التواضع وعدم الميل الى الدعاية والشعور بعدم أهمية العبقرى لنفسه وجباه ما احتوت عليه عبقريته من كنوز ثمينة خالدة واذا اعتبرنا أن عبقريته خصيصة منتجة كما تقدم وجب أن ننعم النظر فى عظمتها وصمتها وعدم ثروتها وكفى بعبقريته لحناً واحداً أو موالاً واحداً تبين منه جمال فنه وجمال خلقه ونوع نبوغه الذى يبنى عليه الحكم ويقام له الحساب ذهاباً الى ما نطقت به شواهد الحال وأيده أحد علماء الانكايير فقال ان العبرة بالنوع لا بالكمية "It is quality that counts" وبناء عليه فان ما يوجد من العبقرية فى عبارة واحدة أو فى ألفاظ منفردة مؤثرة يتجاوز فى الغالب ما قد يوجد منها فى أضخم مجلد لما أن العبقرية لهب يتوقد لوقته على حد ما روي عن

فرجيل أنه بكلمات مؤثرة قليلة استطاع أن يسبر غور الجمال والحزن ويخبر سر الشرف في الحياة والأمل في الموت كما أن شكسبير تمثل لحس القارىء عظمته ويشعر بلا مرأى بخلود مصنفاته ودواوينه بمجرد اطلاعه على رواية واحدة من الأربع والثلاثين رواية التي قام بتأليفها ويستنتج من تحليل حياة عبده النفسية ان مامن عمل من أعماله إلا يدل على إبحاء وعبقريه وعظمة ويعد ناموساً للاجتماع ومثلاً أعلى يعمل بمقتضاه أبناء النسل ومأثرة ينقلها السلف الى الخلف على مر الايام وكروور الاعوام والحق يقال أنه كتب اسمه بأحرف من ذهب ليس على رخام ضريحه فحسب بل على قلوب أبناء مصر عمومًا والمحترفين والهاوين والمعجبين خصوصًا وسيظل ذكره خالدًا ويطيب نشره في المحافل مدى الدهور

شهادة ابراهيم بك المويلحي الكاتب القدير

في مصباح الشرق بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٩٠١

ب عنوانه « فلقطة كأمير »

إذا بحث الباحث في أطوار الناس وأخلاق الخلق تعين عليه أن يجردهم من طيالس المراتب والمناصب ومظاهر الثروة والجاه ثم يلقي في نظره ما بينهم من تفاوت الطبقات واختلاف الدرجات التي وضعها الناس لأنفسهم بأنفسهم ثم ينظر وهم على تلك الحالة المجردة إلى ما وضعه الله فيهم من المواهب والمزايا وأسباب التفاضل بينهم وما هذه الدنيا في نظر الحكيم إلا ملعب وما الناس في مراتبهم ودرجاتهم إلا كالشخصين فيه يتزويون بالأزياء المختلفة هذا ملك وهذا وزير وهذا قائد وهذا أمير فإذا أراد الباحث أن يعرف حقيقة اقتدارهم وقيمتهم في ذاتهم نظر اليهم من وراء الملعب مجردين عن تلك الألبسة الفاخرة في الحالة التي كانوا عليها قبل تشخيص أدوارهم وهنالك يرى الباحث في طبائع الناس وأخلاقهم أنهم مختلفون بينهم ومتفاوتون في سلسلة الترقى والكمال تفاوت الصوان من الياقوت في الاحجار والسيالة من البنفسج في النبات والفهد من القرد في الحيوان - ومن الناس من تميزهم الطبيعة بكمال الخلقة وترتقى به في كمال التصوير فينشأ فيها من حسن الانتساق ولطف التركيب ما تجلى في عالم الاحسان والاتقان والتصوير فيصدر عنه من بدائع الأعمال ومحاسن الأفعال ما تطرب له النفوس وتشجى به القلوب . فان نشأ في طبقة الشعراء كان كالمعري مثلاً وان

نشأ في طبقة الحكماء، كان كابن سينا وان نشأ في طبقة الجند كان كطارق بن زياد وان نشأ في طبقة المغنين كان كاسحاق أو كهذا الفقيد الذي فقدناه بالأمس . وهب الله المرحوم عبده الجمولي سجية الاحسان ومزية الاتقان فكان وحيد عصره وفريد دهره في صناعة مارسها بين الناس أكثر من أربعين عاماً لم يضارعه فيها مضارع ولم يلحق به لاحق. وانحصر فيه الغناء في مصر طول هذه المدة فصار الكل له مقلدين يأخذون عنه ولا يبلغون شأوه ولا يتعلقون بعباره ولا غرو فانه هو الذي أخرج فن الموسيقى من سقوطه وتأخره إلى ارتفاعه وتقدمه ولم يقتصر على طريقته التي وجد عليها بل أخذ فيه بأسباب الاختراع والابتداع والتحنين والتهديب وأنشأ له طريقة جديدة بحسن اجتهاده ورقة ذوقه

وجاء في مصباح الشرق بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٠١ ما يأتي

« من الناس من يهبه الله سجية الاحسان ومزية الاتقان فينصرف اتقانه واحسانه إلى الفن أو الصناعة التي اختارها لنفسه فيحسنها ويتقنها ويتحول بكليته اليها ويفعل في نفسه ما عداها من مغارس المحاسن ومنابت الفضائل ومكامن المكارم فيعيش غفلاً منها وإن كان ناهياً في صناعته فيلقى الناس منه ما يسوء من أخلاقه بقدر ما أحسن من صناعته يرضيك حسنه من باب ويخطئك قبحه من عدة أبواب فترى الشاعر يرتقي في عالم شعره فيسبق فيه من يباريه ويعلو قدره على سواه فإذا عطفت نظرك الى أخلاقه وجدته أخط الناس فيها درجة وأدناهم منزلة وأردأهم سيرة في المخالطة وأسوأهم معاملة في المعاشرة وتجد هذا الذي لم يكتف بعلم الحقيقة في الجمال حتى تجاوزه الى عالم الخيال أبعد الناس عن جميل الفعل وكريم الخصال وترى المصور الذي يباري محاسن الطبيعة بحسن المحاكاة في جمال النظام ولطف الانسجام يكون فيما عدا ذلك أخرق احمق شرس الطباع سافل الأخلاق وترى العالم يصعد بعلم الى عالم الفضائل والحقائق ثم ترزُل أخلاقه بالغفظة والجفاء وتسوء بآتيه والضلال وتراهم جميعاً قد ارتكزوا في طبقاتهم على فضائلهم في صناعاتهم وفنونهم وأهلوا بقية الفضائل وبعُدوا بنفوسهم عن جمال التهديب وحسن التثقيف فأن تحمل الناس منهم سوء الأخلاق ظاهراً للمزية التي انفردوا بها فانهم لا يتحملونها باطناً يرضونهم بالوجود ويفضونهم في القلوب أما اذا التفت المتقن لفظة المحسن في صناعته الى تهذيب بقية أخلاقه وصفاته والى تحسينها وصرف الى ذلك بعض همه بما أوتيته من سجية الاتقان ومزية الاحسان وارتقى إلى فضائل الأخلاق ارتقاءه في فنه

أوصناعته فإنه يرضى الناس ظاهراً وباطناً وتبلغ مزاياه من قلوبهم المحل الأعلى فتنتطوي على محبته وتجتمع على تفضيله في حياته وبعد مماته .

وقال في موضع آخر

« ولما سافر المرحوم في سنة ١٨٩٦ إلى الاستانة العلية وحظي هناك بالثول في الحضور الشاهاني مراراً وأعجب أمير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن تأديته له أسنى عطيته وبلغه حسن رضائه وكان الوساطة بينهما للتبليغ في ذلك المجلس سماحة السيد أبي الهدى ومما تلقاه عنه من أوامر أمير المؤمنين أن يلقن ما غناه في حضرته من الأصوات لبعض ضباط الموسيقى الشاهانية فلحق المرحوم منه ما أمكنه ولم يسع الوقت تمام القيام بالأمر ووعد أنه سيشتغل عند عودته إلى مصر بربط تلك الأصوات برابطة « النوبة » ثم يعرضها على الأعتاب ليسهل أخذها على ضباط الموسيقى وأهل المرحوم مدة وجوده في الاستانة الزرد على سماحة السيد واجتمع ببعض المترشحين معه على الأعتاب الشاهانية ورغب كل واحد منهم أن يكون له الخطوة بتقديم تلك الأغاني والأصوات عند عودة المرحوم إلى مصر وأرسلها إلى الاستانة فلما عاد اتما عشرين صوتاً (دوراً) مربوطة بالنوبة ثم تردد في كيفية إرسالها وخشي أن بغضب أحدهم باختيار سواء عليه في تقديمها فامتنع عن إرسالها لهم جميعاً وأرسلها من طريق رسمي فأمرها له السيد في نفسه ولما ذهب إلى الاستانة وقابل من قابل مزوداً بالمال لم يشعر هناك وهو في مجلس أنس لبعض كبار المصريين من أصدقائه في جمة البوغاز الآ وقد أحاط به رجال الشرطة فسار معهم وصاروا يتقلون هذا الذي لم ينتقل في عمره من مجلس أنس الآ إلى مجلس سرور طول ليلته من مخفر إلى مخفر ومن سجن إلى سجن حتى وصلوا به إلى مأمور الضابطة فأمره بالخروج في الحال من دار الخلافة وعلم المرحوم مما سمعه من بعض الأعوان الحليين من ذكر السيد ووجوب السعي في دوام رضائه أن الأمر مقصود لمجازاته على إهماله أمر سماحته فلم يلتفت إلى غير المبادرة إلى اجابة الأمر بالرحيل عن الاستانة فأثرت فيه هذه الحالة وعاد إلى مصر مصاباً بداء البول السكري فانتهك قواه »

وقال أيضاً وكان شهيداً غيوراً شريف السيرة يغار لنفسه ولأعراض الناس لا ييالي في ذلك بهول الموقف وفداحة الخطوب . كان ككثوماً للسر وواسياً لعائلته طلق الوجه طليق اللسان يصيب غرضه بحسن يانه حتى لقد قيل عنه أنه لو كان سفيراً لدولة من الدول لما تعقد عليه أمر في السياسة فكان خفيف الروح متوقد الذهن مات والناس إجماع على تفضله والقلوب مرتبطة بمحبته

فأذهب كما ذهبت عوادي مزنة اثني عليها السهل والأوعار

فما روضة غناء كأنها غادة حسناء قد افتنن في تصويرها الجمال وجعلها للناظرين كالمثال
نالتنصن قدها والورد خدها والرمان نهدها وعليل النسيم عهدا والكرم شعرها والاقاح ثغرها
انتهت فيها غافية حمام فوق غمارق الأغصان والأكام آخر الليل وقد عسس وأول الصبح وقد نفس
فلما رفعت طرفها وجدت بجانبها إليها بعد أن نأى عنها مكاناً وفارقتها زماناً فزال عنهما ألم الشوق
والتف الطوق بالطوق وهتف منشدان فوق خرير الماء قصيدة على روي الرأء أودعها ما أرادا من
معاني العشاق في وصف صلة الوصل بعد الفراق ومن حولها بقية الأطيوار ترجع انشادها ترجيع
الأوتار تهزه على كل غصن مائس كأنها القيان تزف العرائس بأطرب من صوتك في الآذان وألذ
من ذكرك بين القلب واللسان وما أخرى من سكان الأشجار وذوات الأوكار غادرت أفرانها من
وكرها في ليلة موصوفة ببردها وحرها تلتس لمن شيئاً من القوت وقد عزّ كالياقوت فوقعت من
الأمطار في شبكة منعها عن السمي والحركة إلى أن غادرتها الهواد وأمكن لها الارشاد فعثرت لمن
على نزر من الحب ودت لوزيد فيه حبة القلب فراحت اليهن ولا الظافر بتاج الملك ولا الناجي مع
نوح في الفلك فوجدت السيل قد أتى على الشجرة فاقتلعها وعلى الأفراح فابتلعها وبيناهي بين
تصعيد وتصويب وحنين ونحيب اذ انقض عليها صقر أنشب في طوقها أظفاره وغمس في جوفها
منقاره فاجتمعت عليها صنوف الآلام الآلام الأرواح والآلام الأجسام بأوجع في قلوب رفاقك
من يوم فراقك

آراء أعضاء المؤتمر الموسيقي المنعقد سنة ١٩٣٢

في الموسيقى العربية

قال جناب البارون كارا دي فو في خطابه في حفلة اختتام المؤتمر ما ترجمته نقلاً عن كتاب
مؤتمر الموسيقى العربية لوزارة المعارف العمومية « ان الموسيقى الشرقية علم عظيم وليست موضوعاً
يمكن استيعاب البحث فيه في يوم أو في ثلاثة أسابيع ويشعر الانسان بهذا التأثير إذا ألقي نظرة على
فهارس الكتب الموسيقية القديمة

إننا لم نواجه مبحثاً أكثر أهمية وأعظم شأنًا من مشكلة تأثير الموسيقى الشرقية في الموسيقى الغربية في القرون الوسطى

ان جميع مجموعات الآلات الموسيقية لعل شاق يستلزم السنين الطويلة - وقد بدأت مصر - والله الحمد - الخطوات الأولى منه وأشارت لجنة الآلات بالارشادات والمعلومات اللازمة لذلك هذا ما يخص المسائل الواسعة المدى . أما المسائل الدقيقة بل الشائكة - ان أردت - فأهمها اثنتان : تتابع المقامات وامكان الامتناع بأرباع الأصوات بالتقريب . وهنا لا يكفى العلم وحده بل تدخل عناصر فنية وبسيكولوجية .

غير أننا نستطيع أن نبذل المعونة للموسيقين الشرقيين ليجتنبوا المناقشات غير المنظمة بما نبث في نفوسهم من طريق البحث والتحليل على النمط الأوربي واني أذكر مثلاً ذلك الصوت المعروف بالسيكاه الذى أثار مناقشات حادة وهو الصوت الثالث من ديوان المقام ويظهر أن الموسيقين الشرقيين يريدون أن يثبتوا سيكاه وحيدة مطلقة أو مثلاً أعلى للسيكاه ، وقد قال لهم العلماء الغربيون حلوا وميزوا لأن سيكاهكم يمكن تغييرها مع المقامات حتى ان المقامات نفسها تختلف باختلاف البلدان وتقد وجدنا بعد التجارب أن مقام الراسن والسيكاه على حسب العزف عند كبار المغنين مرتفعين قليلاً في سوريا عن مثيلهما في مصر وهما في تركيا أكثر ارتفاعاً منهما في سوريا وعلى العموم قد تحققنا أن في مصر استعداداً فطرياً لدى المغنين والعازفين للاقترب من الصواب « اه
وقد جاء في خطبة حضرة السيد حسن حسنى عبد الوهاب ما يأتي :

« وأكبر مزية سيخلدها لك تاريخ الفنون الجميلة الى دهر الداهرين القرار الاجماعي الصادر من أعلى منبر في هذا المؤتمر بحماية الالحان العربية من المعجم تلك التى كادت تبطلها وتقضى عليها القضاء الأخير وما حماية الالحان الا حفاظ لروح القوم الخالدة . وفيك يا مصر يرجى الحفاظ وهما نحن أولاء من خلف أعوان وأنصار

وقبل أن نختتم هذه الكلمة نرى من واجب الضيافة الكريمة التى حبينا بها في وادى النيل من جلالة الملك المعظم وحكومته وشعبه أن نرفع لهم جزيل الامتنان ووافر الثناء على مالاقيناه من الحفاوة والاكرام . وكذا للنتاج الغالية التى سنعود بها الى أقطارنا رافعي الرؤوس ونفوسنا ممثلة اعجاباً بأننا أعدنا الى الشرق - على يد مصر - ميزته الفنية وألحانه الشجية وتراثه القديم

فدومي يا مصر لنهضة الشرق وذويه رافلة في مطارف العز والبهاء للحضارة والجمال والخلود « اه

وقال جناب الدكتور هنرى فارمر

واسمحوا لى أن أقول كلمة فى الختام . لما كنت قد وقفت حىأتى على خدمة الموسيقى العربية أعنى القديمة منها فأن هذا المؤتمر كان سبب مسرة خاصة لى إذ قد جعل الأماجد من رجال الثقافة العربية فى العصور الغابرة يحيون مرة أخرى وإن سماع الموسيقى الرائعة التى وضعها أسلافنا الموسيقيون الذين قضيت سنين عدة فى الكتابة عنهم أدخل على قلبى سروراً عظيماً وإنى بالرغم من صعوبات كثيرة أشعر عن يقين أن هذا المؤتمر سينتج ثماراً دانية القطوف . نعم لقد كان هناك تضارب فى الآراء ولكننا نستطيع مع شيء من الصبر والتسامح أن نجد طريقاً أميناً للمستقبل .

وهناك أمر واحد لا ريب فيه وهو أن الموسيقى العربية لا تستطيع أن تقف جامدة ، فالمدينة العصرية مع تياراتها الجارفة التى لا تعوقها العقبات ستدفع الموسيقى العربية الى التقدم إلى الأمام وعلينا متى ظهرت بوادر هذا التقدم أن نحرص على أن تسلك طريقاً يحفظ روحها الوطنية وطابعها لأن فقدانها ذلك الميراث المجيد يعد كارثة عظيمة

وعلينا أن نمنع وقوع هذا ويجب أن تعني مصر بالمحافظة على ذلك المجد . فهي التى أنبتت الحسين بن علي المغربي والمسيحي فى القرن الخامس بعد الهجرة وقد وضع كل من هذين المؤلفين كتباً على طراز كتاب الأغاني العظيم لمؤلفه أبي الفرج . ومصر هي التى أهدت الى العالم الاسلامي الفلكي الشهير ابن يونس الذى وضع أيضاً كتاباً خاصاً فى تمجيد العود بعنوان « العود والسعود » ومن أرض النيل المبارك خرج ابن الهيثم الذى وضع الشروح الوافية والنقد الصحيح لنظريات إقليدس الموسيقية . وفي هذه البلاد عاش أيضاً أبو الصلت أمة . وقد كانت رسالته فى الموسيقى على جانب من الخطورة إذ ورد ذكرها واستشهد بها فى الكتب العبرية . وقد كان البياسي المحدود من أخصاء الفاتح العظيم صلاح الدين موسيقياً بلغ شيئاً من الاجادة ، وعلم الدين قيصر الذى كان من أبناء مصر كان أشهر أهل عصره فى نظرياتة الموسيقية . ثم ابن الطحان وهو مصري آخر وضع مؤلفاً فى الموسيقى ربما كان أهم ما وضع من نوعه لأنه يبحث فيه فى تاريخ الموسيقى ونظرياتها جنباً الى جنب وجميع هؤلاء عاشوا قبل القرن السابع للهجرة .

واليوم وذكريات الأسابيع الثلاثة الماضية لا تزال ماثلة بجمالها أمام أعيننا نشعر أن مصر ستتخذ مرة أخرى مركزاً سامياً ممتازاً فى طليعة البلدان فى عالم الفنون الاسلامية . فترسم الطريق فى هذا الفن الشريف المجيد لغيرها من البلدان العربية وتنقش اسمها على تاريخ الموسيقى فى الأقطار الشرقية « اه

وقال جناب الاستاذ جوستو زامبيري

ان التبادل المستمر في الشعور والأفكار بين الأمم القريية والثانية قد حصل في غالب الأحيان بواسطة الفنون لأن الفن له مزية قائمة بنفسها وجدت بوجود الانسان وجعل لها الأقدمون صبغة روحية فقد قال القديس أوغستان : « ان الفن موطنه الروح فلا ينفصل عنها » وقد اهتم علماء إيطاليا بفنون الشعوب كلها لأن إيطاليا الحديثة الناهضة تعلمت كيف تفكر للوصول الى مطالبها العالية وتمهيد السبل لئلا في باقي الشعوب . والفن الشرق له صبغة شخصية في غاية الطلاوة . ففي الفنون الحسية نرى الخطوط والدوائر مرسومة على ألوف من الأشكال البديعة التي أحدثت في الغرب تأثيراً فنياً مهماً ولما اكتست هذه الفنون بالأنغام الشرقية التي تمكنك من استعمال أدق الأبعاد التي بين صوت وآخر وأتقنتها ولدت في الغرب حاسة الخيال المبدع

وقد كان في إيطاليا في العصور الوسطى نزعة قائمة على تقص الأنغام الكروماتيقية والهارمونية والاقصرار على الديا طونيقية ولكننا نشاهد في العصور الحديثة حركة يقصد بها العود الى الأنغام المهمة فاتجهت لذلك الأفكار الى الشرق ، لأن الروح الموسيقية التي تكتنف الأرض وتصل الشعوب بعضها ببعض قادت الأفكار في هذه المرة أيضاً الى المسالك القديم الذي سلكه الفن وهو الاتجاد دائماً من الشرق الى الغرب

يا أيها العرب الأماجد ان معرفتكم لتاريخ هذا الفن وعلومه التي لم تزل غامضة علينا بعض الغموض سيكون لها في هذا المؤتمر شأن عظيم فان نهضتكم الموسيقية وأعمال سلفكم ومؤلفات علمائكم كشرف الدين هارون وغيره مما لم ينشر فوائدها بعد سيكون لها عظيم من البحث والتقيب في هذا المؤتمر الذي دعوتهم اليه علماء أوروبا . ومن البديهي أن انتشار العلوم يساعد على المحافظة على الفنون . وقد ذكر ذلك القديس السالف الذكر « ان العلم المجرد عن الفن انما هو معرفة سطحية » لذلك أرى أن رقي الفن الذي هو ضالتكم المنشودة سيكون خالة المؤتمر أيضاً » اه

وقال الأستاذ الدكتور كورت زاكس في حضرة جلالة الملك في الحفلة التي أقيمت بدار الاوبرا الملكية نائباً عن أعضاء المؤتمر ، فهذه البلاد التي نشأت قبل بلاد الغرب تريد الآن أن تقاسمها الحياة وأن تتبوأ بينها المكان اللائق بها فهي الأم التي تجدد صباها وأصبحت تعد نفسها أختاً لبناتها . وهاك شعار المؤتمر والروح التي تتجلى فيه عن مصر . ان هذه البلاد التي نعجب بجدها ونشاطها ترغب في ترقية موسيقاها وتجديدها . وهي التي غدت منذ الف عام الموسيقي الأوربية . وقد

تفضلتم جلالتكم فدعوتونا وأدركتم مع منظلي المؤتمر أن هناك صعوبات جمة تقف في سبيل إصلاح الموسيقى العربية . لكنكم ذلتهم هذه الصعوبات وتحملتم أعباءها لأن الغرض هو توسيع نطاق فن الموسيقى العربية دون التورط في تقليد أوروباً تقليداً أعشى . فعلينا أن نسعى في هدوء الى الرقي الذي نشده لأن الطفرة بعد انقضاء الف عام كثيرة الضرر كما يجب علينا أن نضع أسلوباً جديداً دون أن نهمل شيئاً من التراث النفيس الذي خلفته لمصر هذه الأجيال الكثيرة

وقال حضرة الأب كولانجيت ضمن الكلمة التي ألقاها في حضرة صاحب الجلالة . عند تشرف رؤساء اللجان ومندوبي الدول في مؤتمر الموسيقى العربية بقبالة جلالته يوم ٣١ مارس ١٩٣٢

« ان للسعادة مظاهر تتم عنها ، والموسيقى واحدة منها ، لا يجوز إسقاطها ، فان الشعب الذي يغنى لهو شعب سعيد ، وفي عرفنا أن الترقية والتجديد لا يستلزمان حتماً هدم القديم ، بل نحن نعد جرمًا كل مساس بهيكل الموسيقى العربية القديم ونريد هذا الفن الجميل الذي ازدهرت به عصور الحلفاء الأقدمين وتناقله الخلف عن السلف بعناية حتى وصل اليها نريد أن يحتفظ بصبغته التقليدية وأن يبقى فناً عربياً حقاً » اه

وإني أقطف من خطبة صاحب المعالي وزير المعارف ورئيس المؤتمر في حفلة الاختتام ما يأتي حرفياً :

« وإن اجتمع هذا المؤتمر وما ضم من العلماء ومن مختلف البلدان العربية والشرقية المطلعين على أسرار فن الموسيقى العربية المحبين له واجتماعهم في صعيد واحد بالقاهرة عاصمة مصر لما يقدم لنا برهاناً جديداً على أن التعاون الفكري بين جميع الأمم وفي جميع نواحي النشاط العقلي من علم وفن وصناعة يؤدي إلى أحسن الثمرات . والحكومة المصرية تلحظ بعين السرور أن علماء الغرب في معاونتهم للشرق إنما يعاونونه لينهض في حدود مدينته ويرقى إلى أسنى الدرجات في دائرة تقاليده بغير أن يعتبر مميزاته الخاصة تغيير أو يلحقها فساد .

ويسرنا أن ذلك رأي أعضاء هذا المؤتمر فقد أرادوا بفن الموسيقى العربية أن ينهض وينشط في دائرة الاحتفاظ بطابعه ومميزاته الخاصة وقال أيضاً ما يأتي :

« ولقد حوى تقرير لجنة التعليم بيان القواعد الأساسية لتعليم الموسيقى العربية ودراساتها والآلات الواجب استمالتها والوسائل المؤدية الى ذلك من حيث التدريس والمؤلفات . وعينت بصفة

خاصة بمبحث المؤلفات الموسيقية التى وضعها الشبان المؤلفون المصريون ، ونصحت لهم أن يتجنبوا الطريق الذى سلكوه لتكون الموسيقى عربية خالصة من ألوان الموسيقى الغربية .

وقدمت لجنة التاريخ الموسيقى والمخطوطات بياناً وافياً للمخطوطات العربية الهامة التى تجب العناية بدراستها والرجوع إليها لمعرفة تاريخ الموسيقى العربية وأصولها وتحقيق الغاية التى ينشدها المؤتمر باحياً ، مجد الموسيقى العربية كما بينت فيه ما ترجم وما نشر من تلك المخطوطات .

أما لجنة المسائل العامة فقد عُنيت ببيان الوسائل المؤدية لترقية الموسيقى العربية والوصول بها الى الدرجة المبتغاة لها من رفعة الشأن مع الاحتفاظ بطابعها وميزاتها

شعور المغفور له سعد زغلول باشا

نحو فقير الفن (المحمولى)

دعي عبده فى امده المزاحه بين سنتي ١٨٩٦ - ١٨٩٩ للفنائه فى أسيوط بدار الدكتور حبيب بك خياط احتفاءً بزواجه بابنة الوجهه المرحوم ويصا بقطر فاعتذر عن قبول الدعوة لارتباطه بأحياء حفلة زفاف ربة الصون والعفاف كريمة المرحوم مصطفى باشا فميمي رئيس مجلس الوزراء الأسبق (صاحبة العصمة صفية هانم) إلى سعد بك زغلول (آنذ) فغنى دور « أنا من هجرك أحكى خصرك . ولي أنت الأمر الناهي وكأنه بإيجائه تنبأ بزعامه سعد زغلول للأمة المصرية الكريمة كما أنه غنى دوراً آخر نظم اسماعيل باشا صبرى وكيل الداخلية وقتئذ : عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب غيرنا تملك وصال (بواو العطف) واحنا نصيينا خيال فين العدل (كرها ثلاثاً) يا منصفين بلهجة الغضب مصوراً بنفاته الحماسة وشعور الأمة الوطنى مما كان يحيط بالبلاد من ظروف وانفعالات ذوداً عن حوزة الوطن العزيز على أنه لا يعزب عن البال من طريق الاستنتاج أن نعمات المطرب كالأشاعر والمصور أصدق دلالة على ما فى نفسه من عوامل ونزعات وتمحز فى هذه النعمات الأخيرة الفينا عبده شجاعاً أياً ووطنياً حراً ومصرياً حمياً خلافاً لما نجد فى نعمات المجددين

من خلاعة وتهتك ليس عليها مسحة القومية ولا هم لهم إلا الكسب والجشع في عصر استنوقت فيه جماله وأصبح ونساءؤه رجاله يشترينهم بالبانة بدل المهر ليسيطن عليهم وينفردن بالأمر والنهي

ولما مات عبده ذهب المرحوم



(المغفور له سعد زغلول باشا)

سعد بك إلى دار الفقيده بالعباسية وأراد أن يقابل احسانه السابق بعروف لاحق يسديه الى عائلته رافة بحالها بعد فقده فاقترح تلميحا على زوجته السيدة جولتارهاثم أن يجمع لها بطاريق الا ككتاب مالا يساعدها على تربية اولادها فأعرضت عن النزول على مقترحه شاكرة وقالت له « أن عبده مات غنياً كما عاش غنياً وترك لنا ثروة أدبية وفنية خالدة في السماء لا يأكلها السوس ولا تمتد اليها يد سارق ففعم الزوجة التي آثرت أن ترضى غيره على سمعتها بميسور ما تركه لها على أن تضرب عليها الذلة وأكرم بعبده بعلا حتى الأنف قد بث فيها طيلة حياته ابااء وشرفاً وعزة نفس . وشكراً لك أيها الزعيم الكريم على ماقت به من ثواب وأظهرته من كريم الشامل ورقة العواطف ووثيق العهد نحو من

أنسته المروعة نفسه وكرس للخير حياته التي عدها ملكاً مشاعاً بين قومه وأهلك نفسه ليحفظ غيره قدس الله روحيكما وأسكنكما فسيح الجنان

تراجم حياة اشرر الموسيقيين والمطربين في مصر

المرحوم احمد الليثي «العواد»

ولد المرحوم الليثي في الاسكندرية سنة ١٨١٦ ومات سنة ١٩١٣ . وكان والده « قنونيًا » شهيراً وبعثه الى أحد الوزانين « القباينة » ليتعلم بدكانه القراءة والكتابة . ولما وجد الأخير أن تلميذه

ليس بقارئ ولا بكاظم ما دام عديم الميل الى العلم لا يضطلع بمزاجه حفظ ، أشار عليه بأن يتعلم فناً من الفنون الجميلة كالموسيقى فاختار لنفسه « العود » وبدأ والده يعلمه العزف عليه على طريقة القانون بواسطة السمع لا الاصبع كما هو المتبع فيما اذا كان المعلم عواداً فأدرك شيئاً من العلم بآدى بدء واستعان أخيراً بفطرته الطبيعية على الابتكار دون التقليد في تصوير النغمات ثم حضر الى مصر ولم يكن فيها تحت الآلات الوترية معروفاً سوى تحت المرحوم منسى الكبير والد الاستاذ قسطندي منسى والتحق بسرارى ساكن الجناح الحديوي اسماعيل كعلم ، وانضم الى « المظ » وعبدته الجمولي وكان الوحيد في تصوير نغماتها وفي التقاسيم المعتاد البدء بها على



(المرحوم الاستاذ احمد الليثي «العواد»)

عوده بدلاً من القانون بالرغم من وجود قانونين على تحت عبده ولم يشتهر سواه في تصوير النغمات بالأصابع دون الريشة لأن العادة المتبعة في الاستانة أن تستعمل الريشة للعزف ابتداء من التقسيمة أو خلافاً من القطع لغاية التسليم (أى النهاية) وهذه الطريقة تسمى « بالمزrab » وقد خالفها الليثي في مصر بأن استعمل الأصابع دون الريشة لاستخراج الاصوات وتسمى طريقته « بالبصم » ولا يخفى على اللبيب ما لطبيعة الأصابع من لين وحنان وما للريشة من ييوسة . وكان قصير القامة مليح الوجه تتوسم فيه مخايل الكرم ويمتد عبقرياً في العزف على العود رحمة الله رحمة واسعة .

المرحوم محمد عثمان

ولد المرحوم محمد عثمان ابن الشيخ عثمان حسن المدرس بجامع السلطان أبي العلاء حوالي سنة ١٨٥٥ في مصر وأدخله والده في ورشة برادة ليتعلم صنعة يرتقى منها ولما آانس فيه شديد الميل إلى الغناء وسمعه يقرأ المنشدين في الأذكار أخرجه منها وضمه إلى تحت الأستاذ منسي الكبير والد الأستاذ قسطندي منسي الذي تخرج عليه في العزف على العود والتدرب على الغناء وتركه بعد وفاة والده ليشغل على تحت على الرشيدى الكبير ومكث مع الأخير مدة طويلة تعمق في خلالها في البحث الفني وتبسط في التلحين إلى أن كوتن تحتاً خاصاً به ولما فقد صوته من جرآ مرض أصابه عمد الى التلحين فتصحفنه المحترفون والهاوون فاذا هو محكم الوضع متناسق النغمات واليكم مجموعة مقطوعاته الغنائية المبينة بالجدول الآتى

« أما بسحر العين » و « والمطر يبكي ياناس لحالي » ومتع حياتك ونور العيون شرف وبان «
« وبدع الحبيب كله يطرب فهي منسوبة للمرحوم عبده الحولى كما قرر ذلك الثقة الاستاذ داود حسني الملحن الكبير وقال أيضاً أن مقطوعة الحبيب لما هجرني قديمة وليست له ولا يفوتنى أن أذكر ان محمد عثمان ابتدع طريقة خاصة به تسمى « الهلك » فى الغناء التى يردّد فيها رجال تحته المذهب نفسه أو غير ذلك ليتسنى له التنفس والراحة فى أثناء ذلك استعداداً للإبداع وقد ذهب مع عبده إلى الاستانة وقد بكاه الأخير على ما كان بينهما من تباغض وتنافس عند ما بلغه نعيه وهو فى سوهاج بوابر حسن بك واصف يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٠

وقد روى لي الاستاذ داود حسنى أن محمد عثمان على ما كان معجباً بنفسه لاتشأر تلحينه

لا يعنو لشجرات العصبجية من أهل الحسينية وأهل الجمالية في أثناء الحفلات والأعراس لصرامة بأسه وصلب عوده ولم يُقم لأى أمرٍ وزناً ولم يعظم أحداً الا عبده فإنه كان يسميه لدى رجال تحته « الافندى بتاعنا » ولو كانت له صورة فوتغرافية لتشرّفت بوضعها فى صدر مقالي هذا ويعدُّ اكبر ملحن فى عالم الغناء رحمه الله رحمة واسعة . »

المقام	اسم المقطوعة	المقام	اسم المقطوعة
عجم	اليوم صفا	راست	مليكى انا عبدك
صبا	ما احب غيرك	•	يا ناس خايف اقول اجبه
•	اعشق الخالص لحبك	•	اصل الغرام نظرة
•	أد ما احبك	•	بستان جمالك
•	آهين وآه من العشق آه	•	عشنا وشفنا سنين
•	الحب أصله منين	•	انا يا بدر لم بانظر مثالك
•	على الملاح انت الامير	•	دواعى الحب تشغلنى
جهازكاه	صبحت من عشقك أبكى	•	بعد الخصام حبي اصطلاح
•	تبهك على اليوم	بيانى	من يوم عرفت الحب
•	النوم وعد	•	قده المياس
•	القلب سلم من زمان	•	عهد الاخوة
حجاز كار	غرامك علمنى النوح	•	حيث جميل
•	يا ما انت واحشنى	•	يا وصل شرف
حجاز	فؤادى من لحاظك	•	قل لى رايت إبه
عراق	لسان الدمع أفصح من يانى	•	قدك امير الاغصان
•	البخت ساعدنى وشفتك	•	ثلاثين يوم ما شفت النوم
رمل	انا أعشق فى زمانى	•	إن كان كده والا كده
نهوند	كادنى الهوى	•	ياللى معك روح الامل
•	كل يوم اشكى	•	حبي دعانى فى البستان
•	فؤادى رقيق يعشق	سيكاه	القلب داب
		•	فى البعد ياما

الشيخ يوسف المنيلاوي

وُلد المرحوم يوسف خفاجي المنيلاوي حوالى سنة ١٨٥٠ بنيل الروضة في القاهرة وحفظ ما تيسر من القرآن الشريف وأُف من حداثته الانشاد الذى اقتبسه عن الشيخ خليل محرم والشيخ محمد المسلوب ولما ظهر نبوغه في هذا الفن لما له من صوت حسن رخيخ ولين أشار عليه المرحوم عبده بترك الانشاد لممارسة الغناء فاندمج في سلك المطربين وأخذ عن « عبده » ومحمد عثمان « أدوارهما الملحنة وغناها على تحته الخاص واقطع عن الانشاد إلا في حفلات مولد النبي وتشيع الكسوة



في الوسط الشيخ يوسف المنيلاوي وعن يمينه محمد العقاد القانونجي وعن يساره ابراهيم سهلون وخلفهم
(٤) ابو كامل (٥) على صالح (٦) على عبد الباري

الشريفة وليالي شهر رمضان في منزل آل البكري فكان ينشد فيها الأدوار الخاصة بالذكر حتى إذا تمزق ستر الليل غنى القصيدة التي مطلعها

فَتَكَاتُ لِحْظُكَ أُم سَيُوفُ أَيْكَ وَكَؤُوسُ خَمْرٍ أُم مَرَاشِفُ فَيْكَ

وقد سافر إلى الاسكندرة سنة ١٣٠٥ هـ . وغنى السلطان عبد الحميد لأول مرة القصيدة

المشہورة التي مطلعها

تَهْ دِلَالاً فَأَنْتَ أَهْلُ لَذَائِكَ وَتَحَكَّمْ فَالْحَسَنُ قَدْ أَعْطَاكَ
وَلَكَ الْأَمْرُ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَعَلِي الْجَمَالُ قَدْ وَلَاكَ

وأنعم عليه بالنشان المجيدي وقد أعطى صوته سنة ١٩٠٨ لشركة عمر افندي وكتب على
اسطواناته لفظاً «سمع الملوك» وعبأت له شركة «جراموفون» سنة ١٩١٠ عدة اسطوانات
ما زال الناس يتداولون سماعها بالفونوغراف ومن طريق الاذاعة اللاسلكية الحكومية وقد اشترى
قطعة أرض بكوبرى القبة بنى عليها منزلاً جميلاً بجوار منزل آل السيوفى باشا وقضى نحبه يوم ٦
يونيو سنة ١٩١١.

ومن لطيف التكت أن أتحف
القارئ برواية طريفة تقال عن جريدة
الاتحاد العثمانى البيروتية التى نعت الشيخ
يوسف المذكور وذكرت بها ما يأتى بنصه:
أن بعضهم سمع فى الليلة الماضية صوت
الفقيد فى الفونوغراف ينشد قول الشاعر
« فلا كبدي تبلى » فقال سبحان الله
ميت يتكلم وقد بايت كبده وهو يقول
« فلا كبدي تبلى » فسبحان من أنطق
الجماد وأمات المتكلم وعلم الانسان ما لم يعلم.

الشيخ محمد الشنتورى

كان الشيخ محمد الشنتورى منشداً
عظيماً وهو أقدم عهداً فى الانشاد من
الشيخ يوسف الميلاوي ومعاصر للشيخ
خليل محرم وكان قوى الصوت ، حر
الخلال ومحبوباً من جميع الناس ، ثم
احترف الغناء على التخت وأخذ عن عبده الحمولى تلاحينه وأدواره الخاصة وأحسن غنائها حتى أشار



(المرحوم الشيخ محمد الشنتورى)

الأخير على أنصار الفن بأن يسمعه من بعده واستمر يزاول الانشاد مع الغناء وذهب الى الاستانة مرة وغنى في حضرة السلطان عبد الحميد فأسنى له العطايا وأنعم عليه بالنياشين .

محمد افندى سالم

بن سالم من قرآء القرآن وعاش نحو ١٢٠ سنة وكان يسكن في جبة المغربلين . واحترف الغناء لكثرة سماعه إياه من كل من محمد المتقدم وموسى اليهودي في ليالي الأفراح والحفلات وكان صوته حسناً ليناً ورناناً وكان يأخذ الأغاني عن المتقدم وعبد المحمدي ومحمد عثمان ويسبك أدوارهم سبكاً محكماً ويعتبر مغنياً جيد الاداء حسن الترتيب دون أن يكون فناناً وقد ذهب الى فلسطين في سنة ١٩٠٠ وغنى في يافا وغزة وأخذ بمجامع القلوب هناك وكان يعزف على العود ويعنى منفرداً وكان محمود الشائل .

امين البزرى

كان من أغنياء البلد ومن هواة الناي الذى تعلمه عن رجل اسلامبولي (مولوى) اسمه دادا



وتفوق على استاذة ولما قلب له الدهر ظهر المحن اضطر الى احتراف العزف فى الاعراس والحفلات وتزوج بانكليزية توفيت بعد أن خلفت له ولداً ذكراً وثلاث بنات وقد اعترف عبده المحمدي له بالعقرية فى العزف على الناي بدار الوجيه موسى بك عصمت نجل المرحوم جعفر باشا وقد حضر عثمان الموصلى الفنان المشهور الى مصر خصيصاً ليسمعه وهو فى حلوان ولما سمعه بمنزل عثمان باشا غالب الذى كان يحسن الى الموسيقيين ويعد من محبي الغناء العربي بعد أن أبطأ ونوَّط الروح تيهاً ودلالاً

دهش من مهارته التى أنسته ما حصل منه من تناقل وتباطؤ . (الاستاذ امين البزرى النايقي)

ابراهيم سهلون

تعلم الكمان عن حسن الجاهل الكجاني والربابي الذي طارصيته في الآفاق في العصر الذهبي لسكان الجنان الحديوي اسماعيل وكان والده المدعو سليمان سهلون قانونجياً معروفاً . واستمر ابراهيم يشتغل على تخت عبده زمنًا طويلا - (انظر صورته بتخت يوسف المنيلاوي)

محمد العقاد الكبير

ابن مصطفى العقاد الكبير العواد تخرج على والده ونبع في العزف على القانون نبوغاً لا يجاريه فيه أحد بما أوتي من روح وخفة أصابع وتزوج بابنة عبده الحمولي بعد وفاته ولما زفت اليه عروسه بدار باسيلي بك عريان بالفجالة كان طروباً فرحاً وصاح وهو على التخت قائلاً على رؤوس الاشهاد انه تزوج ابنة سيده ويعتبر أول العبقريين في العزف على القانون وأن كل من تصدّى لمجاراته من المحترفين المتلمذين ولو اعترف من فضائله بآء بالفشل المبين لأن المسألة مسألة روح واستعداد فطري وخلو الأصابع من الملوحة ودقة معرفة الدوزان وعاش ثمانين سنة ومما نطقت به شواهد الحال أن حفيده محمد العقاد سيكون له مستقبل باهر في القانون أسوة بجده ولو لم يرضى عليه في العمل أكثر من ست سنوات - (انظر صورته بتخت يوسف المنيلاوي)

عبد الحى حلمي

كان صاحب صوت قوى وعال وكان يغنى بروح قد لا توجد في كثير من المغنين وكان يغنى بحسب كنهه والموسيقى دوزان كما قال موزارت ويعرف في الأوساط الموسيقية بأنه مغنٍ غير فنان ، وكان الجمهور يلاحظ منه في أثناء العمل نزقاً وزهقاً يؤديان به غالباً الى مغادرة التخت والانصراف قبل نهاية السهرة وكان يذهب مراراً عديدة الى دار المرحوم باسيلي بك عريان ليسمع بالاسطوانات القديمة قصيدة « أراك عصي الدمع » التي ألهاها عبده الحمولي



(المرحوم عبد الحى حلمي)
المطرب الشهير

ابو العلا محمد

بدأ حياته بقرآءة القرآن ثم تدرج الى فن الغناء شيئاً فشيئاً ونبع نبوغاً تاماً فى القاء القصائد على طريقة المرحوم عبده المحولى الذى عنى بتقليده فيها وفى سائر أغانيه الساحرة وقد تخرجت عليه الآنسة أم كلثوم فى القصائد مثل وحقق أنت المنى والطرب . وقد عبثت له عدة اسطوانات فى بعض الشركات ومنها شركة الجراموفون التى عبات له فى سنة ١٩١٢ قصائد كثيرة مثل غيرى على السلوان قادر . وأفديه ان حفظ الهوى . ومواليا وخلافيا . وياملح الحلى لم يعزف على العود قط وكان غناؤه بادیء بدء مقصوداً على أصدقائه فى منازلهم وفى بعض الحفلات ولما اشتهر اسمه بعد تعبئة الشركات لاسطواناته اشتغل بالغناء على التخت وقفا إثر عبده غريد الشرق سيد المطربين فى بعض ألحانه

الموسيقى فن سماوى

.....

الحمد لله الذى خلق الانسان خلقاً سوياً وسخره لتسبيحه وجعله موسيقياً بارعاً وجعل الكون بمثابة أرغن يحتوى على أنابيب قوية ومزارد مكونة من الفضاء الفسيح اللانهائى والزمن والأبدية وحسبك ما أنشأه مبدع الكائنات فى الطبيعة من تناسب فى المسموع كالموسيقى المؤلف عادة من سبع نغمات تتوالى من القرار الى الجواب وتلذذ السمع وفى المنظور كالألوان السبعة الاساسية لقوس القزح التى تبهج النظر ولا تصل الى محاکاتها مقدرة الفن وتقسيم الزمن على قياس مضبوط وجعل أيام الأسبوع سبعة معدودة والأغرب ان الانسان إذا بدرت من صوته نغمة ما تلقفتها الطبيعة وتمهلت وتقرتها بأصبعها لتختبرها هل هى من الفت أم من السمين ولا ترد صداها موزونة متناسبة إلا بعد تنقيحها وتصحيحها وحسبك الانسان المخترع المبتدع الذى يعد أجمل المخلوقات صورة وأنضرها شباباً وأعدلها خلقاً وأصغرها حجماً وأحلاها صوتاً والذى استولى على مقاليد الطبيعة الطاغية بالأنعام وحاكى على ضعف جسمه وصغر حجمه ما لها من قدرة وجلال وجعل الأثير رسول خواطره وبريد نعماته

وانفعالاته وأصبح خدناً لها ومتسلطاً على جوها وبرها وبحرها حتى إذا وضع أنامله الصغيرة على مفاتيح الأرغن قصفت في العالم على أصوات متجانسة متناسبة ومتتابعة رعود متعددة تثير في الخليقة كلها ضجيجاً حماسياً يفضى بها في النهاية الى حاد الهتاف وحاد التسبيح باسم ربك الأعلى وإثباتاً لما قاله كارليل في أن الموسيقى مركبة للنوبة أبادر الى إيراد قصة النبي اليسع التي تدل صريحاً على أن المواهب النبوية يصحبها غالباً هياج جسدى وعقلى هو من القوة بمكان ويهبط الى الموسيقى وحدها في إنتاجه وذلك أنه لما دعاه ملوك اسرائيل الحلفاء ويهوذا وايدوم ليتخلصوا من مخاطر الحرب الناشبة بينهم وبين ميشا طلب منهم أن يأتوا له بموسيقى ليعرف أمامه على آله الموسيقية استحضاراً للروح الإلهام النبوى وقد شوهد ذلك جلياً بما ثارت في نفس اليسع من نزوة الانجاء النبوى عند ما سمع صوت الموسيقى التي بواسطتها تمت لهم جميعاً أسباب النجاة من ويلات تلك الحرب الضروس .

ومما لا شك فيه أن سفر التوراة يعد أعظم الأسفار الشعرية طلاوةً وأصفاهاً ديباجةً في عالم البديع وأكثرها احتواءً على الموسيقى صوتيةً كانت أو وترية وحسبك ترنمة الانتصار والشكر التي رنمت على ضفة البحر الأحمر (اصحاح ١٥ خروج من ١ إلى ٢١) وهي التزم للرب لأنه تغلب على فرعون وجنوده حينئذ رسم موسى وبنو اسرائيل هذه التسيحة للرب وقالوا « أرغم للرب فته قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر » ولا يعزب عن البال ان سفر العهد الجديد يحتوى على مثل هذه الثروة الفنية على حد ما جاء في رومية ١٥ : ١١ « سبحوا الرب يا جميع الأمم » من أفواه الأطفال والرضع قد هيأت تسييحاً « سبحوا الرب بالمزامير والقيسارة »

وقد جاء في القرآن الكريم ما يأتى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » وفي سورة الحديد « سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وخاطب النبي الله سبحانه وتعالى وقال « فسبح باسم ربك العظيم » وفي سورة المزمل « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أورد عليه ورتل القرآن ترتيلاً »

وعند قراءة القرآن فقد قال رسول الله (صلى) حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً وكان داود عليه السلام يقرأ مزاميره باللحان حتى أن بعض الطيور كانت تقع وتموت من شدة الطرب لأنه كان حسن الصوت وكانت أصوات الأنبياء كلها حسنة ذهاباً إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبياً إلا احسن الصوت والمزامير وقد روى عنه أيضاً صلى

الله عليه وسلم «قد أوتي زمزماً من زمزيم آل داود» وقد اتخذ بلال الحبشي (الذي كان أول من اعتنق الدين الاسلامي) مؤذناً له لما وجد فيه من حسن الصوت فكان يقول له 'أذن يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً'

على أن مارتن لوتر اللاهوتي القدير والزعيم الكبير فقد أبان للملأ الوظيفة المهمة التي تؤديها الموسيقى في المجتمع من الإلانة الطباع وتهذيب الأخلاق وتسكين الهياج وقال على رؤوس الأشهاد ما يأتي . اني أفسح بكل سرور للموسيقى بعد علم اللاهوت المكان اللائق بها « ويستنتج مما تقدم أنها لغة الأنبياء وينبوع العواطف النبيلة بل هي فن سماوي ومن ظن أنها ألهية يتلّى بها قتلاً للوقت وعدّها اداة للسخرية فهو في ضلال مبين ومن اعتقد أنها مفسدة للأخلاق ومؤذنة بخراب العمران ويمكن الاستغناء عنها فهو أضل سبيلاً

فعلينا أن نتأمل ما نراه جميعاً ماثلاً أمام أعيننا في الطبيعة من ثروة الجمال المدهشة وفي مختلف مناظرها من الروعة والبهجة والسحر ما يعبر لنا عن دقة صنع الخلاق العظيم والانسجام الموسيقي والتناسق والتناسب بما نسمعه من هدير مياه الأنهار ومن حركات المدّ والجزر ومن حفيف الأشجار وتهديدات نسيم الأسحار وصياح البلابل وهطل الويل والطل وهبوب الرياح ونفثات الكواكب عند سيرها المتناسب في أفلاكها المتنوعة حول الشمس - تلك النفثات التي تختلف باختلاف حجم كل كوكب وتفاوت درجته الاهتزازية عند اجتيازه الأثير - التي تكون إيقاعاً متناسباً لا يعرف كنهه على وجه البسيطة ويكنى بموسيقى الاكوان وقد صدق الدكتور فيربون فيما قال : وهو أن الطبيعة طافحة بالاصوات الموسيقية

الفوارق

بين بهوفنم الغرب وبتهوفن الشرق

تقدم لي في هذا الكتاب شرح مستفيض عن حياة عبده المحولي ويان المزايا التي اختص بها وما اتّابه من محن وأمراض على قدر ما أدى اليه البحث وأعانت عليه البصيرة وإثباتاً لما ذكره المرحوم ابراهيم بك المويلحي في مصباح الشرق من أنه قلما يوجد مثله من يحسن في صناعته ولا يسيء في

أخلاقه وتسهلاً على القاريء معرفة الفوارق بينهما لتمد المقارنة ويصيب بحكمه وجه الصواب أنشر موجز ترجمة حياة بتوفن معرباً عن تاريخ حياته بقلم سليفان وهو كما يأتي :

ولد بتوفن في مدينة بون (ألمانيا) سنة ١٧٧٠ وتوفي في ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧ وله عدة مؤلفات أذكر منها الصوتات والكوارتر والسفونيا فيديليو ذات الألحان المسرحية (Quar. ets. Sonata Symphonies)

وغني عن البيان أن مامن أحد من الموسيقيين يستطيع أن يجاريه لافي دقة التعبير ولا في عمق الشعور . وقد أصيب بمرض

الاستسقاء الذي من أجله عملت له

أربع عمليات . وقد وصفته أحسن

وصف اليزابيث برينتانو (١)

نلشاعر جوتا بخطاب مؤرخ في

٢٨ مايو سنة ١٨١٠ ذكرت

فيه ما قاله عن نفسه ملخصاً وهو

كالاتي : « إن نفسي تذهب

حسرات بكل تأكيد عندما

يقع بصري على أشياء تخالف

عقيدتي وأعد هذا العالم أحقر

من قلامة ظفر لأنه لا يستطعن

كنه الموسيقى التي تسبق الحكمة

والفلسفة من وجيتي الإلهام

والوحي وتعتبر خمرًا تعبق

أنفاسها بشخص تحفهز إلى بعيد

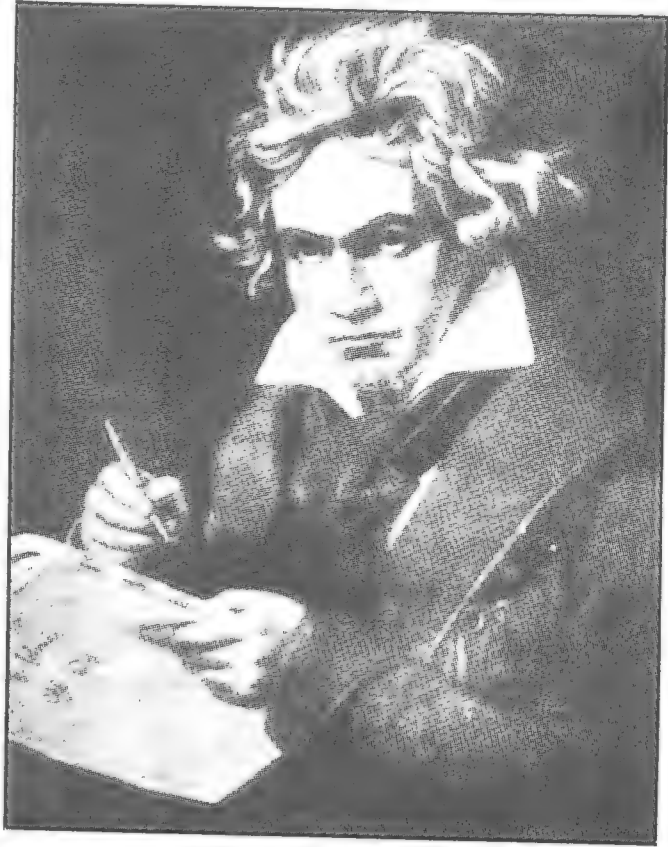
المدارك وتحته على التزام المناهج

المفيدة المنتجة وطالب الأقدار

(بتوفن نابغة الموسيقى الغربية)

الخطيرة وهانذا باكوس إله الخمر للرومان الذي يعصر أحسنها ليشربها بنو الإنسان صرفاً فتمشي

(١) ويمزى هذا الكلام الفصيح إلى الراوية لعدم الملاءمة بصناعة الأدب)



فيهم الحياً تمشياً روحياً يبعثهم على جلب ما عثروا عليه في البحار الى الأرض اليابسة بعد أن يفتقوا من نشوتها « وقال أيضاً في موضع آخر « يجب على أن أعيش وحيداً لأنني لا أجد لي صديقاً أخلص له ولائي وأفضي اليه بحبيته سرى وأني لعلني يقين بأن الله أقرب اليّ من أي فتان وهو شريكى بلا وجل فلا خوف إذن على موسيقاي من أن ينالها حيلة محتال أو تصاب بسوء الطالع وقد أتى على وصف الموسيقى بنوع عام وعرفها كأداة للتفكير وصلة موثقة العرى بين الحياة الروحية والحياة الجسدية »

أما ما كان من أمر عقلته فاذا ذكر أنه كان يستشهد بأقوال أبطال اليونان والرومان في أقاصيصهم الخرافية وكان سرف العقل لا يستقر على حال كريشة في مهب الريح بدليل ما يطلع عليه القارىء في الخطابين المتابعين المرسلين منه لشخص واحد واليك نصهما بالانكليزية

(1) Do not come to me any more. You are a false fellow, and the knaker take all such.

(2) Good friend Nazerl.

You are an honourable fellow, and I see you were right. So come this afternoon to me You will also find Schuppen-zigh, and both of us, will hump, thump and pump you to your heart's delight.

ومعنى أولهما يقول له « لا تعد تأتي اليّ لأنك شخص كذوب فليأخذك وأمثالك ذباح الخيل الضعيفة

وفي ثانيهما يقول : صديق الطيب نازرل

أنت رجل معتبر واني أرى أنك كنت محقاً ولذا تعال اليّ بعد ظهر اليوم حيث تجد أيضاً شوبانزيج لكي نمرح ونطرب ونعزف معاً بما يشرح صدرك ويقر ناظرک »

وقد كانت لموسيقاه عدة نواحي مختلفة منها الناحية الروحية التي عبرت بها عن رؤيا الحياة على حد ما دلت عليه تأليفه الأخيرة مما وقع فيه من تجارب ومحن وأصابه من آلام كانت من أهم البواعث على نمو حياته الداخلية وأكسبته قوة عجيبة نادرة ووسمته بطابع الجلال الذي به عبر عن موسيقاه تعبيراً أنصع بياناً من تعبير شكسبير ولو تخير من المنظوم أحسنه شيئاً وأمتته جبكا فنشر في

تاريخ الفن صفحات من آيات العبقريّة المجيدة ويرجع الفضل في ذلك الى أنه لم يعبأ في تعبيره بأى لفظ من طريق اللغة التي ليس له بأصولها خبرة بل كان ياجأ الى النغاث وحدها ليبر عن شعوره وأفكاره وميوله

على أنه لما مات والده في سنة ١٧٩٢ ترك له أخوين هما كارل وجوهان وأختاً تسمى مرجريت ماتت بعده في شهر نوفمبر من السنة نفسها زادت مسؤولية بهوفن في حياته المرّة المؤلّة لأن والده لسوء سلوكه وادمانه الخمر لم يترك له مالا وقد تلقّن دروسه الموسيقية عن موزارت في مدينة فينا ابتداءً من سنة ١٧٨٧ وما كاد يبلغ السادسة عشرة من سنه حتى عرف نفسه وتحقق من عبقرية وكان فظ الطباع مكروهاً من الناس لاسيما من الجنس اللطيف حتى أن ماجدلينا إحدى المغنيات وزميلته في الدرس لما طلب يدها سنة ١٨٩٥ رفضت طلبه وبعد موزارت تلقى دروساً أخرى على هيدن وشتيك وألبركستبرجر وأخذ ينتقد القواعد التي جروا عليها وسلق جميع الموسيقيين بالسنة حداد واتبع خططاً خاصة به نزولاً على نزعاته وذوقه وميوله وسما بنفسه تيمناً واستكباراً إلى أن أصيب بالصمم في سنة ١٧٩٨ وكتب إلى امندا صديقه كتاباً في أول يونيو سنة ١٨٠١ قال لها فيه « أنه سيء الحظ وأن في صدره وغراً شديداً على الطبيعة وعلى الخالق الذي يعرض مخلوقاته للحوادث التي فيها تتلف أجمل البراعم وبسبب صممه اقتطع عن مقابلة الناس عدة سنين لأنه لا يقدر أن يقول لهم أنه أصم لا يسمع ولو كان محترفاً مهنة أخرى غير الموسيقى لكان الأمر لكنه حُرّم السمع وبالتالي نصب معين مرتزقه فأنعدمت حياته وقضي على مستقبله قضاءً مبرماً وأردف قائلاً لها في ختامه ومستطرداً في وصف مصابه الهائل : أنت تعلمين أن أعدائي يشمتون بي وكثيراً ما هم ولو أمكن لي الانتقام من سوء الحظ لقبضت على حلقه بكائتا يدي » وبدهي أن صممه جعله أبغض الى الناس من قبل وأحقد من جمل حتى على ذوي قرابه إلا ابن أخيه الذي كان ولي أمره ولم يعلق قلبه بحب سواه منذ وفاة والده وكان محتفظاً بعدة أسهم لحسابه الخاص ولم يمد اليها يده حتى في ابان اشتداد مرضه عليه اهتماماً بشأن تربيته وعمد إلى جمعية محبي الفنون والطرب في لندن فأسعفته مع صديق له بمبلغ مائه جنيه صرف منها جانب على جنازته وكان ذلك العبقري المسكين يقول لطبيبه فيرنج الذي ضاعت حيلته في شفائه : آه يادكتور لو كان يوجد بين الأطباء الفطاحل من يستطيع أن يشفيني لاسميته بالطبيب العجيب وقال قبل أن يلفظ نفسه الأخير « ان عمل يومى قد انتهى » وقد رآه المجتمعون حول سريره يحرك قبضة يده نحو السماء بينما كان فاقد

الشعور وهو في سكرات الموت وغمراته وليس أدل على ذلك من ذهاب نفسه شعاعاً وعدم رضوخه لأحكام الله وعظيم ثقته بنفسه التي لم يقهرها سوى هادم الآلات دون ثقته بمن أنشأنا من الأرض نَسَمًا ويسر لنا منها أرزاقًا وقَسَمًا . أما فقيدنا عبده المحولي إذا قيس بيتهوفن في العقيدة والرجاء . كان الفرق بينهما كالبعد بين الأرض والسماء . لأن الأول كان أصبر منه على محن الزمان فأدرك نعيم الجنان وآمن بالله في الحياة وفي الممات وثبت على طاعته في وسط أمراضه وآلامه وكان عظيم الرجاء . بأنه سيبليغ الارث في الآخرة بتركه في الدنيا ما يجب فمات وقلبه مليء بالرجاء . وعلي فمه ابتسامة رحمها الله أوسع الرحمات »

سلامه حجازی

ولد الشيخ سلامه حوالي سنة ١٢٧٨ هـ . بالاسكندرية وبعد أن تعلم مبادئ الكتابة والقراءة اشتغل بمن الانشاد على الأذكار ثم تدرّج إلى احتراف الغناء التمثيلي فوق المسارح وانضم إلى فرقة اسكندر فرح حيث بهر العقول بصوته الفتان وكون بعد أن انفصل منه فرقة خاصة به وقام بتمثيل روايات نسج أبراد معظمها المرحوم الشيخ نجيب الحداد الذي عرّب ثلاثة أرباع الروايات التي مثلت فضلاً عن روايات خطية لم يفسح له أجله باتمامها وطبعها .

وسافر في سنة ١٩٠٨ إلى حلب حيث تقابل مع الأستاذ المرحوم انطون الشوا وطلب اليه أن يقدمه لبعض العائلات الوجيهة فيها لأجل التعرف بها وطلب أيضاً أن تعرض عليه رقصة السماح التي اشتهر بها الحلييون فشاهدها وسمع تواشيح من مقام المعجم التي يندر وجودها في مصر . فلما أعجب بها تلقف وصلة جميلة منها وكلف كلاً من محمود رححي واحمد فهمي بتدوين ما سمعه في حلب من تواشيح جميلة .

وكان على اتصاله برجال الأدب الذين استمد منهم خلاصة ما عرّبه من روايات دائماً على اقتفاء أثر عبده المحولي وموفقاً بالاهتداء اليه بواسطة جمعه المطيب الذي كان يطلعه على برامج حفلاته الغنائية ليستقي من بحره بعد إنهائه عمله المسرحي . وقد روى لي الاستاذ داود حسني أن دعي عبده وسلامه حجازي والسيدة ليلى خياط للغناء بدار الأوبرا في ليلة خيرية فابتدأ الشيخ سلامه

بالقاء قطعة غنائية تمثيلية أطرب بها الحضور وتلته ليلي المذكورة وغنت على تحتها بمساعدة شقيقتها
« كقانونجية » ونالت الاستحسان ثم صعد عبده على تحتها المكون من كل من الليثي والعقاد وسهلون
واحمد حسنين وبركات وغنى مذهب رصد تلحين محمود الحضراوي الآتي بيانه .

مذهب	قلبي في حبك ليه مشغول	من يوم رأيتك وعرفتك
دور	أطلب وصالك وافضل أقول	بالست زينب حلفتك
	دا يصح منك يا جميل	تلوف بغيري وتهجرني
	وانا بحبك صرت عليل	وحياة جمالك ترحمني

فكان يكرر « يا جميل دا يصح منك تلوف بغيري . . . » مطلقاً صوته في الفضاء إلى أن بلغ



﴿ فقيده التمثيل والطرب المرحوم الشيخ سلامه حجازى ﴾

أقصى حد ، ثم أخذ
ينحدر رويداً رويداً
إلى أن بلغ القوار
حيث أقفل دوره
على المقام بقوله « دا
يصح ياسيدى منك »
وما كاد يرتكز على
« القفلة » ويرسخ
رسوخ الطود على
آخر العبارة « ياسيدى
منك » حتى فتن
العقول وأحرز خطر
السبق عليهما :

وقد تفضل على حضرة النابعة الاستاذ خليل مطران ببيان موجز عن الفرقة التمثيلية في مصر جم
الفائدة وحري بالاعتبار آثرت إيراده اتماً لما ذكرته بأول كتابي في باب التمثيل وتنويراً للأذهان

فاني أشكره على جميل صنعه وأسأل البارئ أن يكمل أعماله في الفرقة القومية بالنجاح لتبلغ الشأو الذي يصبو إليه قلبه الطاهر ويستحقه مجهوده العظيم . واليك البيان

الفرق التمثيلية في مصر

بيانه موجز

ان كان في التمثيل العربي تأخر قامت الفرق التمثيلية المتتابعة في مصر لتحاول أن تدرأ عن وصيته فمن العدل أن لا ننسى أننا مازلنا في طفولة الفن وان الذين يعالجون التقدم به يعالجون في آن لغة ليست مستعارة من الجمهور فيسهل عليه فهمها وتبين وقائعها بل هي مستعارة له من شعب آخر كانت عيشته وبيئته وخالقه غير عيشتنا وبيئتنا وخالقنا وناهيكم بهذه العقبة من عقبة كؤود . ثم هم يعالجون موسيقى لا شيء فيها يصلح للعزف الجهورى ولا للنفات تسير بها الجيوش وتسمعها الآلاف من الناس . ثم هم يعالجون حركات ورموزاً قد اختلط شريقها بغريبها وليس بميسور تمحيصها إلى حين فلنصابر العالمين منا ولنعاونهم كل بقدر مجهوده ذلك خير وأبقى من تغطية قصورنا بالتشدد والتشدد فيما لا يدرك إلا بميقاته من المطالب . وانني لمورد بايجاز منشأ التمثيل في هذه البلاد ومنه تنبئ أين نحن من الطريق وما الذي يبقى علينا اجتيازه للدنو من الشأو ان لم أقل لبلوغه . على أن تاريخ الفن عندنا إنما هو تاريخ الفرق التي تولته وتوالت في القيام به . فأول من خطر له ادخال هذا الفن في لغة الناطقين بالضاد وهو المرحوم مارون النقاش لحسين سنة مضت أو نيّف جمع فرقة من الشبان الذين استصلحهم في بيروت وعرب لهم روايات البخيل والحسود وأبى الحسن المغفل تعريفاً جاء أشبه بالتأليف لحسن تصرف الرجل فيه مراعاة للذوق العربي ولم تقدم تلك الفرقة هذا القطر ولكن شدة الاشتراك المتصل بين الشام ومصر ولا سيما منذ ابتداء هذا العصر لا تدع فرجة للفصل بينهما في تاريخ الأدبيات والمعنويات . ففرقة مارون النقاش لبثت حيث نشأت إلى أن انحلت ولكن رواياتها البخيل والحسود وأبا الحسن المغفل جابت التخوم إلى وادى النيل وما برحت من لهجات مسارحنا إلى هذه الأيام أعقب مارون قريب له معروف بين اديباء المحروسة في زمانه هو المرحوم سليم النقاش وسليم هذا أول من أنشأ فرقة للتمثيل بمصر باتفاق بينه وبين الحكومة اوجبت على نفسها بقتضاه امداده بال والترخيص له في استخدام الأوبرا زمناً معلوماً لتمثيل رواياته وأشهر

تلك لروايات « مي » « المقامر » « وعائدة » ثم اندروماك وهذه بقلم أقدر أدباء وقته وأشهر خطبائه المرحوم أديب اسحاق

انحلت فرقة سليم تقاش بعد حين ونهض المرحوم يوسف خياط بتكوين جماعة أخرى يساعده أخوه المرحوم انطون خياط ، ثم تلاهما المرحوم سليمان القرداحي فجمع جماعة لم تقصر تمثيلها على مصر بل تنقلت بين الشام وطرابلس غير مرة ورأت أهل الغرب العربي أشياء من روائع هذا الفن لأول ما رآوها . فى أثناء تلك المدة كان المرحوم ابوخليل القباني قد أخذ يجمع فرقة بدمشق الشام وطلق بوحى فطرته يخلق للعرية نوعاً جديداً من التمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج بالأوبريت وأبدع ضرباً حديثاً من الابداع يسميه الغرييون „ballet“ (باليه) واسمونه عندنا وقص السماع فصادف النجاح الذى كان به خليقاً عند السواد الأعظم . حمل ابوخليل بعد قليل فرقته إلى مصر ، ومصر يومئذ كعبة القصاد من فاقدى حرية القول والكتابة فى بلادهم بل فاقدى كل نوع آخر من أنواع الحرية العمومية والفردية ، فشرع يعرض مالىديه والأمة فرحة مقبلة عليه .

وفى تلك الأيام عينها كان المرحوم اسكندر فرح وفى فرقته المرحوم الشيخ سلامه حجازي يبلى البلاء الحسن ليجلب الجمهور ويستمد للنوع الذى آثره ما يعربه بعض أقطاب الأدب فى ذلك العهد كالمرحوم الشيخ نجيب الحداد والمرحوم أخيه الشيخ امين والشاعران النثران المرحومان طانيوس عبده والياس فياض ، على أنه قد تخلل روايات هذه الفرقة ما دل على حالة لوتهميات لكانت الأمة أرغب فيها وأميل اليها : من تلك الروايات « انيس الجاليس » « وصدق الاخاء » للمحامى الشهير المرحوم اسماعيل بك عاصم .

بعد ذلك تلاشت فرقة المرحوم خليل القباني . وقد سمعت من نادرتي زمانهما المرحومين عبده وعثمان انه على توسط صوته كان اكبر أساتذة الموسيقى علماً وانشاء وبراعة إيقاع . ثم انفصل الشيخ سلامه من اسكندر فرح واسس فرقته التى لقيت النجاح العظيم والفضل فى ذلك لهمة الشيخ وثباته وسخائه وخصوصاً لاحداثه الحائناً شائقات وتطبيقه إياها على قصائد مما تقوي به أغراض الرواية فى القلوب والأذهان نهاية قوتها ويستمد به الخيال من ظاهر الحقيقة غاية التشويق والتطريب . فى هذه الفرقة تخرج غير واحد من مهرة الممثلين الذين يصفق لهم الجمهور الآن وفيها رأينا للمرة الأولى ظهور الاخوة المكاشيين وأخذهم بهذا الفن ذلك الأخذ الذى تطرقوا معه إلى تأليف فرقهم مستقلين ثم دخولهم فى شركة ترقية التمثيل . وقد قامت إلى جانبهم آنذ فرقة الاستاذ جورج ايض ثم فرقة الشيخ

سلامه بعد اعتداله وايض ثم فرقة ايض مستقلا للمرة الثانية كما قامت فرقة الاستاذ عبد الرحمن افندى رشدى على أثر انفصاله من فرقة ايض وفى خلال اشتغال هذه الفرق وبعد أن وال بعضها وجدت على الولاء فرقة الاستاذ يوسف وهبى وكلتاها ابلت بلاء حسناً فى سبيل الفن وأصاب حظاً من الازدهار . ثم فرقة السيدة فاطمة رشدى ثم آل كل أولئك إلى التحول والشتات إلى أن وجدت منذ نصف عام الفرقة القومية المصرية

هذا ما رغبت اليّ فى إنجازهُ أوجزته بقدر ما بقي فى ذاكرتى وأرجو الله ألا أؤاخذ ان كان قد وقع سهو أو خطأ ؟



أقوال وآراء للعلماء والشعراء والفلاسفة والأطباء

قال كرميل : « الموسيقى ضرب من الكلام غير المنطوق به وغير المحدود وهى توصلنا إلى حد الانهائية وتصيرنا ننظر ملياً فى ذلك مدة من الزمن ومن ذا الذى يستطيع أن يصف بألفاظ منطقية مبلغ تأثير الموسيقى فى نفوسنا . فلندعيا تبقى لغزاً وذلك خير من أن نحله وتضيع الموسيقى سدى » وقال فى موضع آخر ما محصله « قد قدرت الأمم العظيمة الغناء والموسيقى قدرها باعتبارها أعلى مركبة للعبادة والنبوة وسائر ما يكون سماًوياً فى نفوسهم »

قال شكسبير : الشاعر الكبير زاجراً الذين لا يهتزون للموسيقى ولا يقيمون لها وزناً « إذا خلت نفس انسان من الموسيقى وانعدم تأثيره من اتحاد الأصوات الرخيمة كُتِبَ عليه أن لا يصلح إلا للمخادعة ونصب الحبال للناس والاضرار بهم فتخور عزيمته وتموت مشاعره وتظم عواطفه كالليل الدامس ويكون غير أهل لأن يخلد اليه بالثقة »

قال مؤرخ المانى عظيم : « إن عزف المرسلياز فى الحرب أثار فى نفس الجنود الفرنسيين حماسة وشجاعة وكانت سبباً فى قتل خمسين ألف المانى على حد ما قال بروس الرحالة من أن الناي الحبشي إذا عزف به فى ساحات الوغى كان باعثاً على تحميس الجنود الأحباش الى حد الهوس والجنون »

قال بوسيه : المؤلف الفرنسي الكبير مؤكداً أن ضابطاً من الضباط في الباستيل كان يخرج للعيان من مخابئها فأراً وعناكب كلما كان يعزف على الناي فكانت مجلبة للتسلية في وحشته وكذلك الاسماك عند صيدها فأنها كانت عند سماع صوت الموسيقى تصمد وتتكاثر على سطح الماء

قال غودستونه : « ان الذين يعتبرون الموسيقى من بين السخریات في هذا الوجود ويتخذونها آلة يتلوهون بها هم في ضلال مبين لما أنها لا تزال بعد من العوامل الفعالة في تنشئة وتنبیه وضبط عقل الانسان بناء على ماتسومع به في جميع العصور منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا ولم تكن معرفتها خافية علينا يوم تقفن الناس في مذاهب الحضارة والعمران وارتضعوا افلاويق العلم والعرفان بل كانت بعكس ذلك أرفع من أن تكون خادمة لا تتخطى مراسم من يلبو بها هزواً وسخرية وأبعد عن الدعاية كل البعد بدليل أن الصلة بينها وبين فن الشعر الشريف موثقة العرى إذ أن من المحال أن يكون الانسان شاعراً دون أن يكون موسيقياً وما من شرتم نظمه في المراحل الأول لهذا العالم إلا وكانت الموسيقى اليد الطولى في صوغه من خالص النضار واحتوائه على لطيف الحس وشريف الوجدان فضلاً عن أنها المرشد الأمين والسراج الوهاج الذي يضيء النهج الموصل الى قلب الانسان

قال ريفيسنر : « يمكننا بواسطة الموسيقى أن نستبطن كنهه أمور لم يسبق أن رأيناها ولن نراها »

قبل عن كلمنصو : ما يأتي « سأل كلمنصو رئيس وزراء فرنسا الأسبق بتروفسكي رئيس وزارة بولونيا المشهور بالعزف على البيانو عندما دخل ميدان السياسة قائلاً له : هل تركت الموسيقى ودخلت السياسة ؟ فأجابه نعم . فرد عليه كلمنصو وقال له « ياله من تقهقر »

السراج الوراء : أنشد السراج اليتيم الآتين

إذا خمدت نيران صفوك فاعتمد لاشعالها خساً غدت خير أعوان
فراح وريحان وساق مهيف ونعمة ألحان وصحبة اخوان

رأى هولمز العلامة : مر هولمز منذ سنين مضت بين قبور الموتى بناحية « سانت أوبرن » فوجد على رخامة ضريح العبارة الآتية "She was so pleasant" التي معناها « كانت جذلة بهذا المقدار » وبعد أن تأملها هنيهة غلبت عليه نشوة الطرب وصفق يديه لأن هذه العبارة الوحيدة أوحى اليه ما كان في نفس الراقدة من موسيقى وبهجة وغبطة وسلام ورضى وأخلاقاً كريمة مما لم

ترك مزيداً مستزید واردف قائلا : كم يمكن أن يصنع من الخير في البيت وفي الجماعة إذا كان قلب الانسان فرحاً مسروراً وكم تطف الموسيقى ما بالعيش من مرارة وكم تزيل من صعوبات وتحمل من معضلات في طريق الحياة الشائك . ومما هو جدير بالاعتبار أن فضائلنا يجب ألا تبلغ أقصى حد من جد يكاد يخرج الى الجفاء وأن تكون صفات فروستنا على ما تكنه من قوة وغنف محتوية على نعمات حنان لطيفة ومودة وصفاء حتى نجعل منها دواءً ناجعاً في دفع أسوأ الحياة إذ بدون الموسيقى كما لا يخفى لاتلین العريكة ولا تنكسر حدة الغضب وبها يفيض قلب الانسان بالحب لأخيه الانسان وكل مخلوق حي

ومما يحسن ذكره تقلا عن الضياء (ليازجي) أن طبيباً أمريكياً يقال له ليونار كورننج قد زاول معالجة الامراض بالنغم وطريقته في ذلك أن يضع العليل على وسادة مستقيماً على ظهره ويظله بخيمة لامنفذ فيها فيكون ماتحتها مظالماً ويجعل في رأسه كمية من جلد لين قد نيط الى جانبيها مسمعتان يجعلهما على أذني العليل ويتصل بهما سلكان يفضيان الى فونوغراف ويرسل عند أسفل الوسادة حجاباً أبيض يستقبل عليه صور أشباح مختلفة بواسطة الفانوس السحري فإذا تم اضجاعه على هذا الوجه أعمل الفونوغراف ووجه الفانوس الى الحجاب فيسمع العليل أنغاماً لطيفة وتترادف أمامه صور الأشباح والالوان البهيجة وتوارد هذه المؤثرات على سمعه وبصره لا يلبث أن يدب النعاس في عينه ثم ينام نوما هنيئاً يتخلله أحلام طيبة ومناظر جميلة ويقول الطبيب المذكور أن تكرار مثل هذا على العليل مرات قليلة يؤدي الى الشفاء .

وأقدم ما يروى من ذلك ما كان من أمر شاول ملك بني اسرائيل حين تخبطه روح السوء وكان داود يضرب له بالعود فيجد روحاً (بالفتح)

وقد تقل عن اوميروس وبلوطرخس وتيوفرس أن الموسيقى تشفى من الطاعون والرثية ولدغ الهوام وزعم قوم من المتأخرين منهم ديمبروك وبونيت وكرخر أنها تشفى من السل والكلب وذهب غيرهم الى أبعد من ذلك وزعم بورتا أنه إذا اتخذت المعازف من خشب بعض العقاقير الطبية وضرب بها على سماع العليل فعلت فعل العقار نفسه . اهـ



محدثى

مع صاحب المعالي سفير ذو الفقار باشا كبير الامناء

تحدثت الى معاليه صباح الاربعاء ١٠ يولييه سنة ١٩٣٥ بالسراي الملكية بشأن حياة عبده الحولي صديقه الحميم ، ورجوته بأن يرفع الى الأعتاب الملكية ملتسمي الخاص باحياء ذكره يوم ١٦ منه تحت رعاية جلالة الملك لأنه أكبر موسيقى أنجبته مصر فاعتذر الى من ذلك لأسباب لا محل لذكرها في هذا المقام. وقد أفضى بنا الحديث الى ذكر بعض نوادره التي غلبت على الحكايات الخرافية ومن ضمن ماقصه معاليه على ذكر الواقعة الآتية ، وهو أنه حينما ظهر دور « قد ما احبك زعلان منك » وقد أعز عبده داء ذات الرئة وأضرب بسببه عن الغناء نزولا على مشورة أطبائه الذين وضعوا بحلقه ملمعة طيبة تسهلا للتنفس وقد اتفق أن جمعه وعبده مجلس أنس على ظهر ذهبية فخمة في النيل فرأى عبده من بهجة وابتسام الطبيعة وتهدات النسيم العليل ماحله على التصدي للغناء لكي يستمتع صديقه ومن كان معه بصوته قبل الفراق . فعمد الى رفع الملمعة من حلقه وأخذ يغني الدور المشار اليه ولما اعترض عليه الحضور رافة بحاله لم يقلع عن عزمه على اتمام الغناء حتى إذا ما أراد « قفل » الدور ضم الى صدره لضعفه عمود صاري الذهبية . فهل يوجد أدل من ذلك على مبلغ تضحيته وتفانيه في خدمة الناس ؟ ثم استطرد معاليه الى الكلام عن سخائه وفنه وعبقريته بعد أن دخل علينا الهمام صاحب العزة محمد بك حسين الامين الثاني وجلس بجانبه فقال لي أنه لم ير طيلة حياته بين الباشوات في مصر أكثر منه تبرعا بعتاء ولم يخلق قبله ولن يخلق بعده من يجاريه في فن الغناء وقوة الصوت . ومكث يقص علي عن كرمه ورقة عواطفه حديثا أشد تغلغلا الى الكبد الصديا من زلال الماء . وبعد أن دعوته وحضرة محمد بك حسين الى تشريف الحفلة التأينية التي قمت باحيائها بدعوة مني على مسرح حديقة الأزبكية انصرفت شاكرًا لمعاليه حسن استقباله لي وتفضله بالتحدث . الى عنه بما سرى عن خاطري

وقصدت مساء السبت ١٣ شهره بناء على موعد تحدد الى مكتب حضرة الاستاذ الكبير صاحب العزة ابراهيم الهلباوي بك بمنيل الروضة وطلبت اليه أن يلقي كلمة عن الفقيد في الحفلة التأينية ظنًا مني أنه من معاصريه وعشرائه فاعتذر لي وقال أنه لو كان يعلم شيئًا عنه لما تأخر عن الخطابة كما

فعل من يومين مضيا في تأبين المرحوم الشيخ محمد عبده الذي كان متصلا به لوحدة عملهما في معهد الازهر . وأردف معرباً عن استحالة تعرفه به لما كان له من شخصية بارزة لا يوصل إليها ، فشكرت لحضرتة صراحته وانصرفت

ولما وصلت الى مكتبي اتصلت تليفونياً بحضرة الاستاذ محمد رفعت وشرحت له الموضوع ورجوته أن يتلو ما يتيسر من الآي الكريمة عند افتتاح الحفلة مساء ١٦ يوليو الماضي فأسف جد الأسف لارتباطه في نفس الوقت بالعمل في محطة الاذاعة وسألني عما إذا كان يمكن ارجائها الى الليلة التالية فافهمته عدم امكان ذلك لتوزيع تذكار الدعوة للجمهور والتنويه بها رسمياً على صفحات الجرائد ، ثم قال معجباً بعقيدة الفقيد مامؤداه « ان عبده كان سيداً على الموسيقى أما المطربون السابقون واللاحقون فهم جميعاً عبيد لها »

مشاهير رجال الموسيقى

الاستاذ سامي الشوا

ولد الاستاذ سامي الشوا في حلب سنة ١٨٨٩ وبعد أن تعلم مبادئ الكتابة والقراءة في مصر ترك المدرسة لضعف صحته وعكف على تعلم الكمان منذ نعومة أظفاره . ولا غرابة في ذلك كما أن المرحوم انطون الكبير عم جده الياس كان يعزف على الكمنجة الصغيرة والكمان الأكبر حجماً منها المسماة : *viola d'amour* ذات السبعة أوتار وهو أول الحليين الموسيقيين الذي عزف عليهما في حضرة ابراهيم باشا بحلب وأن أهل حلب ولعنوا بالطرب كل اللوع ويحفظون التواشيح والاوزان والقذود وقد لا يخلو بيت فيها من ذوي الأصوات الحسنة أو من الآلات الموسيقية . ويرجع السبب الرئيسي في فسيح خطواتهم في الموسيقى الى أن حلب كانت قبل فتح قنال السويس محط رحال التجار والسياح من أعاجم وترك ووتر وأرمن وكانت نقطة اتصال بين مختلف الشعوب وكانت التواشيح العربية تترجم الى اللغتين الفارسية والتركية وبالعكس وكان فتح قنال السويس في سنة ١٨٦٩

ضربة قاضية على تجارة حلب لما أن البضائع التي كانت ترسل إليها فتحملها القوافل براً الى نواحي العراق وبلاد العجم لا بد أن ترسل بعد ذلك بحراً عن طريق السويس ثم البصرة ومع ذلك كله لا يزال ديدنهم الغناء ومذهبهم رقص السماح والترنم بالشعر ونظم الموشحات التي اشتهر بها حضرة الشاعر الناصر قسطاكي بك حمصي اقتداء بالاندلسيين وقد قال أثير الدين الجبائي الأندلسي

نصب العينين لى شركا فأنثى والقلب قد ملكا
قمر أضحي له فلكا قال لى يوما وقد ضحكا
أتجبي من أرض اندلس نحو مصر تعشق القمر

وقد خلف الياس عبوداً من أكابر المطربين فى حلب وانطون والد كل من الاستاذين سامي وفاضل الشوا وكان الياس ينزل فى الاستانة ضيفاً على السيد أبي الهدى الذى كان يعد من اكابر الصوفيين المشهورين بحفظ التواشيح وانشادها وكان قانونياً يرأس تَحْتاً وعلى يمينه ويساره ولداه عزفان على العود والكمان ويدعى ناعزف فى الحفلات الفخمة ولو كانت البقرة التي كان أبوه ابراهيم اخيل يحلبها على قمة اجبل سمعت بوجه الافتراض حين حلبها نغمات الاستاذ سامي الشوا على كانه لا درت لبناً يزيد خمسة وعشرين فى المائة ان لم يكن أكثر على المقدار الاعتيادى



الاستاذ انطون الشوا والد امير الكمان

وقد ذهب الاستاذ سامي الى برلين عام ١٩٣١ وزار المعهد الموسيقي للحكومة زيارة رسمية برئاسة سعادة حسن باشا نشأت وحضور أساتذة الموسيقى الذين أعجبوا بنبوغه وأخذت معزوفاته عدة اسطوانات حفلات كتدكار له بالمعهد وزار أيضاً باريس حيث احتفل به المعهد برعاية سعادة فخرى باشا وحضور الميسور رابو رئيس « الكونسرفتوار » والمسيو شولمان سكرتير المعهد الوطني الأكبر وزار روما ولندرا ثم اميركا الشمالية

وقد رفع أينما حل رأس مصر عاليًا وهو خليق بكل رعاية واحترام ويعد أول عبقرى فى عالم الموسيقى .

ولا يسعنى فى الختام إلا أن اتحفكم بما جادت به قريحة المرحوم أمير الشعراء كتحية ومدح
لأمير المكان فى ١٦ مايو سنة ١٩٢٨ اقتطف منها بعض الآيات الآتية

يا صاحب الفن هل أثبتته هبةً

وهل خلقت له طبعاً ووجدانا

وهل وجدت له فى النفس عاطفة

وهل حملت له فى القلب إيماناً

وهل لقيت جمالا فى دقائقه

غير الجمال الذى تلقاه أحيانا

وهل تبيت لك من حقائقه

يرد أعنى النعى والقلب حيرانا

الفن روض يمر القاطفون به

والسارقون جمعت ووجدانا

أولى الرجال به فى الدهر مخترع

قد زاده جدولا أو زاد ريحانا

العبقرية فيه عز مالكة

إذا مشى غيرها اصصاً وجننا

لاتسأل الله فناً كل آونة

واسأله فى فترات الدهر فناً



(الأستاذ سامى الشوا أمير المكان)





(صورة لأمير الكمان الأستاذ سامي شوا وهو في برلين ويرى في الوسط)

الأستاذ داود حسني

وُلد داود حسني في مدينة القاهرة عام ١٨٧١ وفكر بعد أن أتم دراسته الابتدائية أن يحترف فن الموسيقى والغناء فأخذ يتلقى دروس العزف والايقاع على أكبر الأساتذة فتعلم الضروب والأوزان والبشارف والقواعد الموسيقية كما تعلم العزف على العود . ومن مميزاته اقتداره على تقليد المرحومين عبده الحمولي ومحمد عثمان وله عدة تلاحين خالده بادر المطربون إلى غنائها أذكر منها « حبيك يا سلام » « يا طالع السعد » « الصباح لاح ونور » « الحق عندى لك » وهو أول دور لحنه « وأسير العشق » الذي لحنه من نغمة ابتكرها واسماها بالزنجران كما لحن عدة أدوار أخرى من نغمات خاصة به تسمى « الحجاز كار كرد » وكان له تحت خاص غنى عليه مدة طويلة وترك أخيراً الغناء وعكف على التلحين وتخرج عليه كل من الاستاذين زكي مراد وصالح عبد الحى والآنسات ليلى مراد ونجاة وسهام وأسيمان ونادرة كما لحن للآنسة ام كلثوم المطربة الشهيرة عدة أدوار منها الدور المشهور

« روجي وروحك في امتزاج » ودور « يوم الهنا » ومما يجمل في التاريخ ذكره أنه لم يجد باباً في الموسيقى إلا طرقه ولم يصادف نعمة غريبة أو وزناً مبتكراً إلا لحن منهما لحناً أو أكثر



(الأستاذ داود حسنى)

ولم يقتصر مجهوده على التلحين الغنائي فحسب بل شق له طريقاً في الموسيقى المسرحية ولحن أولاً « صباح » التي كانت فاتحة اللطاف واخرج الأوبرا شمشون ودليله وليلة كليوباترة وأكمل أوبرا « هدى » للمرحوم سيد درويش والأوبريت كوميدى « الليالي الملاح » « والشاطر حسن » وأيام العز ، والغندورة ، وناهد شاه ورواية « معروف الاسكافى »

وهو سريع الحفظ لجميع الأدوار والمقطوعات التى ألحنت قديماً وحديثاً ويرجع اليه الفضل فى تدوين نحو مائة دور دونها بالنوتة الافرنجية المعبد الملكى للموسيقى العربية فضلاً عن أنه لحن ما يقرب من خمسمائة دور ومقطوعة ونحو ثلاثين رواية غنائية

حتى قال عنه المرحوم احمد شوقي بك أمير الشعراء أنه كنز فى عظيم لا يفنى ودره ثمينة لا تقدر بثمن وقصارى القول أن موسيقاه موسومة بطابع شرقي جذاب ومصبوغة بلون مصرى بهي مفرح وهو على نبوغه فى التلحين متواضع النفس كريم الاختلاق .

الأستاذ قسطندى منسى

وُلد بدمياط فى شهر اكتوبر سنة ١٨٦٦ وانقطع عن طلب العلم لضعف بصره فاضطر الى الانصراف الى درس الموسيقى وهو دون البلوغ بمعاونة المرحوم عبد الله القانونجى عمه الذى كان ضريباً وقد ترأس تحته مع أحمد الشربيني ومحمد الشربيني ولده العوادين وعزفوا فى الحضرة السلطانية

بالاستانة وتلقى تدوين الالحان بالنوتة عن الاستاذ انطون جوان المدرس بسرأى الخديوى اسماعيل فعمد الى عمل أدوار و بشرافات منها بشرو جهاركاه عديم النظير وأول الأدوار التي دوّنها على الحجر للافتقار الى المطابع في أول العهد بها كان دور « تيهك على* اليوم بسنين » وأصدر منها نحو ألفي نسخة نفذت جميعها بسرعة

ولما بلغ الثانية والعشرين من سنه وقع دور « كادني الهوى » (نعمة النهند) على البيانو يرم كان البيانو قليل الاستعمال في المحافل حتى ان من كان يضرب عليه دور « ياطير الحمام يا أخضر » كان يعد بلا منازع من جهابذة العازفين وقد وُقِّق الى اختراع العرب للقانون بدل العنق طلباً لايجاد نصف المقام وربع المقام عند اللزوم وهما موجودان في الموسيقى العربية ولم يسبق لمحمد العقاد الكبير أن استعماها بل استعاض عنها بالعنق على ما في هذه الطريقة من كتم الصوت وضياع الوقت والاعياء كما يزعم بعضهم



الاستاذ قسطندي منسى

على أنه والحق يقال هو أول من عمل في نعمة الجهاركاه بشرفاً كما تقدم وأسماه بل بشرف العباسي وقدمه الخديوى عباس وكان مخصصاً أولاً للخديوى توفيق الذى توفاه الله قبل طبعه .

ولا يعزب عن البال أن والده المرحوم منسى كان أول من ألف تحتاً للآلات المصرية وأن عبد الله القانونجي كان عبقرى في العزف على القانون وقد أديا للموسيقى العربية خدمات جليلة تخلد لهما أبجل ذكر . والاستاذ قسطندي ولدان أحدهما الاستاذ فريد الحامي لدى المحاكم المختلطة والاهلية يشغل بمكتب عمه المحترم الاستاذ عزيز منسى تقيب المحامين الأسبق بحكمة مصر المختلطة والثاني بعد أن نال البكالوريا المصرية انصرف الى درس الحقوق الفرنسية وهم من خيار الناس قد جمع الله فيهم خلال الفتوة ولين الطباع .



الأستاذ منصور عوض

ولد الأستاذ منصور عوض بقصورة الشوام بشبرا (مصر) عام ١٨٨٠ وكان والده المرحوم حنين منصور عوض من أكابر تجار الأقمشة بالخزاوى وتعلم بادیء بدء بمدرسة الفرير بالخرنفش



(الأستاذ منصور عوض)

وهو دون البلوغ مبادئ اللغتين العربية والفرنسية والعزف على الكمان بالنوطة الافرنجية واتفق ان دبت فيه الغيرة على اقتناء العود مما أحاط به من عواهل حينما كان يزور والده كل من الشيخ خليل محرم الماشد وعمر افندى التركي موسيقار الخديوى اسماعيل الذى كان بعزف على الطنبور فتح على ولده أن يشتري له آلة شرقية كالعود فنبد الأخير طلبه وراء ظهره لما كان لحرقه الغناء من حقارة وازدراء فى عصره وكنهه نزولاً على رغبة ولده المولع بالموسيقى الشرقية اشترى له آخر عوداً وقانوناً ثم انتقل من مدرسة الفرير إلى المدرسة التوفيقية فمدرسة الاقباط لقربها من شارع

محمد على حيث كان يتلقى دروساً موسيقية على يد مدرس ماهر .

ولما وفد الى مصر من الاستانة سنة ١٨٩٨ نفر من مشاهير الموسيقيين الأرمن الذين كونوا جوقتين موسيقيتين وكان مركز الأولى بالعتبة الخضراء بجوار محلات الف صنف والثانية بشارع عبد العزيز أخذ يتردد عليهما واقتبس عن الموسيقيين فيهما بعض مقطوعات وشارف وغيرها وأخذ يعطى دروساً في فن الموسيقى لبعض العائلات وافتتح سنة ١٩٠٧ بالاشتراك مع الاستاذ سامي الشوا مدرسة موسيقية بالظاهر بمصر كان يحتم فيها تعلم النوبة الافرنجية ونظريات خاصة بالانغام والأوزان وكانت تلقى بها بعض محاضرات قيمة مرة في الأسبوع واستمرت هذه المدرسة إلى سنة ١٩٢٥ ولما عين مراقباً فنياً للتعليم في فرع المعهد الملكي المدرسي اضطرت إلى أغلاقها ونظراً لكثرة اشغاله بشركة الجراموفون ونقله بين مصر والاسكندرية اضطرت الى تقديم استقالته إلى المعهد في أواخر ديسمبر سنة ١٩٣١ وهو لا يزال إلى الآن شاغلاً مركز مستشار فني وإداري بالشركة المذكورة وغنى عن البيان أنه قد وضع عدة مؤلفات منها كتاب التحفة البهية في الاصطلاحات الموسيقية ومناظرات علمية في الموسيقى الشرقية والغربية تشهد له بطول الباع في هذا الفن الجميل ويرجع اليه الفضل في تسجيل عدة اسطوانات ربحت منها الشركة فضلاً عن بشروات وسماقيات وأناشيد وطنية ومارشات من ضمنها مارشات مصطفى باشا كامل ورعسيس وبطرس باشا غالي والأميرة فاطمة هانم اسماعيل والسلطان حسين وسعد زغلول باشا والحرية وادرنه والهلل الاحمر والسلطان محمد الخامس بالاستانة والنشيد الوطني نظم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي - وهو ساس الطباع وفي متجافٍ عن مقاعد الكبر بشوش الطلعة مـ

(غزل)

قد رُوي عن كتاب الأغاني ما يأتي : « كان زلزل أضرب أهل زمانه بالعود وكانت له جارية عليها الضرب والغناء ولما بلغ اسحق الموصلي بعد موت زلزل انها تعرض في ميراثه للبيع صار اليها ليعترضها فغنت

أقفر من أوتاه العود	فالعود للأوتار معمودُ
وأوحش المزمار من صوته	فما له بعدك تغريدُ
من المزامير وعيدانها	وعامر اللذات مفقودُ
الحجر تبكي في أباريقها	والقينة الحمضانة الرودُ

الأستاذ محمد السبع

وُلد الأستاذ محمد السبع بدمياط في سنة ١٨٧٠ وبعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن احترف فن الغناء لما له من صوت رخمٍ حسن وجاذبية قوية بالرغم من اعتراض الشيخ علي العفني جده (أب والدته) عليه خشية أن يناله شين المهنة في ذلك العهد وذهب أولاً الى المنصورة حيث بدأ يغنى بقهوة الخواجا ديليا على البحر الأعظم وكان موضوع عناية الخواجا نقولا قسيس أحد أقرباء آل منسي بدمياط نزولاً على توصيتهم به وما لبث أن سمعه الأستاذ عبد الله



(الأستاذ محمد السبع)

القانونجي حتى استصحبه الى مصر ودرّبه على الغناء حتى اشتغل بجبالية الأزبكية يوم كان محمد عثمان والشيخ يوسف يشغلان تجاهه بالجينية ولما سمعه عبده المحولي بينما كان يتنزه فيها مع أولاده ضمه الى تحته حيث اشتغل سبع سنوات كمساعد له وأبلى بلاءً حسناً بما اقتبسه عنه من ضروب وتوقيع فاستضاء بمشكاته حتى أحبه وعطف عليه عطفه على بنيه ولم يكن تخرّجه عليه مقتصراً على فن الغناء بل استفاد منه بما يرضي الله والناس جميعاً بالتقوى والاستقامة وصالح الأعمال وقد رُزق ولداً يدعى ابراهيم افندي دسوقي السبع موظف بالقلم الجنائي بمحكمة مصر الكلية وبنات فاضلات من ذوات الصون

وقد دعاني مساء ٧ فبراير الماضي لسماعه في بار اللوآء على تحته المؤلف من أعظم العازفين وهم الأستاذة عبد الحميد القضائي القانونجي وكرم الكنجي وعيد قطر العواد وجرجس سعد النياتي فسمعته بعد عدة تقاسيم على الآلات يغنى مذهب « كنت فين والحب فين » فأعجبت به وأعادني الى ماضي الذكريات في العصر الذهبي لاستاذة المحولي بما أتاه من حسن الالتقاء وضروب التفنن ويا لعمرى لو عُنت محطة الاذاعة الاسلكية بتشغيله بالمحطة لكي يتمكن من يسمعه من النشء الحديث الحسن الصوت من النقاط ما بقي بصوته من نغمات ساحرة ونبرات عربية باهرة .

وبالجملة أقول في النهاية حقاً أكرم به رجلاً نبيل النفس ندي الراحة وصبيح الوجه

الاستاذ محمد كامل رشدى

رئيس القسم الفنى بإدارة تحقيق الشخصية

وُلد في سنة ١٨٧٩ وتربى في سراي والده التي كانت تقع بباب الشعرة وتُشرف على الخليج



الاستاذ محمد كامل رشدى الرئيس الفنى بإدارة تحقيق الشخصية

عواد قديم شهير وتلميذ الاستاذ الكبير احمد الليثى

المصرى قبل سده وكانت محط رجال الموسيقين للتدرب على مقطوعاتهم ومعزوفاتهم لما ألفوا فيها من المناظر الرائعة الطبيعية من أشجار وزهور ومياه .

فشغف بالعود واقتبس عن الاستاذ العريان والد ابراهيم العريان القانونجى قسما من التعليم على القانون على حد ما فعل الأستاذ الليثى الذى تخرج عليه في سنة ١٩٠٨ وأضحى من كبار العازفين على العود .



السيد أمين المهدي



الذي لا يحتاج الى تعريف هو
من كبار هواة العود يجيد العزف عليه
ويعد من أنصار الموسيقى العربية ومن
المعارضين في التجديد الأثر وقد
عُيِّنت لبعض معزوفاته اسطوانات في
الشركات الفونوغرافية لا بأس بها .



السيد أمين المهدي العواد الفذ

غزل

دُعيت جارية زلزل الى الفناء في حضرة الرشيد فقال لها غني صوتاً فغنت
العين تُظهر كتمانِي وتُبديه والقلب يكتُم ما ضَمَّتُهُ فيه
فكيف ينكُم المكتوم بينهما والعين تُظهره والقلب يخفيه
فأمر بأن تباع وتعتق ولم يزل يجري عليها الى أن مات .

الاستاذ مصطفى ممتاز



الاستاذ مصطفى ممتاز الكمان

هو من الهواة العازفين على الكمان ومن أنصار الموسيقى الشرقية والغناء العربي وقد تخرج على الأستاذ ابراهيم سهلون ويحفظ له بعض تقاسيم

شكر عام

ليس فينا من يجهل ما لحضرتي العالمتين الدكتور فارس نمر وصاحب العزة خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الأغر من رفيع المنزلة في النفوس لما اتصفا به من أريحية الطباع وكرم الأخلاق وتحلياً به من العلم الذي وقفنا حياتهما على الغوص على أسرارهِ وبحث الحقائق ونشر الفنون وفي مقدمتها الموسيقى العربية التي جرى لأصحاب المقطم فيها بحوث مستفيضة ومناقشات جمة مع بعض

الموسيقين الامريكيين قبل انتقالهم الى هذا القطر فضلاً عن تضاع حضرة رئيس التحرير منها ومعرفة العزف على بعض آلاتها

ولما أخذت على عاتقي احياء ذكرى النابغين الراحلين من المصريين وبدأت بذكرى عبده الحمزلي وما له من الأيادي البيضاء على الموسيقى الشرقية والغناء العربي وتقدت ما أتاه المجددون من ضروب التزليل فيها كتبتُ بعض كلمات الى المقطم الأغر الذي فصح لها مكاناً ونشرها غير مرة فصادف قبوله ما هو كامن في نفسي من حب منوط الموسيقى وغيره عليها وتنبهت الأمة



الدكتور فارس نمر صاحب المقطم

إلى ما أبديته من
الاعتراضات على
استجديد الذي لا يرتكز
على قواعد ولا يقصد
به إلا تشويه محاسن
موسيقائنا وازالة طلائعها
وصبغها الشخصية
ومسح نغماتها التي تولد
منها في الغرب حاسة
الخيال والجمال

فيرجع اذاً كل
الفضل اليهما في هذا

التشجيع الذي دفعني الى وضع هذا الكتاب المفيد وقد أحجم المقطم عن نشر كلمة الشكر المقدمة مني مرتين لما وكانا يجتنبان اختباء البنفسج بين العوسج فتمت رائحة انكار ذاتهما عنهما ولذا لا يسعني الا أن أقدم لحضرتيهما جزيل الشكر واعترافي بجميل صنعتهما ولحضرات أفاضل الأدباء وأكابر الشعراء الاستاذ خليل مطران وصاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق وسيادة المطران كيرلس رزق والدكتور عبد الرحمن شهنيدر والاستاذ محمود فؤاد الجبالي على مقالاتهم النفيسة التي بعثوا بها إليّ مع اعتذاري للآخرين الذين لم أتمكن من نشر مقالاتهم لضيق نطاق هذا الكتاب وفقنا الله الى ما فيه كل الخير للوطن وللفن

مذهب كنت فين والحب فين*

تلحين المرحوم عبده الحمولي ووضع الارتاناز قسطندي منسى

ثلاث *Molto Moderato* ن وال ن
Kou... ti fei... n ouil

hou... bi fei... n

lam ye... fa... 7.2

la... h... zi ei... n

ya... fou... a...

* تجدون أعلاه ما دونه بالنوطة الافرنجية الأستاذ قسطندي منسى عن عبده الحمولي وهو مذهب حجاز كار تلحينه الخاص والغرض من تدوين هذا الدور إعطاء القارى صورة مصغرة

د هـ س بك
d ha... s... bak

أ
a

هـ راب بو نا نا يي س بك
h rab. bu. na yi. ha s bak

يا عي ني كا ني نا
ya... ei... ni ka. ni. na

ل في ك مي ن غا زا
l fi. k mi. n gha za

ي غر سي يو
i gher si. you

في ل هـ جي بي ن
fi l. ha gui... bei... n

لغتماته والاشارة الى ابتكاره الذي يأتيه بما تُوحى به اليه نفسه وتراه عينه من المراثيات المتنوعة الكثيرة
وما أقابا في عينه الصغيرة على حد قول البارودي باشا
كالمين وهي صغيرة في حجمها تسعُ الوجود بأرضه وسنانه

el... l ha... oua ya... ha... bi... bi... ya... si... di... yi... s... i... m... sa... hi... h yi... s... i... m... sa... hi... h

e... l ha... oua ya... ha... bi... bi... ya... si... di... yi... s... i... m... sa... hi... h yi... s... i... m... sa... hi... h

وبيانه أن النوتة مهما بلغت من الدقة لا يمكن بها تصوير نغماته لعدم وجود ربع المقام في العلامات الأفرنجية وبدونه لا يمكن الإحاطة بتموجات صوته ولعبه بالألحان وغريب تصرفه وبجنته فاهيك بالروح الذي به يؤدي نغماته ونبراته الخاصة به وتعتبر حينئذ كتصميم لبناء نغماته أو خطوط أولية مرسومة لتصوير شكل من الأشكال ومما يؤيد ذلك ما قاله الأستاذ منصور عوض بعدد

جا يا وا ها ال
el... ha... oua ya... ha...

بي... بي يا... في في... سي... م... سا... هي... 3

يا بي يا ها ال
el... ha... oua ya... ha... bi... di... ga

سي... دي يا في في... سي... م... سا... هي... 3

لento
ا فو ل و
oui... l... fou... a...

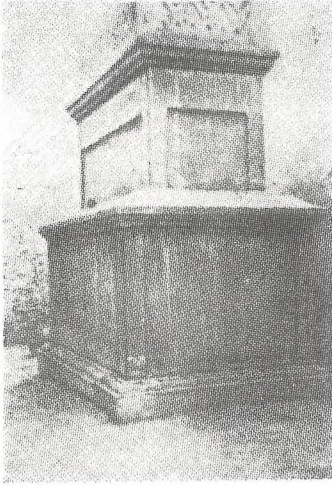
د... مين... نو... ري... ا فو ل و
... d min-n ou ga ri... hi... l... fou... a...

٧٠٠٤ من مقطم ١٣ ابريل سنة ١٩١٢ وهو بحروفه كما يأتي « ان الانغام الشرقية لا يمكن تصويرها بالعلامات الافرنجية التي وُضعت وأُلفت بها قبلاً عدة أدوار وموشحات وبشارف وخلافها والسبب

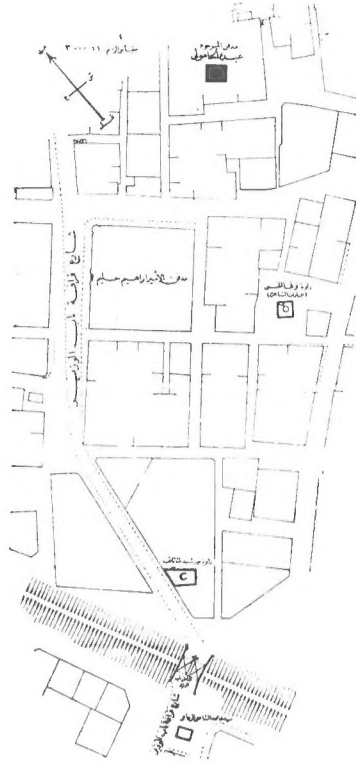
nua ya ha bi bi ya si di ya ei ni y
 S m sa hi h
 ouil fou a
 mi n nou ga ri h a
 h aa ra fouh la kin
 a h tar kouh mou che

المقام دائماً ولما لم يكن ربع المقام موجوداً على الإطلاق في العلامات الأفرنجية فيستحيل والحالة هذه وضع سكك التصوير بهذه العلامات «
وقد ذكر المقطم تعليقاً عليه

وقد إستنبط الأستاذ منصور عوض علامات مخصوصة اضافية للاستدلال على أصوات ربع المقام في النوتة الموسيقية الافرنجية أُجرى تسجيلها بحكمة ٢٠٠٠م. المجتمع في سنة ١٩١٥ وتفضل المقطم الأغر بتقريرها



(هذا ضريح فقيد الفن المغفور له)
(عبده الخولى بقرافة باب الوزير)



(هذه خريطة تبين الطريق الموصل الى ضريح المغفور له عبده الخولى)

مصاب الامة الفادح

بفقد الملك فؤاد الاول

ماكدت أتأهب لاهداء كتابي هذا الى الأعتاب الملكية حتى فوجئت الأمة بنبا أصمّ صداه
المسامع واستوكف الأجنان بالمدامع ألا وهو نعي من كان لدمار الوطن حامياً أميناً وللعلوم والفنون
كوكباً منيراً وللفضل منهالاً غزيراً ولخير مصر ومجدها نصيراً وظهيراً فيا لهفَ وادي النيل ومائه على
فؤاده . فاذا ماتت الأفئدة فمحال أن تعيش أجسامها . فالى ذمة الله أيها الراحل العظيم وسيظل
اسمك عظيماً في التاريخ كما كنت للشعب المصري رمزاً ومرشداً . هبنا اللهم على الرزء فيه صبراً
جميلاً يبرّد قلوبنا واشمله بأوسع الرحمات وأسكنه فسيح الجنان م

فهرس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣	الاهداء	٧٨	مرآئي الجرائد بوفاته
٥	صورة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول	٧٩	رأي في الموسيقى الشرقية (لخليل بك ثابت)
	المعظم ملك مصر	٨١	الموسيقى العربية وعبد (للاستاذ مطران)
٧	صورة ساكن الجنان المغفور له جلاله الملك	٨٩	عبد الحامولي وفنه (لصاحب الفضيلة
	فؤاد الأول		الشيخ مصطفى عبد الرازق)
٩	ساكن الجنان المغفور له الخديوي اسماعيل	٩٢	كلمة الدكتور عبد الرحمن شهنندر
١١	صورة الطائر الصيت المرحوم عبد الحمولى	٩٥	لحة عامة (لسيادة المطران كيرلس رزق)
١٢	عبد الحامولى وبعض رجال فرقته	٩٩	فذلكة عن الغناء العربي (لحمود فؤاد الجبالي)
١٣	صورة المؤلف	١٠٣	عبد الحامولي مع سليم سر كيس
١٤	مقدمة	١٠٦	شهادة ابراهيم بك المويلحي (خلقة كاملة)
١٩	لحة في تاريخ الخديوي اسماعيل	١٠٩	آراء أعضاء المؤتمر الموسيقي لسنة ١٩٣٢
٣٠	أصل الموسيقى	١١٤	شعور المغفور له سعد باشا نحو (الحامولي)
٣٨	الغناء القديم والغناء الحديث	١١٦	تراجم أشهر الموسيقيين والمطربين في مصر
٤٠	عبد الحامولي وتاريخ حياته	١٢٣	الموسيقى فن سماوي
٥٢	عبد الحامولي مصلح اجتماعي في ثوب مغن	١٢٥	الفوارق بين تبهوفن الغرب وتبهوفن الشرق
٦٠	(ساكنة) استاذة (أُلظ)	١٢٩	سلامه حجازي
٦١	أُلظ	١٣١	بيان موجز عن الفرق التمثيلية في مصر
٦٦	أزواج عبد الحمس وولده محمود	١٣٣	أقوال وآراء العلماء والشعراء والفلاسفة والاطباء
٧٠	القصائد التي غناها	١٣٦	حديث لمعالي كبير الأئمء سعيد ذو الفقار باشا
٧٢	أشهر ما اخترته من ألحانه	١٣٧	مشاهير رجال الموسيقى
٧٧	رثاء المرحوم أمير الشعراء	١٤٩	شكر عام

اصحح غلط

صفحة	سطر	غلط	صوابه	صفحة	سطر	غلط	صوابه
١٨	١١	ومقترفاً	ومقترفاً	٢٢	٤	تزوج الامير حسن	تزوج الامير حسن
٢٠	١١	Matluf	Tartuf	١٢٢	١٠	من الاميرة	من الاميرة
٢٢	٦	فية	فيه	٧٧	١٠	لم يغني	لم يغني
٢٢	٩	بروق له	بروقه	٧٧	٢٣	ملكهما	ملكهما
٢٣	١٩	على عهد	في عهد	٧٧	٢٣	الفقير	الفقير
٢٦	١	والأدهى من	وأدهى من	٦٦	١٤	قد تعرفت	ما تعرفت
٢٧	١	الاثني عشرة سنة	الاثني عشرة سنة	٨٩	٤	الذين	الذين
١٣٣	٩	اعتداله	اعتداله	٤٦	٥	صانعة السماء	صانعة السماء